

قضايا التطرف
والجماعات المسلحة

دورية دولية محكمة

 Journal of
Extremism and Armed Groups
قضايا التطرف والجماعات المسلحة

السنة الثالثة
Third Year

العدد السادس
Sixth Issue

تشرين الثاني / نوفمبر 2021
November 2021

مجلة قضايا التطرف والجماعات المسلحة

المركز الديمقراطي العربي



رقم التسجيل: ISSN 2628-8389

Journal of Extremism and Armed Groups

International Scientific Periodical Journal



<https://democraticac.de>



المركز الديمقراطي العربي
للدراستات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية
Democratic Arab Center
for Strategic, Political & Economic Studies

قضايا التطرف والجماعات المسلحة

Journal of extremism and armed groups

دورية دولية محكمة
International Scientific Periodical journal

ISSN 2628-8389

تصدر عن

المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية

Arab Democratic Center for Strategic, Political and Economic Studies

Germany: Berlin 10315 Gensinger Str: 112

030- 54884375

030- 91499898

030- 86450098

E-mail: j.extremism@democraticac.de

Web Site: https://democraticac.de

آراء الكتاب لا تعبر بالضرورة عن آراء يتبناها

المركز الديمقراطي العربي أو مجلة قضايا التطرف والجماعات المسلحة

رئيس المركز الديمقراطي العربي

عمار شرعان

President of the Arab Democratic Center: Ammar Sharaan

رئيس التحرير

د. بن علي لقرع (الجزائر)

Chief Editor: Dr. Benali Lagraa (Algeria)

مدير التحرير

د. رانيا عبد الله (الأردن)

Manager Editor: Rania Abdallah (Jordan)

Members of the Editorial Board

أعضاء هيئة التحرير

Dr. Samia Ghechir (Algeria)

د. سامية غشير (الجزائر)

Dr. Zahret Al-Thabet (Tunisia)

د. زهرة الثابت (تونس)

Dr. Farida Routane (Algeria)

د. فريدة روطان (الجزائر)

Scientific Committee

الهيئة العلمية

<i>Dr. Nidaa Mtasher Sadeq (Irak)</i>	د. نداء مطشر صادق الشرفة (العراق)
<i>Dr. Rachida Boujdehfa (Algeria)</i>	د. رشيدة بوجحفة (الجزائر)
<i>Dr. Malika Agounne (Algeria)</i>	د. مليكة عقون (الجزائر)
<i>Dr. Dalila Musbah Hamed Musbah (Libya)</i>	د. دليلة مصباح حامد مصباح (ليبيا)
<i>Dr. Leghars souhila (Algeria)</i>	د. سوهيلة لغرس (الجزائر)
<i>Dr. Jameel Abu abbass Rayan (Egypt)</i>	د. جميل أبو العباس زكير بكري الريان (مصر)
<i>Dr. Fouad Al-Dawash (egypt)</i>	د. فؤاد الدواش (مصر)
<i>Dr. Mohamed Cheikh Banane (Morocco)</i>	د. محمد الشيخ بانن (المغرب)
<i>Dr. Luai K. Ghabr (Irak)</i>	د. لؤي خزل جبر (العراق)
<i>Dr.. Ashraf Mwafak Falih (Iraq)</i>	د. أشرف موفق فليح (العراق)
<i>Dr. Mady Ibrahim Kante (Mali)</i>	د. مادي إبراهيم كاتي (مالي)
<i>Dr. Mohamed Mustapha Benelhaj (Morocco)</i>	د. محمد المصطفى بن الحاج (المغرب)
<i>Dr. Iyad Al majaly (Jordan)</i>	د. إياد خازر مد الله المجالي (الأردن)
<i>Dr. Ahmed Salhi (Morocco)</i>	د. أحمد صليحي (المغرب)
<i>Dr. Mohamed Hassane Douadji (Algeria)</i>	د. محمد حسان دواجي (الجزائر)
<i>Dr. Hatem Benazouz (Algeria)</i>	د. حاتم بن عزوز (الجزائر)
<i>Dr. Arbi Boumediene (Algeria)</i>	د. عربي بومدين (الجزائر)
<i>Dr. Yahia Bouzidi (Algeria)</i>	د. يحي بوزيدي (الجزائر)
<i>Dr. Nouh Gharib (Algeria)</i>	د. نوح غريب (الجزائر)
<i>Mrs. Soumia Badoud (Algeria)</i>	أ. سمية بادود (الجزائر)
<i>Mrs. Siham Salhi (Algeria)</i>	أ. سهام صالح (الجزائر)
<i>Mrs. Fatima Oudina (Algeria)</i>	أ. فاطمة أودينة (الجزائر)

المحتويات

دراسة حالة

- تفكيك خطاب إيديولوجية حزب اليمين المتطرف "التجمع الوطني" بفرنسا: الأقلية المسلمة بين التميز العنصري والإسلاموفوبيا
صغير طاب 06

دراسات وأبحاث

- التنظيمات الإرهابية والجهاد الإلكتروني عبر وسائط البيئة الرقمية: تنظيم الدولة الإسلامية داعش أنموذجاً
سلمى مساعدي / عادل خالدي 31
- الإرهاب البيولوجي الكيماوي وأثره في السياسة الدولية
علي سعد موسى علي 47
- أبعاد التهيئة النفسية المعززة لممارسة السلوك الإرهابي
تهاني هاشم خليل عابدين 72
- دلالات ومضامين التطرف في خطاب تنظيم الدولة الإسلامية "داعش": تحليل مضمون لمجلة دابق
أشرف إسماعيل إبراهيم شلي 88
- المحكمة الجنائية الدولية والإرهاب: ولاية مشروعة أم تطاول سياسي؟
حومالك محمد 112
- الكشف عن العنف البشري في الفلسفة السياسية لاريك فايل
كمال العماري 122
- الإرهاب السياسي: دراسة تحليلية اجتماعية لتاريخ الممارسة في العصر الحديث
محمد ذنون زينو الصائغ 144
- التحولات الإستراتيجية عند الجماعات المسلحة: من العمل المسلح إلى العمل السياسي وأثر البيئة الداخلية والخارجية عليها، منظمة بدرنموذجاً (2003-2019)
فهد عبد الرحمن العساكر 172
- *Social and economic factors triggering in the Middle East*
لطيفة شوقي 188

مؤتمرات علمية

- المؤتمر السنوي حول "مكافحة التطرف العنيف في المغرب.. الفعاليات والتقييم"
هايدي عادل عبد النبي عبده هنيدي 206

دراسة حالة

Case Studie

تفكيك خطاب إيديولوجية حزب اليمين المتطرف "التجمع الوطني" بفرنسا: الأقلية المسلمة بين التمييز العنصري والإسلاموفوبيا

Dismantling the ideological discourse of the far-right party "National gathering" in France: The Muslim minority between racial discrimination and Islamophobia

Dr. Segheir Tab

د. صغير طاب¹

المدرسة الدراسات المتقدمة في العلوم الاجتماعية (باريس)

The School of Advanced Studies in Social Sciences (Paris)

ملخص: يهدف هذا المقال إلى تحليل أيديولوجية الحزب المتطرف الفرنسي "التجمع الوطني" حتى نستطيع معرفة حقيقته جيدا وبالتالي فهم ركائزه وهذا للتصدي لها ومقاومتها بالحجج الديمقراطية أي بلغة الوقائع والشواهد والبراهين، وعليه سوف نحلل أهم النقاط التي تركز عليها هاته الأيديولوجية السياسية المتطرفة التي تقسم الفرنسيين و تشحن نفوسهم بدل أن تجمعهم، واستعمالها في إطار خطاب ديماغوجي (شعبوي) مغلق ضد الأجانب وخاصة ضد الأقلية المسلمة بفرنسا. وهنا تظهر خطورة إيديولوجية هذا الحزب المتطرف وكذلك مدى عمق المشاكل المتنوعة التي يتخبط فيها لحد الساعة المسلمين في فرنسا. لقد أضى هذا الحزب المتطرف يشكّل خطرا كبيرا ليس فقط على الأقليات والسلم الاجتماعي بل كذلك على تماسك المجتمع الفرنسي وديمقراطيته، فمن أجل التصدي لكل فكر سياسي متطرف في فرنسا يجب ترسيخ قيم المواطنة والممارسة الديمقراطية المنفتحة على كل الأقليات واحترام التنوع وممارسة حرية المعتقد والدين وهذا من أجل الأمن المجتمعي والإنساني. ولا بد أن نحلل المفاهيم المتطرفة لهاته الأيديولوجية حتى يتسنى لنا معالجة أسباب استفحال ظاهرة التطرف السياسي التي أضحت من بين أخطر المشاكل التي تواجهها كل المجتمعات ولكن بدرجات متفاوتة وخاصة الديمقراطية المعاصرة.

كلمات مفتاحية: إيديولوجية، التطرف السياسي، الأقلية المسلمة، التجمع الوطني، الإسلاموفوبيا.

Abstract: This article aims to analyze the ideology of the French extremist party "National Rally" so that we can know it well and thus confront it and resist it with

democratic arguments, that is, in the language of facts, evidence and evidence. Using it in the context of a closed populist discourse against foreigners, especially the Muslim minority in France, and here shows the danger of the ideology of this extremist party, as well as the depth of the various problems that Muslims in France are currently struggling with. This extremist party has become a great danger not only to minorities and social peace, but also to the cohesion and democracy of French society. In order to counter the ideology of political extremism in France, the values of citizenship, democratic practice open to all minorities, respect for diversity, and the exercise of freedom of belief and religion must be established, and this is for the sake of social and human security. We must analyze the extremist concepts of this ideology so that we can address the causes of the exacerbation of the phenomenon of political extremism, which remains among the most serious problems faced by all societies to varying degrees, especially contemporary democracy.

Keywords: Ideology, Political Extremism, Muslim Minority, National Assembly, Islamophobia.

مقدمة

يهدف هذا المقال إلى إبراز وتحليل ظاهرة التطرف السياسي ذات النظرة الإيديولوجية للحزب اليميني الفرنسي المتطرف "التجمع الوطني" وانعكاساتها المباشرة على المجتمع الفرنسي برمته، وخاصة على دور ومكانة الأقليات ولاسيما المسلمة منها بفرنسا. فبتصاعد التيارات اليمينية المتطرفة الملفتة للنظر في السنوات الأخيرة على الساحة السياسية الأوروبية؛ أصبحت هاته الحركات المتطرفة موضوع اهتمام الدوائر السياسية والإعلامية وحتى الأكاديمية. وتم طرح من جديد مسألة النقاش والجدال في المجتمعات الديمقراطية الأوروبية، ومن ناحية أخرى تعتبر ظاهرة التطرف السياسي تاريخيا مترسخة وقديمة في المجال/الحقل السياسي الفرنسي. ولقد شهدت فرنسا تيارات سياسية متشددة منذ نشأتها وحتى بعد إنشاء الجمهورية، وتتجسد هاته الإيديولوجية السياسية المتطرفة المعاصرة التي أصبحت أمرا واقعا يهدد أمن الفرد والمجتمع معا خصوصا وحصريا في حزب التجمع الوطني بقيادة "جون ماري لوبان" المؤسس الفعلي وزعيم هذا الحزب الفرنسي المعارض ذي النزعة القومية الوطنية والاقصائية. ثم حاليا يتمثل في ابنته "جون مارين لوبان" الرئيسة الجديدة للحزب، إذ تميز هذا الحزب منذ نشأته سنة 1972 بخطاب سياسي عدائي مغلق، لا يتوقف عن تصديه لسياسات الهجرة والمسلمين في فرنسا، وأظهر معاداته للأجانب والمهاجرين وانتقاده اللاذع للطبقة السياسية الحاكمة واصفا إياها بالمتسامحة والغير جدية و"غير صارمة".

هنا تجدر الإشارة إلى أنه في ظل مشاكل فرنسا الداخلية المتنوعة والمتراكمة (البطالة، أزمة السكن، التهميش، التطرف، الإرهاب، عدم تحقيق الرفاهية للشعب، الحرمان، والخوف من الحاضر والمستقبل...الخ) اغتنم هذا الحزب السياسي المتطرف هاته الأزمات الداخلية القديمة المتجددة وخلق منها وعاء متميزا و مغلقا لأيديولوجيته المتطرفة. وأبرزها بقوة عن طريق خطابه السياسية المبنية على التهيب والتخويف، مما زاد من تأثيره على عدة فئات من المجتمع مستقطبا عددا متزايدا من المواطنين الفرنسيين خاصة المحبطين والمحرومين الذين لهم نظرة متطرفة، ليزيد من رصيد شعبيته و بالتالي من طموحه في نشر و كسب أفكاره المتطرفة في المجتمع الفرنسي. بهدف الوصول يوما ما إلى السلطة العليا في البلاد أي رئاسة الجمهورية الفرنسية وتطبيق برنامجه السياسي على الواقع الفرنسي. ولا مناص من القول أنه إلى جانب نقده المستمر للممارسات الإسلامية لمسلمي فرنسا (كالحجاب، أضحية العيد، الحلال...).

ويعتبر الهجرة والمهاجرين و خاصة غير القانونيين أو غير الشرعيين السبب الرئيسي و المباشر لكل الأزمات والمشاكل المتزايدة التي تعيشها فرنسا. محاولا دائما وبكل السبل تأثيره على العقلية الشعبية الفرنسية وخاصة على صناع القرار السياسي وكذلك المساهمة في صياغة وبلورة الرأي العام. إنه ومما لا شك فيه يحاول حزب التجمع الوطني كقوة سياسية معارضة ذات نفوذ متصاعد تلميع صورته دوما وهذا بإظهار نفسه بأنه: "حزب سياسي عادي" مرتكزا على إرادة الشعب وبرنامجا واعدة، وأنه هو البديل الديمقراطي الحقيقي لكل الأحزاب السياسية، والذي يدافع بشراسة عن حقوق الفرنسيين وعن الهوية الوطنية قبل كل شيء، وأنه ليس حزبا متطرفا كما يزعم البعض ترويجه. فبحسبه أن الطبقة السياسية الفرنسية الحالية تريد دوما "شيطنته" أمام الرأي العام لأنه قوة سياسية حقيقية صاعدة ذات مبادئ ثابتة وأهدافا راديكالية لصالح المجتمع الفرنسي والفرنسيين، وأنه الحزب السياسي الوحيد الذي له مشروع سياسي حقيقي و متكامل لفرنسا. وله حلول جذرية لأزمته خاصة ضد الممارسات الفرنسية من أصول أجنبية، وضد الهجرة الغير شرعية المتزايدة، ففي هذه السنوات الأخيرة ضد التطرف المسمى "الاسلاموي" والذي فرض نفسه والمعشش بقوة في بعض الأحياء والضواحي الفرنسية ضمن أبناء المهاجرين خاصة المسلمين، والذي حسب نظرته دائما يهدد أمن و مستقبل فرنسا والفرنسيين.

حسب اعتقاد نخبته السياسية المتضامنة أن نسبة عالية من المسلمين في فرنسا ليست لهم أي نية وإرادة حقيقية في الاندماج في المجتمع الفرنسي اللاتكي أي العلماني واحترم قوانين

الجمهورية الفرنسية، فمن خلال هذا التصور يهددون تماسك المجتمع والهوية والثقافة الفرنسية. من هنا نستطيع أن نصف علاقة الدولة الفرنسية بالأقلية المسلمة بالمعقدة و المتوترة وعدم الرضى المتبادل، ففي مناخ العمليات الإرهابية المرتبطة بالتطرف الإسلامي التي عرفتها فرنسا في السنوات الأخيرة (2012-2020) أثارت تلك الهجمات المسلحة العديد من المخاوف والتساؤلات والجدال، ووجه هذا الحزب المتطرف انتقاداتٍ مبرّرة وحجج أمنية خطيرة ذات بعد أيديولوجي ضد المتطرفين ما يسمونهم "الاسلامويين" حتى يمكنه توظيفها بقوة في خطابه الشعبي المُبهم والعاطفي ضد المسلمين الفرنسيين عموماً والدين الإسلامي ككل. هاته الأفكار الإيديولوجية المتطرفة تعاضم تأثيرها على الرأي العام الفرنسي، من خلال تلك الممارسات السياسية المستمرة والمتكررة لهذا الحزب والخطاب الشعبي الحماسي.

كما نلاحظ جليا الرغبة و التصميم على تشويه الإسلام وصورة المسلمين بجعلهم في كل الأحوال والظروف "كبش فداء" لأزمات فرنسا الداخلية العميقة والمختلفة. كما يجد هذا الحزب المتطرف في الأقلية المسلمة بفرنسا هدفا سهل المنال وساحة خصبة لتفعيل برنامجه السياسي وتحقيق فعليا وعمليا طموحاته. وفي ظل التطورات الأمنية المتعلقة باللجوء والهجرة يستغل حزب أقصى اليمين المتطرف فرصة تورط العديد من طالبي اللجوء خاصة المسلمين منهم في عمليات إرهابية لصالح حملته الانتخابية. ومما لا يمكن نكرانه أنه أصبحت "ثنائية" الإسلام والهجرة مصدران هامين لخطاب اليمين الشعبي المتطرف بفرنسا بهدف كسب المزيد من المتعاطفين والمزيد من الأصوات الانتخابية. كما أضحت مواقفه الواضحة المعادية للاجئين والهجرة والمسلمين باسم القومية العرقية الغربية ولائكي تؤثر على نسبة متزايدة بقليل أو كثير من المواطنين الفرنسيين واستقطاب عدد لا بأس به من الناخبين اليمينيين. ففي كل مناسبة انتخابية لاسيما في الانتخابات الرئاسية يعود بقوة الجدل حول الإسلام والمسلمين إلى الواجهة من جديد، فهاته الإيديولوجية المتطرفة تساعد على تأجيج وإشعال الكراهية وتغذية التوتر في المجتمع الفرنسي.

وكما يعلم الجميع أنه وبموجب قانون سنة 1905 أصبحت فرنسا دولة غربية لا دينية (لائكية)، أي دولة تحترم كل الأديان المتواجدة في فرنسا ولكن لا يجب أن يدخل أي دين بشكل أو بآخر في السياسة، ففي المادة الثانية من دستور فرنسا نجده ينص على أن فرنسا "جمهورية علمانية"¹. وتجدر الإشارة أن هاته الإيديولوجية المتطرفة لا تمثل حالة استثنائية في فرنسا، إذ أن

¹ <https://www.conseil-constitutionnel.fr/la-constitution/comment-la-constitution-protège-t-elle-la-laïcité>

عدة أحزاب يمينية متطرفة في دول أوربية أخرى ذات نظام ديمقراطي، تنهج نفس النهج فيما يتعلق بالموقف من الإسلام والمسلمين خاصة والأجانب بصفة عامة. والملاحظ في الواقع أنه هناك صعودا متناميا لأحزاب اليمين المتطرفة بسبب عدة عوامل متداخلة منها خاصة الأقلية المسلمة في فرنسا. بصفتها أقلية مهمشة وضعيفة ليس لها وزن اقتصادي أو سياسي وبالتالي أي ثقل انتخابي. والكل يقر أن المسلمين المتواجدين بفرنسا يواجهون عنصرية وتمييزا في سوق العمل والسكن. ولهاته الأسباب وعلى الرغم من علمانية الدولة وحرية المعتقد فإن اليمين المتطرف يقوم بنقده الأقلية المسلمة باستمرار، حيث يعلم أنه لا توجد أي هيئة هامة وفاعلة في المجتمع تستطيع الدفاع عنها، ولا أحد ينكر وجود نسبة متزايدة ذات فكر متطرف في المجتمع الفرنسي أي وجود معسكرين برؤيتين متعارضتين إلى أقصى الحدود.

إن هذا المقال يهدف إلى دراسة وتفكيك إيديولوجية هذا الحزب السياسي المتطرف في فرنسا لأنه قوة سياسية معارضة فاعلة يشهد شعبه كبيرة ومتزايدة في فرنسا، فلا أحد ينكر القاعدة الجماهيرية التي يتمتع بها هذا الحزب الراديكالي لاسيما في بعض النواحي وضمن بعض الفئات المهنية. وفي السنوات الأخيرة أصبح هذا الحزب المعارض قوة انتخابية كبيرة في فرنسا حيث برهن على التقدم التدريجي في أهم الانتخابات والاستحقاقات السياسية بحشده عددا كبيرا من المناضلين والمؤيدين لسياساته الذين صوتوا لصالحه. وكما يعلم الجميع أن كل حزب سياسي يسعى إلى الوصول إلى السلطة وتطبيق أفكاره وبالتالي برنامجه السياسي، لكن حزب التجمع الوطني الفرنسي بالإضافة إلى هذا فإنه يحمل أيدولوجية خطيرة ومغلقة مضادة للتعايش السلمي ومبادئ الديمقراطية، ويضم كراهية مريرة وواضحة لكل من ليس لديه ثقافة وأصول غير غربية/فرنسية أي الأجانب الآخرين وخاصة المسلمين. ومن هنا يبرز السؤال التالي والهام في هذا المقال: كيف تحولت أيدولوجية الإقصاء لحزب الجبهة الوطنية المتطرف في المجتمع الفرنسي من أيدولوجية عنصرية معادية للأجانب إلى أيدولوجية سياسية معادية للإسلام ومناهضة للمسلمين والتي تؤدي إلى المزيد من التمييز العنصري والتهميش والإقصاء؟

أولا: مفهوم التطرف السياسي

يعرف مصطلح "التطرف" من حيث هو ظاهرة اجتماعية كونية معقدة إذ لا يرتبط بشعب أو بلد أو فئة أو دين، وتعد هاته الظاهرة الخطيرة المتمثلة في التطرف والتعصب آفة العصر حيث تحتل موقعا سلبيا ومتناميا في كل المجتمعات البشرية منذ أقدم العصور. هذا المصطلح الذي جرت

حولته دراسات أكاديمية وميدانية متعددة له دلالات سلبية، وله معاني مختلفة، وليس له تعريف متفق عليه وموحد. لكن أغلبية المفكرين يعرفونه بأنه: الابتعاد عن كل المعايير المقبولة والنظرة الوسطية المتعارف عليها بالأغلبية في أي مجتمع. بمعنى آخر هو كل فرد أو جماعة تحمل فكرا وسلوكا متطرفا غير وسطي يتميز بالمبالغة والإفراط في الفكر والممارسة وتجاوز حد الاعتدال. ومنه فالتطرف المبني على المغالاة والتشدد والأحادية في التفكير والرأي يشكل مصدرا رئيسا للنزاع والصراع في العالم. حيث يدعو الرجل أو الفرقة المتطرفة إلى نصرة عصبها بالمحاربة والمدافعة حتى بالقوة، ويرى حامل الفكر المتطرف أن جماعته والموالين لأفكارها أنها دائما على حق، ويرى الآخر الذي لا يشاركها أفكارها على باطل بلا حجة أو برهان وفي الكثير من الأحوال يوصف بالعدو.

يدعم المتطرف وبكل السبل المتاحة توجهاته ومصالحه ومكتسباته، ففي عالم مشحون بالتوترات ويموج بالخلافات والصراعات يظهر هذا الفكر المتعصب وهذا الشعور المتشدد الخاص والمنعزل بصورة ممارسات ومواقف متزمتة متطرفة في كل المجتمعات. بصفة عامة إن أيديولوجية التطرف التي أخذت تزداد يوما بعد يوم تؤثر قطعاً على عقليات وسلوكيات وحتى سيكولوجية الفرد والمجتمع معا. ويمكن أن يتحول التطرف في حدود الزمان و المكان إلى انتهاكات وعنف شديد يؤدي بالتالي إلى أفكار أيديولوجية خطيرة تتحول في الواقع إلى جرائم وأعمال إرهابية ضد مصالح المجتمع والدولة. فعلى سبيل المثال نجد أنه في كل الأحزاب السياسية المتطرفة في العالم تيارات عنيفة لها أفكار نمطية مفرطة ذات مخاطر أكبر بانتهاك الحريات الأساسية وحقوق الإنسان. وبصفة عامة يتميز الفكر الراديكالي بالتحجر والتعصب لأفكاره غير قابلة للمفاوضة أو التسامح ويصبو إلى التغيير الشامل وبشكل جذري، كما يسعى بكل الطرق إلى إجبار الآخرين على قبول أفكاره وقد يعتدي عليهم بالقوة حتى يتبنوا فكره ويسلكوا ذات السلوك. وتدخل استخدامات التسمية "الراديكالية" في تحليل الديناميكية الراديكالية نفسها : من خلال تعديل الهويات المنسوبة سابقا إلى الحركات التي تعتبر الآن أو ينظر إليها على أنها جذرية، فإنها تعدل أيضا خطوط السلوك التي يتعين اعتمادها فيما يتعلق بها ثم إعادة تكوينها لعملية التضامن والتحالفات المحتملة، والاستراتيجيات القابلة للتفكير، وفي النهاية موقعهم في اللعبة السياسية.¹

¹ Annie Collovald, Brigitte Gaïti (dir.), *La démocratie aux extrêmes. Sur la radicalisation politique* (Paris: La Dispute, coll. Pratiques politiques, 2006), p.23.

هناك عدة أشكال هامة من التعصب أو التطرف: التعصب الفكري، التعصب الديني، التعصب الأيديولوجي، التعصب القومي، التعصب الديمقراطي، التعصب الوطني، التعصب الحزبي، والتعصب السياسي....الخ. فمثلا التعصب أو التطرف السياسي هو شائع حاليا في السنوات الأخيرة في الكثير من الدول الغربية الديمقراطية ولاسيما فرنسا. "التطرف المصحوب بالعنف ينال مباشرة من المبادئ المكرسة في ميثاق الأمم المتحدة ويهدد بشكل خطير السلام والأمن الدوليين. وليس هناك طريق واحد يؤدي إلى التطرف المصحوب بالعنف. ولكننا نعلم أن التطرف ينمو حينما تنتهك حقوق الإنسان، ويقلص الحيز السياسي، ويتجاهل تطلعات الإدماج، وحينما يفتقر عددا كبيرا من الناس - لاسيما الشباب - إلى آفاق أمامهم وإلى معنى لحياتهم"¹.

وجدير بالذكر أنه إلى جانب التطرف الديني فالتطرف السياسي هو من أخطر أنواع التطرف، المتطرفون في الميدان السياسي الحاملين لإيديولوجية مغلقة يريدون تغيير النظام السياسي والاجتماعي للدولة من جذوره كليا وتطبيق أفكارهم الأيديولوجية بالإقصاء و النقد والانغلاق بتكريس تصوراتهم السياسية الأحادية بدلا من الانفتاح و الحوار. وبهذا يشكل التطرف السياسي المتنامي في المجتمعات الغربية الديمقراطية وخاصة في فرنسا اعتداء صارخا على حقوق وحرريات الأفراد والجماعات وخاصة الأقليات ولاسيما المسلمة منها. عن طريق خطاب سياسي مغلق وصدامي ذات خلفية شعبية ودائما حاقد، يصور الثلاثي المتواجد بطريقة قانونية أو لا بفرنسا (الأجنبي/المهاجر/المسلم) بالعدو الداخلي الرئيسي ومصدر كل المشاكل التي تتخبط فيها فرنسا عليه يجب صده بكل الوسائل.

كما أن هذه الأيديولوجية السياسية الخطيرة المترسخة بفرنسا تتضاعف و تتقوى مع توظيف تاريخ الشعب وثوابت المجتمع لاستقطاب الكثير من الفئات الاجتماعية وخاصة المحرومة والمتعطشة للتغيير. فالتطرف السياسي بفرنسا يتمثل بالخصوص في حزب التجمع الوطني المعارض الذي يطرح أفكارا سياسية استقصائية ومستفزة تمس حقوق وحرريات المهاجرين وبخاصة المسلمين منهم. فيلجأ إلى نشر الخطابات الداعمة بفعل فوضى الطموحات المتنامية لاستقطاب المواطنين المتطرفين، فيوظف دائما الهوية، المواطنة، الانتماء الوطني والإسلام في المنافسات الانتخابية ويعطيها معنى إيديولوجي. ويصور دائما المهاجر بالأجنبي بل حتى الفرنسي ذي الأصول الأجنبية

¹ بان كي مون هو الأمين العام للأمم المتحدة، لنتحد من أجل منع التطرف المصحوب بالعنف، (7 نيسان/أبريل، 2016)

"المسلمة" مستخدما العدوان اللفظي المستمر، وعليه يشكل هذا الحزب السياسي المتطرف تهديدا خطيرا على تعايش واندماج الأقليات في المجتمع الفرنسي المعاصر المتعدد الثقافات والعقائد وبالتالي يهدد حقيقة وفعلا الأمن والديمقراطية في فرنسا.

ثانيا: لمحة تاريخية عن حزب اليمين المتطرف الفرنسي "التجمع الوطني"

إن جذور التطرف السياسي في فرنسا قديم فهو نابع في الحقيقة من الثورة الفرنسية 1789¹ ثم تطور هد الفكر الأيديولوجي المتطرف إلى تيارات أكثر تطرفا وتبلورت أفكارها غير المعتدلة تدريجيا حسب الظروف والحقب حتى أصبح حاليا ممثلا بحزب التجمع الوطني. فحزب اليمين المتطرف الفرنسي هو حزب سياسي معارض، تأسس سنة 1972 من طرف المناضل المتطرف الفرنسي "جان ماري لوبان"² الرئيس المؤسس وزعيم الجبهة الوطنية. اذ يرمز له بشعلة ألوان العلم الفرنسي، فهي هوية ورمز لهذا الحزب. في 5 أكتوبر 1972 أصبح "جان ماري لوبان" رسميا رئيسا لهذا الحزب، ووضع في بداية مشواره السياسي مسألة "الهوية الوطنية" في قلب مشروع الحزب. وتاريخيا يعتبر الرجل الثاني في الحزب "فرونسا ديبار اديلوجي" من أهم المفكرين الأيديولوجيين للحزب و صاحب الشعار الإيديولوجي المعروف سابقا عند هذا الحزب "مليون عاطل عن العمل هو مليون مهاجر زائد"³. كما يعتبر هذا الحزب المتطرف أكبر حزب يميني قومي في فرنسا. شارك جان ماري لوبان في الانتخابات الرئاسية الفرنسية لأول مرة سنة 1974 تحت خطابات شعبية قوية ضد المهاجرين والأجانب فتحصل على نسبة 0.74 بالمائة.

وبعد نضال سياسي مستمر تطور هذا الحزب في سنوات الثمانينات فتوسعت قاعدته وتقوى بتوحيده كل التيارات اليمينية المتطرفة الأخرى. في سنوات التسعينات تميزت التصريحات السياسية لجون ماري الأب بالعنصرية والمثيرة للاستياء بشأن المسلمين واليهود والسود والمهاجرين. تصريحاته السياسية الصادمة أثارت استياء المهاجرين وكل الأقليات بفرنسا والكثير من الفرنسيين، إذ رفعت ضده عدة جمعيات العديد من الدعوات القضائية لتحريضه على الكراهية والعنصرية. وفي سنة 1986 حقق الحزب قفزة نوعية كبرى في الانتخابات التشريعية التي جرت بنظام اللائحة النسبية

¹ Sous la direction de Michel Winock, *Histoire de l'extrême droite en France* (Paris: Points histoire Pocket Book, 2015), p.55.

² جان ماري لوبان، سياسي فرنسي متطرف ولد سنة 1928 بفرنسا. يعتبر مؤسس و الزعيم الروحي لحزب الجبهة الوطنية الحزب المتطرف الفرنسي، أصبح نائب بوجاتسيت سنة 1956 وقد شارك لمدة قصيرة في حرب الجزائر (1954-1962)، ويقال أنه قد فقد عينه في تلك الحرب. ويعتبر من أكبر السياسيين المتطرفين عداوة للأجانب والمهاجرين. له تصريحات ناقدة ولهجة معروفة تنم عن العنصرية والتحيز.

³ Cécelie Alduy Stéphane Wahnich, *Marine le Pen prise aux mots*, (Paris: Seuil, 2015), p.73.

حيث فاز بـ35 مقعداً، مما مكنه من إنشاء أول مجموعة برلمانية متطرفة داخل قبة البرلمان الوطني الفرنسي.

ووصل هذا الحزب اليميني المتطرف لأول مرة إلى الدور الثاني للانتخابات الرئاسية سنة 2002 بقيادة جون ماري لوبان (والد مارين لوبان ومؤسس حزب الجبهة الوطنية) بعد الإقصاء المفاجئ للمرشح الاشتراكي "ليونيل جوسبان". ولكن في النهاية فاز الرئيس المرشح "جاك شيراك" بعد إعلانه للتعبد العامة في فرنسا ضد الحزب المتطرف لسد الطريق على "جان ماري". فتحالفت معه كل القوى السياسية والجمعيات المدنية والنقابات. شكّل هذا النجاح الانتخابي "الظرفي" لليمين المتطرف صدمة قوية للمجتمع الفرنسي والطبقة السياسية. حيث تأكد للمجتمع الفرنسي وجود نسبة معتبرة غير ضئيلة من الفرنسيين لديهم أفكاراً عنصرية ضد الأجانب، ملتفين حول مشروع حزب اليمين المتطرف. نجد بعض الجماعات المتطرفة التي تشارك هذا الحزب إيديولوجيته وتسعى في كل مناسبة للقيام بعمليات مسلحة و عنفية، فمثلاً عثرت المخابرات الفرنسية في حوزة بعض المعتقلين المتطرفين من المجموعة في يونيو 2018 على كثير من الأسلحة (بنادق ومسدسات) وقنابل بدائية وسكاكين وخناجر كذلك، حيث أن أفراد الخلية المسلحين كانوا يتدربون على الرماية في نوادٍ متخصصة، وعمدوا إلى تحضير مخابئ للسلاح والمواد الغذائية تحسباً لمعركة قادمة في المجتمع الفرنسي ضد كل ما يصفهم بالأجانب وعلى رأسهم المسلمين¹.

أما في سنة 2011 أطاحت "ماري لوبان" بوالدها وبالقيادات التي كانت تدور في فلكه، ليحمل الأب فقط لقب الرئيس الشرفي، وأصبحت الرئيسة الفعلية للحزب المتطرف الفرنسي، حيث انتخبت في جانفي 2011 رئيسة لحزب الجبهة الوطنية. فغير هذا الأخير من خطاباته وأصبحت أقل حدة ومزجها بالمبادئ الإنسانية ولكن لم يستطيع تغيير فكره وأيديولوجيته العنصرية المعادية للسامية والأجانب. ولمنح دفعة جديدة للحزب المتطرف ولأجل طي صفحة تاريخية سلبية وغير مشرفة غير هذا الحزب السياسي المتطرف اسمه من الجبهة الوطنية إلى التجمع الوطني سعياً منه لتغيير صورته ونظرة المعادين له. وهي محاولة منه من أجل تجنب شيطنته في المجتمع الفرنسي، وحتى يحاول في إطار إستراتيجية حزبية انتخابية مستقبلية تتماشى مع التطورات السياسية الجديدة و للتحالف مع أحزاب أخرى يمينية بحثاً منه للوصول إلى السلطة العليا. ولكن احتفظ برمزه المعروف أي "الشعلة التاريخية" التي ترمز إلى الاستمرارية. فقد قالت الرئيسة الجديدة للحزب:

¹ "مخاطر اليمين المتطرف في أوروبا... فرنسا وتنامي التيارات الشعبوية"، تقارير المركز الأوروبي، دراسات المركز الأوروبي (14 يونيو 2019).

حمل هذا الحزب المتطرف اسم "الجهة الوطنية" تاريخاً ملحمياً مجيداً لا ينبغي لأحد أن ينكره لكن كما نعلم بالنسبة للعديد من الفرنسيين فإن هذا الاسم أصبح مكبح نفسياً. بالنسبة للسيدة لوبان فإن هذا الاسم الجديد (التجمع الوطني) "يجب أن يعبر عن الرغبة في توحيد الصفوف. في الوقت الذي تتوق فيه الغالبية العظمى من الشعب الفرنسي إلى لم شمل جميع الطاقات، ويجب أن يكون هذا الاسم صرخة حاشدة ، دعوة للانضمام إلينا.¹

حقق الحزب المتطرف في الانتخابات الرئاسية سنة 2012 مفاجأة من العيار الثقيل إذ تجاوز الدور الأول لانتخابات الرئاسية حيث فازت لوبان بـ 17.9 بالمائة من الأصوات وهي أحسن نتيجة حققتها الجبهة الوطنية عبر تاريخها، تدعو زعيمة الحزب المتطرف "مارين لوبان" للخروج من الاتحاد الأوروبي وإغلاق الحدود وفرض مبدأ الأفضلية للفرنسيين وإعادة الكلمة إلى الشعب. في الحقيقة يظل حزب اليمين المتطرف معتمداً على ثقافة سياسية مغلقة ورؤية إيديولوجية للعالم تتعارض مع نماذج التحرر والتسامح الخاص للأجانب الأكثر عالمية فهو يفضل الحساسية الجمهورية، ويبقى الأكثر ترحيباً للفروق العرقية². فهو يرمز دائماً إلى أسطورة المنقذ والخوف من الآخر، ورفض الأجنبي الذي يغمر كل خطاب حالياً مارين لوبان فيسلط الضوء على كراهيتها للنخب، وازدراءها للتقاليد البرلمانية والهيئات الوسيطة، يندر بممارسة سلطوية متطرفة للسلطة. ونلاحظ في السنوات الأخيرة انتشاراً ملفتاً للنظر لأفكار وشعارات اليمين المتطرف سياسياً واجتماعياً وفكرياً في عدة ميادين من دون أية عقدة في المجتمع الفرنسي، مما يعكس هذا التطور الراديكالي للحزب المتطرف تغير واقع الحال في المشهد السياسي الفرنسي. ساعدت المعطيات الخارجية والداخلية على ترسيخ ونشر إلى حد بعيد الأيديولوجية المتطرفة التقليدية لحزب التجمع الوطني.

ثالثاً: المفاهيم الإيديولوجية لحزب التجمع الوطني المتطرف

1. الدفاع عن الهوية الوطنية

لا بد لنا من الأرجح أن نحاول تعريف مفهوم الهوية والتي هي مفهوماً فلسفياً هاماً متغيراً وليس ثابتاً في العلوم الاجتماعية والإنسانية مشتركا مع مفهوم الاثنية. فهي تتقوى مع تداخل العلاقات بين الأفراد والجماعات فتكون النشاطات المعقدة للحياة الاجتماعية³. بمعنى آخر الهوية

¹ https://www.lemonde.fr/politique/article/2018/06/01/marine-le-pen-annonce-que-le-front-national-devient-rassemblement-national_5308450_823448.html

² Grégoire Kauffmann, *Le nouveau FN* (Paris: Seuil, 2016), p.100.

³ Baudry, Robinson, Jean-Philippe Juchs, « Définir l'identité », *Hypothèses*, vol.10, no. 1 (2007), pp.155-167.

هي الخصائص والسمات الاجتماعية والثقافية المشتركة التي يتميز بها المواطنين في أي مجتمع، تغذي روح الانتماء لدى كل المواطنين، ولها أهميتها في تماسك المجتمع ورفع شأن الدولة وازدهارها. وترتكز الهوية على معطيات ثقافية متداخلة ومتفاعلة ومتأثرة بعضها ببعض. وتتأثر بعدة عوامل خارجية مثل التاريخ، المعتقدات الدينية، المواقف الأخلاقية، والآراء السياسية... الخ. في الحقيقة مفهوم الهوية الوطنية نفسه في غاية التعقيد فهو مفهوم أعم وأشمل وأعمق وأصعب تحديدا لأن الهوية نفسها مفهوما متحركا متطورا ومتجددا. فمفهوم الهوية ظهر في العالم الانجلوسكسوني بحكم وجود أقلية مضطهدة التي أرادت التحرر من الطبقة المهيمنة. ويعود أصل هذا المفهوم في الواقع إلى حرب 1870، وأمريكا والتي كانت أساسية في تاريخ الهويات القومية في أوروبا ، لأنه في هذه المرحلة تشكلت الدولة القومية كما نعرفها اليوم¹.

فضلا عن هذا تعتبر مسألة "الهوية الوطنية" من أهم النقاط التي يبني عليها الحزب السياسي المتطرف الفرنسي إيديولوجيته وخطابه السياسي في فرنسا. حيث يقوم دائما بطرح أسئلة سياسية حساسة و استفزازية ذات بعد إيديولوجي حول مكانة الهوية الوطنية في المجتمع الفرنسي، إذ يستنجد ويطرح الهوية الوطنية كمفهوم عام استقصائي ويعطي لها معنا سلبيا جدا و متأزما (أزمة الهوية) تحت أفكار صدامية مغلقة مبنية عن العنصر الأصلي للفرد أي على أساس الجنس والأسبقية. فبحسبه هذا المفهوم الهوياتي المغلق حول السؤال التالي من هو الفرنسي؟ هدفه المحافظة على الأصول المسيحية البيضاء لفرنسا وأوروبا. فيربط دائما مسألة الهوية بالهجرة وبضعف النسيج الاجتماعي الفرنسي، وبالنسبة له النقاش السياسي حول الهوية الوطنية هو مطلب شعبي مشروع فيحاول دائما طرح فكرة تحديد ماهية المواطن الفرنسي، ويشكل نقاش متجدد لهذا الحزب المتطرف ومشروعه السياسي. إذ انتقلت هاته الأفكار الحادة إلى وسائل الإعلام الفرنسية وأثارت حساسيات وجدالا واسعا في أوساط النخبة (السياسية، الإعلامية، المثقفة...).

إن تعبير "الهوية الوطنية" عبارة شاعت شعبيا في الفضاء الفرنسي العام من قبل "جان ماري لوبان" خلال الثمانينيات، إذ استخدمت ضد أولئك الذين لديهم هوية أخرى، وخاصة المهاجرين. في السابق كانت تطرح بعبارات أخرى عن طريق مفاهيم مثل "شخصية" "روح" أو "فكرة" أو "خصائص" وطنية وهي تقريبا نفسها². ويعتبر الهجرة والمهاجرين خاصة المسلمين مصدر مشاكل

¹ Régis Meyran, *Le mythe de l'identité nationale* (Paris: Berg International, 2009), p.8.

² Ibid., p.8.

متعددة للمجتمع وبالتالي خطر على وحدة وانسجام الهوية الوطنية الفرنسية. فالمهاجرين الغير أوروبيين و يشير بطريقة غير مباشرة إلى المسلمين بحكم التقاليد وثقافتهم المختلفة وخاصة الدين الإسلامي لا يستطيعون وليست لهم أية إرادة للاندماج في المجتمع الفرنسي، وبالتالي يشكلون عائقا وخطرا على انسجام وبقاء الهوية الفرنسية. إن هذه الأيديولوجية الراديكالية قد عززت لصور النمطية السلبية والأحكام المسبقة في المجتمع الفرنسي. الهوية الوطنية بالنسبة له هي تاريخ قديم متوارث للأمة الفرنسية مبني حصريا على العنصر البشري الأصلي الفرنسي الغربي، ويشكك في كل مناسبة سياسية حتى في هوية الفرنسيين «من أصول مهاجرة». مضيفا أن قدرة فرنسا على استيعاب ودمج المهاجرين هو مشكل كبير قد يفقد هوية فرنسا التاريخية، فطرح مفهوم الهوية في المجال السياسي ومن هاته الزاوية يخفي أحكام عنصرية مسبقة و قوالب نمطية سلبية مرسخة. ففعلا هاته الإشكالية المتجددة تثير انتقادات واسعة ومتزايدة في المجتمع وخاصة في الطبقة السياسية (اليسارية و أقصى اليسار)، وجدير بالذكر أن هذا الطرح السياسي المتطرف يعكس ما يروج به المجتمع الفرنسي من انقسامات واختلافات حول هذا المفهوم المعقد وأبعاده الذي تكثر فيه التأويلات والتفسيرات. فينبغي الإشارة هنا إلى أن فرنسا تضم أكبر جالية إسلامية في أوروبا لأسباب عديدة منها تاريخية وسياسية واقتصادية. فبنسبة لكل مهاجر في العالم "يبقى التمسك بالهوية بالنسبة إلى المنفي مثل الجسر بين الماضي لا يمكن نسيانه، ويأبى إلا أن يظل برأسه، وبين حاضر قد يدوم أو لا يدوم، وما بين الماضي والحاضر فثمة المستقبل الذي لا يزال برحم الغيب. الماضي يختزن بصور و انعكاسات و أحداث و وقائع و تصورات و آمال و خيبات و أحزان و أفراح، وبين حاضر ملتبس و غامض و متناقض".¹

وللأمانة قد أصبح المجتمع الفرنسي المعاصر خليطا من الثقافات والأعراق ذوي الأصول المختلفة والمتنوعة (مجتمع متعدد الأثنيات والثقافات). فسواء المؤسس التاريخي للحزب جون ماري لوبان أو ابنته حاليا ماريين لوبان يوظفان بقوة و يضعان مسألة "الهوية" المحور الأساسي لجميع حملاتهما الانتخابية في كل مستوياتها الرئاسية أو التشريعية أو البلدية. فالتوظيف الأيديولوجي المستمر لمفهوم الهوية في إطار معنى أحادي ومغلق يعكس طريقته السياسية الممنهجة وعمق عقلية الحزب المتطرف في فرنسا. فهذا هو الانطباع السائد لدى المخيلة الشعبية في عقلية هذا الحزب

¹ عبد الحسين شعبان، الهوية والمواطنة: البدائل الملتبسة والحداثة المتعثرة (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2017)، ص 123

المتطرف. أما النقاش والجدال المستمر داخل الحزب و خارجه يرسخ جليا شعورا للأقليات و خاصة الأقلية المسلمة بالتمهيش والإقصاء (التمييز العنصري). ويحفز بخطاب استبعاد الآخرين الذين لهم ملامح غير أوروبية و حتى إيدائهم. كما يساهم أيضا هذا المعنى الأيديولوجي للهوية في إصدار أحكام مسبقة وتصنيف المواطنين أو إجراء ردود فعل دوما متحيزة على «التنوع» التسامح وقبول الآخر. ففي الحقيقة أن المهاجر لا يشكل أي خطرا على الهوية الفرنسية، فنجد فرنسيين من أصول مهاجرة مندمجون في المجتمع و متشبثين بأصولهم وثقافتهم ويحملون بطاقة هوية ويتوجه إلى صناديق الاقتراع. فأصلهم الأثني لا يشكل أي عائق بل يشكل خطر فقط على عقلية المتطرفين الذين لهم مفهوم عنصري للأمة الفرنسية.

2. رفض الأقليات وفكرة التعددية الثقافية والدينية

تعتبر الأقليات العرقية والإثنية، من أهم المواضيع الأكثر حساسة والمثيرة للجدل في المجتمع الفرنسي المعاصر، يمكننا الاتفاق بأن تعريف الأقلية على أنها جماعة بشرية صغيرة تربطها بعض السمات المشتركة وتتمسك بخصوصياتها الثقافية والدينية أو الإثنية التي تميزها، و تعيش في مجتمع ما مرتبطة بجماعة أو جماعات أخرى. كل أقلية رغم خصوصيتها الوراثية أو المكتسبة ترغب دائما في الاندماج في المجتمع التي هي متواجدة فيه وهذا للحفاظ على وجودها وعلى حقوقها الفردية والجماعية. وتعد حقوق الأقليات جزء لا ينفصل عن حقوق الإنسان. فمسألة أو موضوع الإحصاءات الإثنية بفرنسا يبقى مرفوضا وممنوعا لحد الآن من طرف السلطات. فالجمهورية الفرنسية لا ترغب بل تمنع أي تصنيف على أساس إثني أو عرقي في المجتمع على عكس الدول الأنجلوسكسونية. لهذا السبب لا نستطيع إعطاء رقم محدد وصحيح لنسبة المسلمين بفرنسا. ولكن هناك الكثير من المثقفين والباحثين في العلوم الاجتماعية من يطالب بإلحاح من الحكومة الفرنسية عن التخلي عن هذا الموقف السياسي ورفع هذا الحذر حتى يتسنى للجميع معرفة حقيقة الأقليات المتواجدة بفرنسا، وكذلك لقياس نسبة العنصرية و مكافحة التمييز والحد منه عن طريق "الأدوات الكمية". وحسبهم لا يوجد أي مانع علمي أن نثير نقاشا هادئا وبناءا حول مسألة الإحصائيات الإثنية بفرنسا، حيث أصبح المجتمع الفرنسي المعاصر متعدد الثقافات و الأعراق وبأديان متنوعة، فهناك فرنسيين من أصول مختلفة. هذا الوجه الجديد للمجتمع الفرنسي ما هو إلا نتاج لسياسة فرنسا الديموغرافية. فنجد في المجتمع الفرنسي الذي أصبح مجتمعا متعدد الثقافة متكون من طبقات اجتماعية وعرقية مختلفة. "إن أصل منشأ الالتباس في موضوع "الأقليات" لا يقتصر على القوانين

الدستورية والممارسات العملية، بل يمتد إلى القانون الدولي أيضاً¹. لذلك تحتاج مقاربتها إلى مزيد من الدقة والرؤية والضبط المنهجي.

ترفض الإيديولوجية المتطرفة للتجمع الوطني فكرة التعددية الثقافية، ويعتبرها كسبب اختلاف واختلال القيم والمعتقدات والعادات والتصورات الفكرية. ويضيف على أن سكان فرنسا الأصليين والمهاجرين ليست لهم نفس الثقافة و نفس نمط الحياة مما أدى إلى الخوف وانعدام الثقة في المجتمع. فيؤكد أن المهاجرين خاصة غير الأوروبيين وبالخصوص المسلمين بأنهم غير قادرين على الاندماج التام والانسجام مع متطلبات الديمقراطية والتعددية وحقوق الإنسان في فرنسا. السبب الرئيس يكمن في ثقافتهم الأصلية المغلقة. ومن هنا يؤكد على أنه هناك إخفاق تام للتعددية الثقافية وأن الحضارة الأوروبية/الفرنسية تتعرض للتهديد وحتى التدمير.

يرفض التجمع الوطني هوية الأقلية المسلمة إذ يصفها بأنها خطر على هوية المجتمع الفرنسي، ففرنسا تخضع لعملية تحول ديموغرافي عميق، في ظل العولمة والتعددية الثقافية والدينية. عرفت الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية الأقلية بما يلي: الأقلية جماعة من الأفراد الذين يتميزون عن بقية أفراد المجتمع عرقياً أو قومياً أو دينياً أو لغوياً، وهم يعانون من نقص نسبي في القوة، ومن ثم، يخضعون لبعض أنواع الاستبعاد والاضطهاد والمعاملة التمييزية². بينما تناولت الموسوعة الأمريكية الأقليات على أنها: جماعات لها وضع اجتماعي داخل المجتمع أقل من وضع الجماعات المسيطرة في المجتمع نفسه، وتمتلك قدراً أقل من القوة والنفوذ وتمارس عدداً أقل من الحقوق مقارنة بالجماعات المسيطرة في المجتمع، وغالباً ما يحرم أفراد الأقليات من الاستمتاع الكافي بامتيازات مواطني الدرجة الأولى. أما مسودة الاتفاقية الأوروبية لحماية الأقليات فتقرر أن مصطلح الأقلية يعني جماعة عددها أقل من تعداد بقية سكان الدولة، ويتميز أبنائها عرقياً أو لغوياً أو دينياً عن بقية أعضاء المجتمع، ويحرصون على استمرار ثقافتهم أو تقاليدهم أو ديانتهم أو لغتهم³. فبالنسبة لكل القوانين العالمية المصادق عليها من كل الدول وخاصة الديمقراطية أن للأقلية الحق في المساواة وفي عدم التمييز؛ والحق في الجنسية، والعيش الكريم.

3. معاداة سياسة الهجرة والمهاجرين

¹ المرجع نفسه، ص 126.

² دافيد آل وآخرين، الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية (القاهرة: المركز القومي لترجمة، 2015).

³ https://www.ohchr.org/Documents/Publications/HR-PUB-12-07_ar.pdf

يتميز الحزب التجمع الوطني الفرنسي المتطرف بزعامة مارين لوبن بخطاباتها الهجومية والسلبية المتكررة ضد المهاجرين. فخطاباتها السياسية التقليدية ومواقفها المبنية على الأفكار الرجعية تظهر دائماً في حملات انتخابية سابقة لأوانها، مرتكزة على كره شديد "مرضي" و التحريض ضد المهاجرين وخاصة المسلمين المتواجدين بفرنسا. هذا الخطاب السياسي الممنهج يظهر جلياً خلال تصريحات عنصرية ومسيئة للمهاجرين من حين إلى آخر من طرف رئيسة الحزب أو إطارات ومناضلين في الحزب. فيصور دائماً المهاجرين وعلى رأسهم العرب والمسلمون بأنهم السبب الرئيسي في ارتفاع نسبة البطالة والجريمة في فرنسا وأن غياب الأمن في بعض المناطق خاصة في ضواحي المدن الكبرى المركز الرئيسي للمسلمين في فرنسا، سببه الرئيسي التصرفات أو السلوكيات العنفية وغير المسؤولة للشباب الفرنسي المنحدر من جذور مهاجرة خاصة من جذور مغربية التي أفست المجتمع الفرنسي. و متهمة الأجنبي الذي لا يحمل الجنسية الفرنسية (المقيم) باستغلال الخدمات الاجتماعية و"بسرقة" موارد البلاد وتهديد هويتها الحضارية. هاته التصريحات الشعبوية التي وجدت لها فضاء إعلامياً واسعاً غدت الأفكار المتطرفة في المجتمع الفرنسي، وأدت من تصاعد مشاعر العداء تجاه المهاجرين خاصة المسلمين الذي يمثلون فقراء ومهمشي المجتمع الفرنسي. فقد خلقت الإيديولوجية المتطرفة عدو وهمي في المجتمع الفرنسي عن طريق إثارة مشاعر الكراهية و العداء ضد المهاجرين والمسلمين حتى تؤثر على الرأي العام الوطني. ويستثمر الحزب المتطرف هذا الخطاب المناهض للمهاجرين في الانتخابات حول ثنائية "نحن وهم". أي صناعة عدو وهمي. "صناعة العدو وتسويد صورته على نحو مستدام، تلعب دور المفاعل النووي الذي لا ينطفئ بالنسبة إلى كل عصبية من العصبية، حيث أنها تستمد جميعاً أسباب وجودها وبقائها من وجود هذا العنصر".¹ فنلاحظ توظيف حزبي مستمر لهاته الممارسات كمبرر لنداءات العنصرية والكراهية والإقصاء ضد المهاجرين. "لم يتوقف لوبان من تحضير هاته الأرضية السياسية باستمرار، لدرجة أنه يفرض هذا الموضوع في النقاش العام فأصبح ضرورياً اليوم".²

وتجسد هذا الخطاب الأيديولوجي بالتهجم المستمر على الإسلام كديانة بشكل يستفز كل المسلمين. تركز هذه الحملة السياسية على خطاب هجومي مكون من مفردات مشحونة مثل (الإرهاب، التعصب، المهاجر، الإسلام... الخ)، التي تريد من خلالها ترسيخ انطباع سيء وصورة قبيحة قاتمة عن الإسلام والمسلمين. فيوهم هذا الحزب على أنه هناك مبررات للصدام مع المجتمع

¹ فردريك معتوق، مجتمعات ودول العصبية إلى أين؟ سوسيولوجيا العصبية (بيروت: منتدى المعارف، 2018)، ص 181.

² Cécélie Alduy, Stéphane Wahnich, Marine le Pen prise aux mots (Paris : Seuil, 2015), p.73.

الفرنسي بصفة خاصة والغرب بصفة عامة. فلا يتردد وبدون أية عقدة بنيته أد تسلم السلطة في فرنسا أن ينزع الجنسية الفرنسية عن أولئك الفرنسيين من أصول عربية أو مسلمة الذين ارتكبوا جنح في فرنسا الذين تحصلوا عليها تلقائيا كونهم من مواليد فرنسا. فتعامل الحزب المتطرف مع مسألة الهجرة ليس كشأن سياسي داخلي بل كمشكلة دائمة، كما أثرت الخطابات المتطرفة المستمرة للحزب على نظرة المجتمع الفرنسي إلى المهاجرين. فتحوّلت صورة "المهاجر" "أو المسلم" في عقلية نسبة معتبرة من الفرنسيين إلى "غريب" وفي الأخير إلى "العدو الداخلي".

وبمواجهته المستمرة للمهاجرين يبني أسسه الأيديولوجية وبرنامجه الانتخابي على محاربة العرب والمسلمين. ويصف المسلمين بطريقة غير مباشرة بالتطرف والتعصب والانغلاق. ولكن إذا رجعنا إلى تاريخ المهاجرين في فرنسا فنجد ممتدا بعيدا في الدولة الفرنسية، فقد جلبت دائما مهاجرين أجنب لدمجهم في الاقتصاد الفرنسي وإنشاء البنية التحتية. ففرنسا تاريخيا هي أرضا للمهاجرين. المهاجرون الأوائل إلى فرنسا كانوا من أصل أوروبي أي من إيطاليا، اسبانيا، برتغال.... الخ حيث كانت فرنسا بحاجة إلى نسبة كبيرة لعمال لتحريك وإعطاء ديناميكية لعجلة الاقتصاد الفرنسي، تسمى بهجرة العمالة في القرن الـ 19. ثم ودائما لحاجة الاقتصاد الفرنسي لعمالة جديدة وقوية جاؤوا بمهاجرين ذوي أصول مغربية (الجزائر، تونس، المغرب) بحكم الاستعمار والوصاية الفرنسية لهاته المنطقة الإستراتيجية الهامة أغلبيتهم الساحقة مسلمين يرغبون في الاستقرار وتحسين أوضاعهم. هؤلاء الرجال الذي جاءوا كعزاب تزوجوا فيما بعد ووفدوا بأزواجهم أو تزوجوا بفرنسيات وأصبح ما يسمى بالزواج المختلط. ولكن على أرض الواقع وجدوا أنفسهم تحت ضغوطات متناقضة وتأثير خطاب سياسي وإعلامي مركز وموجه.

من البداية وفي هاته الظروف الصعبة وجد الحزب المتطرف مادة دسمة للنقد الأقلية المغربية المسلمة لأنها يوجد فيها نسبة كبيرة (الأباء) لا يتقنون اللغة الفرنسية جيدا لغة البلد وأغلبيتهم يعملون في مهن جد صعبة في المصانع الكبرى التي تحتاج إلى عضلاتهم أكثر من عقولهم لتحريك الآلات في المصانع عن طريق عمل روتيني. يعتبر الجيل الأول من المهاجرين العرب/المسلمين لم يتكلموا الفرنسية بطلاقة ولهذا لم تكن لديهم خيارات كثيرة للعمل في مجالات أخرى وظروف عيش مريحة. فقد استفاد كثيرا الاقتصاد الفرنسي من سواعد المهاجرين وخاصة المسلمين الأوائل. قام المهاجرون في الثمانينات بمظاهرات سلمية للمطالبة بحقوقهم في تحسين ظروف العمل والسكن من أجل المساواة وحياة كريمة تشبه حياة الفرنسيين، صحيح أنه ثمة تغير واضح ولكن

ليس بالقدر الكافي. فيما بعد جاء جيل جديد من أبناء العرب والمسلمين ممن ولدوا ونشأوا في فرنسا، وتعلموا في مدارسها وأتقنوا اللغة فوجدوا أنفسهم ضحية للعنصرية والتمييز مما انفجر الوضع الاجتماعي وحصلت، الاضطرابات التي شهدتها ضواحي المهاجرين بالمدن الفرنسية أواخر عام 2005، التي استغلها مرة أخرى أنصار اليمين المتطرف لطرح القضية من منظور متطرف آخر. وبقي لحد الآن ينتقد المهاجرين وسياسة الهجرة الفرنسية.

4. الاستثمار في الإرهاب المسمى "الإسلاموي"

يطرح موضوع أو إشكالية التطرف الديني أن ما أسماه الغرب بالتطرف "الإسلاموي" نفسه في الساحة العالمية كظاهرة اجتماعية وعنفية جد معقدة ومتعددة الأبعاد. ولا بد من الإشارة أن تاريخيا الفكر المتطرف الديني وجد في كل الأديان والمعتقدات، حيث تكونت هناك تيارات أو جماعات متطرفة باسم الدين لجأت إلى تأويل النص الديني المقدس وأعطته معنى آخر جد متطرف. وبالتالي أنه ليس من المنطق أن نربط التطرف والإرهاب المعاصر حصريا بالإسلام. يلاحظ من طرف الجميع أنه هناك تطرف باسم الدين الإسلامي فرض نفسه في العديد من المجتمعات حتى الغربية كفرنسا، حيث يعتبر الغلو في الدين من أسباب التطرف، في الحقيقة للتطرف الديني في الإسلام جذورا تاريخية بدأت منذ ظهور الفرق والمذاهب في الأمة الإسلامية. ومن أهم أسباب التطرف الديني في الإسلام هو الجهل بالدين والتعصب له. "فإذا كان الكتاب والسنة يتضمنان وفقط قواعد عامة في الأساس وبلا دخول في تفاصيل... ولأن الحياة تتجدد وتتشعب وتختلف يصبح الرجوع إلى (العام) غير كاف لضبط مستجدات الحياة المتجددة دوما، ومن ثم فقط اضطر الفقه إلى إقرار قاعدة حق العقل في ابتكار قواعد ملائمة للتعامل والعلاقات. ونشأ القياس المصالح المرسله القضاء بالقرائن الاستحسان الإجماع، وهي جميعا إنسانية المنشأ وبحاجة إلى أعمال العقل".¹ وفي السنوات الأخيرة أصبح الإرهاب العالمي باسم الإسلام المرتكب من طرف أفراد وجماعات متطرفة منسوب ليس فقط للمسلمين المتطرفين بل لكل المسلمين. وحسب جميع الملاحظين والمتخصصين أنه بشكل عام فرنسا هي الدولة الغربية الأكثر تضررا من الهجمات الإرهابية باسم الدين في أوروبا.

مع صعود الحركات الإسلامية المتطرفة في العالم أصبحت فرنسا هدف هجماتهم المسلحة. فرنسا لان في نظرهم البلد الغربي المسيحي الذي يكره الإسلام والمسلمين. والدليل مشاركتها في

¹ رفعت السعيد، العلمانية بين الإسلام والعقل والتأسلم (دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، 2001)، ص 27.

حروب خارجية ضد المسلمين (ليبيا، مالي...الخ)، وكذلك إلى القوانين "الاستقصائية" التي سنتها ضد الحجاب بفرنسا مثلاً. فقد أثارت الهجمات الإرهابية في السنوات الأخيرة التي استهدفت فرنسا والذي نفذها متطرفون إسلاميون معظمهم من (شبان فرنسيين من أصول مغربية)، ردود فعل النخبة السياسية الفرنسية من اليمين واليسار خاصة الحزب المتطرف بفرنسا. وعليه فقد أصبح هذا الشكل من العنف والإرهاب مصدر هاما لأيديولوجية حزب أقصى اليمين بفرنسا ويصفه "بالعدو الداخلي". فكل الطبقة السياسية الفرنسية أكدت أن هاته الهجمات الإرهابية قد استهدفت المجتمع الفرنسي برمته أي قيمه ونمط حياته وبالتالي ديمقراطيته. في الحقيقة ترتبط ظاهرة التطرف الديني لدى بعض الشباب في فرنسا إلى تأويل خاطئ لسور القران الكريم وكذلك إلى عوامل أخرى هامة مثل: البطالة، التهميش، العنصرية، الذي أدى إلى انعزال كثير من الشباب الفرنسي ذوي الأصول المسلمة وهذا الأمر عجل من بروز أفكار متطرفة وشكل حالة من الاغتراب الاجتماعي. فيصور الخطر الذي تمثله الهجرة وتزايد انعدام الأمن في فرنسا، من عام 1984 إلى عام 2015، المرجع الأساسي في خطابات لوبان، على عكس التباين الكبير في مواقفهم¹.

جميع التقارير الأمنية تؤكد على أن أغلب المتطرفين الشباب في فرنسا الذين ينشطون غالباً بشكل شبه سري وغير رسمي ليسوا أبناء المساجد ولا المراكز الثقافية الإسلامية كما يعتقد الكثيرون، فمعظمهم مسبوقين قضائياً في ملفات لا علاقة لها بالإسلام. ولهذا السبب صعب على أجهزة الاستخبارات الفرنسية متابعتهم. وفي هذا السياق، نجد كذلك خطاب الكراهية المبطن وممارسات عنصرية لدى الأجهزة الأمنية والاستخباراتية الفرنسية ضد المسلمين. يستغل حزب مارين لوبان المتطرف هاته العمليات المتطرفة القليلة و المعزولة (الاعتداءات إرهابية)² باسم الدين ويوظفها في خطابه الإيديولوجية. فتصف الأجانب المقيمين بفرنسا وخاصة المسلمين بأنهم منبع تهديد و مصدر حقيقي للإرهاب. فتحولت أنظار الفرنسيين وأصبحت مركزة على المسلمين بفرنسا، إذ أصبحوا ينظرون لهم بنظرة دونية وسلبية. فتبلورت في الوعي الجمعي الفرنسي صورة سلبية على المسلمين. في هاته الظروف الأمنية السلبية ربط واختزل اليمين المتطرف العمليات الإرهابية المنعزلة بالإسلام وبالمسلمين حتى يروج لأطروحاته وأفكاره الشيطانية ضد المسلمين. فيفرض عليهم ليس فقط الاندماج بل الانصهار الكلي في المجتمع الفرنسي والابتعاد عن ثقافتهم. نلاحظ أن هذ الحزب

¹ Hervé Le Bras, *Le pari du FN*, (Paris: Autrement, 2015), p,51.

² مثل هجمات شارلي ابيدوسنة 2015 بباريس.

المتطرف قد نجح لحد ما من فرض تواجده في الساحة السياسية الفرنسية باستثماره في إشكالية الإرهاب بفرنسا. فكل المراقبين و استطلاعات الرأي الفرنسية المتكررة تعطيه نسبة عالية حيث أصبح حاليا طرفا فاعلا وثابتا في كل الانتخابات.

5. من النظرة "العرقية" للمواطنة إلى مبدأ الأفضلية الوطنية

يعتبر مبدأ "الأفضلية الوطنية" عنصرا جديدا ومحموري لأيديولوجية اليمين المتطرف بفرنسا ونجد لهذا المبدأ مكانا كبيرا تقريبا في كل الخطابات و البرامج السياسية للحزب المتطرف التجمع الوطني. فهذا المبدأ الأيديولوجي الذي له قاعدة عنصرية وهدف استقصائي وكرهية الأجانب يقدم للفرنسيين بأنه مطلب ضروري لحماية مصالح الفرنسيين ضد كل الامتيازات المختلفة (المساعدة الاجتماعية) الممنوحة للأجانب ومن أجل الحد من المهاجرين. وتطرح هاته الفكرة السياسية الغريبة تحت الشعار "الفرنسيين أولاً". إذ تتلخص في ما يلي : "التوظيف للفرنسيين والسكن للفرنسيين". نستطيع أن نحلل هذا المبدأ بأنه معادي للأجانب حيث يصور هذا الأخير بأنهم يأخذون فرص أو مناصب العمل والسكن ويستفيدون من الخدمات الاجتماعية مثلهم مثل الفرنسيين. وللحد من هاته الامتيازات الحكومية يجب تطبيق مبدأ الأفضلية لهؤلاء الفرنسيين أي المولودين بفرنسا من أب إلى الجد. فعلى سبيل المثال أن العمل والسكن الاجتماعي وكل الخدمات الاجتماعية التي تمنحها الدولة سوف تعطى أولاً للفرنسيين. وكل أجنبي أو مهاجر يعيش في فرنسا ويحمل بطاقة الإقامة أو حتى الذين ولدوا في خارج فرنسا فانه ليس لديهم الحق المبدئي من الاستفادة من هاته الخدمات.

وكما هو واضح هذا المبدأ الأيديولوجي الخطير مبني على التمييز أي على أحقية فرد أو فئة على فرد أو فئة أخرى في نفس المجتمع. فهذا المبدأ الأيديولوجي يستعمل كمفتاح هام في كل الحملات الانتخابية سواء التي قام بها الأب جون ماري لوبان حيث صرح في ما مضى انه إذا فاز في الانتخابات الرئاسية 2002 فسوف يدخل مبدأ الأفضلية الوطنية كبند أول في الدستور. وأكد تكريس هذا المبدأ المستمر حاليا ابنته ماري لوبا حيث قالت هاته الأخيرة رئيسة الحزب في تصريح لإذاعة وطنية رسمية "أوروبا 1"¹ بأنها إذا فازت في الانتخابات الرئاسية المقبلة 2022 فإنها سوف ترسخ وتجسد هذا المبدأ في الدستور عن طريق استفتاء شعبي. يهدف هذا الحزب المتطرف إلى استقطاب الشعور السلبي وتسخير سياسيا لتوسيع قاعدته الشعبية. "هذا الشعار الذي يشترك المفاهيم ويعطيها

¹<https://www.sudouest.fr/france/marine-le-pen-veut-inscrire-la-preference-nationale-dans-la-constitution-via-un-referendum-5868467.php>

معنى شعبي مغاير هدفه نشر إيديولوجية التمييز أو حتى فكل الإقصاء: إذ لم يكونوا موجودين فكل شيء سيكون أفضل¹. فهو مبني على إعطاء المواطنة عن طريق الأفضلية للفرنسيين. بطريقة أخرى تعطي الحقوق والأفضلية للفرنسيين لأصحاب البشرة البيضاء. في الحقيقة يعتبر هذا المبدأ الشاذ معادي لقواعد الديمقراطية.

7. الإسلاموفوبيا

كما ذكرنا سالفاً أن مسلمين فرنسا يعتبرون أكبر أقلية موجودة في الغرب. هذا التواجد الكمي سببه الأساسي موجات الهجرة المتتالية الآتية بالخصوص من دول المغرب العربي خاصة (الجزائر، المغرب، تونس) ثم الدول الإسلامية الأخرى (الشرق الأوسط و آسيا و دول إفريقيا أخرى) وفي كل أنحاء العالم. ولا يفوتنا أن ننوه أن بمرور السنين أصبحت نسبة عالية من الفرنسيين يلاحظون ويرون بأم أعينهم تواجد أهم الممارسات الدينية للمسلمين في الفضاء العام اللاتكي مثل (الصلاة، الصيام، الحجاب، الحلال، وبناء المساجد...). وبناء على ذلك هاته الممارسات الدينية المختلفة والسلمية قد فاجأت ولم تعجب في الحقيقة نسبة كبيرة من الفرنسيين المتشبعين بالفكر اللاتكي وأحكام مسبقة ضد كل ما هو ديني. وعليه رسخت عندهم مفاهيم وتصورات سلبية مكملية الأحكام المسبقة ضد الإسلام والمسلمين.

في هاته الظروف المشحونة بدأ شعور بالخوف وبروز نقاشات وأسئلة متنوعة واستفزازية حول مدى ملائمة الدين الإسلامي لقيم الجمهورية الفرنسية وخاصة اللاتكية. هاته الأسئلة الحساسة رافقتها ممارسات عنصرية وتمييز في جميع الميادين ضد المسلمين في فرنسا. استغل المتطرفون هاته النقاشات وبدأوا يزرعون الخوف في أوساط الفرنسيين مدعين أن المسلمين غير قادرين للاندماج في المجتمع الفرنسي بسبب تشبهم بالدين الإسلامي. تطورت هاته النظرة السلبية حتى أصبحت فئة كبيرة في المجتمع باسم اللاتكية معادية للدين الإسلامي والإسلام. فحسب الباحث الفرنسي المتخصص "اللاتكية بفرنسا متعلقة في سياق تاريخي وسياسي محدد هي إرادة التخلي الدولة والمجتمع على تأثير الكنيسة الكاثوليكية والدين بصفة عامة. فاللاتكية الفرنسية تاريخيا هي قضية بين الدولة الجمهورية والديانة الكاثوليكية، تأسست ضد تدخل الأفكار الدينية في السياسية. إذن هي لائكية الصراع متميزة بالعنف اللفظي الذي نجده حاليا في الجدل ضد

¹ Reberieux Madeleine, « Connaître l'extrême droite pour la combattre : Antiracisme, multiculturalisme, minorités. Vrais débats et mauvaises querelles, » *Hommes et Migrations*, n°1197 (avril 1996), pp. 6-11.

الإسلام.¹ لقد صوروا الإسلام كدين معادي للعلمانية وللمجتمع الفرنسي. في هاته الظروف المشحونة بدأ يتبلور مفهوم الاسلاموفوبيا. ويجب التوضيح أن الاسلاموفوبيا ليست فقط خوفا كما يروج له الكثير من الباحثين في الغرب بل هي شعور سلبي مركب وممزوج بالخوف والكراهية ضد الإسلام والمسلمين. ولابد من التأكيد على أن الكراهية ضد المسلمين متغذية بصور نمطية ومقاربات سطحية. فهي في الحقيقة شكل جديد من العنصرية والإقصاء.

استغل اليمين المتطرف هذا الشعور السلبي ضد الإسلام والمسلمين في المجتمع وأدمجه بقوة في خطابه السياسية المركزة ضد المسلمين من أجل استقطاب متعاطفين والناخبين فمثلا لم يتوانوا من إطلاق حملات ضد الصلاة المسلمين يوم الجمعة في الساحات العمومية لضيق مساحة المساجد فيصورون هاته الشعيرة الإسلامية الممارسة في الفضاء العمومي بأنه تعدي صارخ لمبادئ العلمانية وقيم الجمهورية الفرنسية. ويقدم الإسلام كدين عنيف ويشجع على الإرهاب ويعتقد بتصادم الحضارات. ويؤكد في كل مناسبة من منع تكرار مثل هذه المشاهد في الفضاء العام، إذن فكرة معاداة الدين الإسلامي لقيت إقبالا كبيرا لأيديولوجية اليمين المتطرف لملاءمتها أفكاره الرافضة للآخر وما يحمله من عادات وثقافة ودين.² اليمين المتطرف يستمد قوته من تمثلاته حول الإسلام والمهاجرين المغاربة والثورة الجزائرية.² في خطابه الإقصائية التقليدية يصرح بطريقة غير مباشرة أن على المسلمين ان أرادوا فعلا أن يندمجوا بشكل كلي في المجتمع الفرنسي فعليهم أن لا يظهروا ديانتهم، ويتخلوا عن بعض الممارسات الدينية. ففي نظرة ومفهوم الحزب الفرنسي المواطن هو الذي لا يبرز أي مؤشر ديني ويتخلى ان استطاع عن ممارسته الديني في الساحات العمومية. الموقف الحزبي هو انعكاس لفكر متطرف للكثير من الفرنسيين. فرواج هاته الأفكار المتطرفة في المجتمع الفرنسي يتأكد لنا أنه في كثير من الأحيان يتم إقصاء المسلمين الفرنسيين في عدة مجالات ولاسيما العمل فقط بسبب نسبهم الديني (الإسلام). هاته الإشكالية القائمة و المفتعلة تشكل أزمة حقيقية للمجتمع وللديمقراطية الفرنسي.

خاتمة

في الأخير نستطيع أن نقول أن هذا المقال قد أبان بالتحليل إيديولوجية الحزب الفرنسي المتطرف "الجهمة الوطنية"، كقوة سياسية معارضة بفرنسا تغطي دائما وراء مبدأ العلمانية

¹ Olivier Roy, *La laïcité face à l'Islam*, (Paris: Stock, 2005), p. 39.

² Benjamin Stora, Alexis Jenni, *Les mémoires dangereuses*, (Paris: Albin Michel, 2016), p.144.

للترويج لإيديولوجيتها المتطرفة بغرض نقد و تضيق وتهميش المسلمين باستمرار. فبعد استعمال مشاكل المجتمع الفرنسي (البطالة، العنف...) أصبح الاستثمار في الأزمات الأمنية إستراتيجية جديدة لهذا الحزب اليميني لكسب المزيد من المناضلين والمتعاطفين وخاصة الأصوات الانتخابية. فهاته القاعدة الإيديولوجية لا تزرع إلا الشك والأحقاد والكراهية في نفوس الفرنسيين وكذلك الفرنسيين من أصول إسلامية. تبقى إيديولوجية هذا الحزب العدوانية معادية للإسلام والمسلمين لأغراض سياسية وانتخابية بحتة. فتزرع الفتنة و التفرقة وتقف حجرة عثرة حقيقية أمام اندماج المسلمين في المجتمع الفرنسي. فهؤلاء الفرنسيين (المسلمين) لا ينظر إليهم مثل الآخرين. فإيديولوجية اليمين المتطرف وجدت مناخ ملائم متميز بالجدل الحاد حول مسألة مكانة الدين الإسلامي في فرنسا وحماية مبادئ الجمهورية الفرنسية لتجيش المزيد من العواطف ضد المسلمين. فحسب آخر استطلاعات الرأي أن مارين لوبان زعيمة حزب التجمع الوطني ستكون المنافس الأساسي للرئيس الفرنسي الحالي إيمانويل ماكرون في الانتخابات الرئاسية العام المقبل (2022). فباتت هاته الإيديولوجية المتطرفة قاب قوسين أو أدنى من قصر الإليزيه.

ولمكافحة التطرف اليميني بفرنسا يجب إعطاء أهمية بالغة لترسيخ قيم المواطنة والممارسة الديمقراطية الحقيقية للأقليات وتقوية المؤسسات وذلك بتعزيز الحقوق والحريات لجميع أفراد المجتمع. وفي هذا الصدد ينبغي أن تعطى الأولوية للدراسة مشاكل الأقلية المسلمة بفرنسا ضحية اليمين المتطرف وإيجاد حلول دائمة لها. فمسلمي فرنسا يطالبون بمواطنة كاملة و فعلية أي تطبيق فقط قوانين الجمهورية على قدم المساواة، أي مكتملي المواطنة دون وصاية أو استنقاص. وللوصول إلى هذا الهدف يجب السماع لهم وإشراكهم في الحلول وتسهيل دمجهم فعليا على أرض الواقع حتى ننهي الاستثمار الإيديولوجي المستمر لحزب اليمين المتطرف في مآسي هاته الأقلية الكبيرة ولكنها الضعيفة في المجتمع الفرنسي المعاصر.

المراجع

باللغة العربية

عبد الحسين شعبان، الهوية و المواطنة: البدائل الملتبسة و الحداثة المتعثرة (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2017).

دافيد آل و آخرين، الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية (القاهرة: المركز القومي لترجمة، 2015).

فردريك معتوق، مجتمعات و دول العصبية إلى أين؟ سوسيولوجيا العصبية (بيروت: منتدى المعارف، 2018).

رفعت السعيد، العلمانية بين الإسلام و العقل و التأسلم (دمشق : الأهالي للطباعة و النشر والتوزيع، 2001).

"مخاطر اليمين المتطرف في أوروبا ... فرنسا وتنامي التيارات الشعبوية، " تقارير المركز الأوروبي، دراسات المركز الأوروبي (14 يونيو 2019).

باللغة الأجنبية

Annie Collovald, Brigitte Gaïti (dir.), *La démocratie aux extrêmes. Sur la radicalisation politique* (Paris: La Dispute, coll. Pratiques politiques, 2006).

Sous la direction de Michel Winock, *Histoire de l'extrême droite en France* (Paris: Points histoire Pocket Book, 2015).

Cécélie Alduy Stéphane Wahnich, *Marine le Pen prise aux mots*, (Paris: Seuil, 2015).

Grégoire Kauffmann, *Le nouveau FN* (Paris: Seuil, 2016).

Baudry, Robinson, Jean-Philippe Juchs, « Définir l'identité », *Hypothèses*, vol.10, no. 1 (2007).

Régis Meyran, *Le mythe de l'identité nationale* (Paris: Berg International, 2009).

Cécélie Alduy, Stéphane Wahnich, *Marine le Pen prise aux mots* (Paris : Seuil, 2015).

Hervé Le Bras, *Le pari du FN*, (Paris: Autrement, 2015).

Reberieux Madeleine, « Connaître l'extrême droite pour la combattre : Antiracisme, multiculturalisme, minorités. Vrais débats et mauvaises querelles, » *Hommes et Migrations*, n°1197 (avril 1996).

Olivier Roy, *La laïcité face à l'Islam*, (Paris: Stock, 2005).

Benjamin Stora, Alexis Jenni, *Les mémoires dangereuses* (Paris: Albin Michel, 2016).

دراسات وأبحاث

Studies and Researches

التنظيمات الإرهابية والجهاد الإلكتروني عبر وسائط البيئة الرقمية: تنظيم الدولة الإسلامية داعش أنموذجا

Terrorist Organizations & E-Jihad Through Digital Media ISIS as a case study

د. سلمى مساعدي¹ *Messaadi selma* عادل خالدي² *Khalidi adel*
جامعة أم البواقي (الجزائر) باحث دكتوراه، جامعة باتنة 1 (الجزائر)

ملخص: شهدت التنظيمات الإرهابية في العالم وعلى تعدد انتماءاتها وإيديولوجياتها تزايدا واضحا وانفتاحا على مختلف الوسائط الإعلامية، التي تعد ترسانة تستند إليها في تمرير رسائلها الدعائية وخوض حربها النفسية، ومع التطور التكنولوجي الهائل الحاصل على الساحة الإعلامية بظهور وسائط البيئة الرقمية وفضاءاتها، تحولت تلك الأخيرة إلى حاضنة للأعمال الإرهابية والمتطرفة من خلال الجهاد الإلكتروني. ومن هنا جاءت فكرة هذه الدراسة التي تحاول تسليط الضوء على أبعاد ظاهرة التنظيمات الإرهابية الإلكترونية من خلال تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" كنموذج، بحيث انطلقت الدراسة من المقاربات النظرية التي ارتبطت بتعريف الإرهاب و الدوافع التي تقف وراءه، لتبحث أكثر في علاقة التنظيمات الإرهابية بالدعاية، وصولا إلى تنظيم "داعش" في محاولة للكشف عن استراتيجياته الإعلامية وكيف ساهم الإعلام في التسويق للتنظيم، ومن ثم تفكيك علاقته بوسائط البيئة الرقمية التي شكلت امتدادا لنشاطاته الإرهابية على أرض الواقع.

كلمات مفتاحية: التنظيمات الإرهابية، الوسائط الرقمية، الجهاد الإلكتروني، تنظيم داعش.

Abstract: Terrorist organizations in the world have witnessed a clear increase and openness to various media outlets. Which are an arsenal on which they rely in passing their propaganda messages and waging their psychological war. The rapid technological development in the media field, led to the emergence of digital environment media, these virtual spaces turned into an incubator for terrorist and extremist acts through what we call "E- jihad". This paper aims to cast lights on the dimensions of the phenomenon of electronic terrorist organizations through the "Islamic State" organization "ISIS" as a case study. The paper structure organized as follows: In "Literature review", a brief review on terrorism definitions and the motives behind it, to examine more the relationship of

selmabiba01@gmail.com

khaldiadel160@gmail.com

¹ البريد الإلكتروني

² البريد الإلكتروني

terrorist organizations to propaganda, to the organization of "ISIS" in an attempt to reveal its media strategies, and how the media contributed to the marketing of the organization. We moved to dismantling its relationship with the media of the digital environment that formed an extension of its terrorist activities on the ground.

Keywords: terrorist organizations, digital media, E- jihad, ISIS.

مقدمة

يعد التنظيم الإرهابي داعش في السنوات الأخيرة أحد أهم الظواهر التي شغلت الباحثين، في وقت تشهد فيه المقاربات النظرية التي تعالج قضايا الإرهاب والمجموعات الإرهابية إنتاجاً محسوساً، في محاولات لتفسير الظاهرة والوقوف على الأسباب المؤدية إليها وكذا اختلافها باختلاف المناطق الجغرافية والأهداف التي ترمي إليها هذه التنظيمات. ليظهر تنظيم الدولة الإسلامية، كأحد أبرز التنظيمات الإرهابية التي شغلت المعمورة ككل، واسترعت انتباه وسائل الإعلام المحلية والعالمية، بأيدولوجياتها الفكرية التي تتبنى التوجه العالمي، وقدرتها على الاستحواذ على أراضٍ شاسعة من العراق وسوريا لتكون النطاق الذي يحدد جغرافية دولتها التي أرست عليها "خلافتها"، قائمة بذلك بإزاحة الحدود البرية بين البلدين دون مراعاة للأعراف الدولية والقانونية، بل فاتحة الباب عليها لكل ردود الأفعال الدولية التي تنجر عن قرارها.

الثقة بالنفس التي ظهر بها التنظيم وانتشاره على المدى الجغرافي، زامنه انتشار وتوسع في الفضاء الافتراضي، أين فاجئ العالم بقدرته على الدعاية والاستفادة من الخصائص التي تتيحها شبكة الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، حيث استغلها في الدعاية للتنظيم وشن الحروب النفسية والإلكترونية على من يقرر أنهم أعدائه، واستقطاب جنود جدد لجماعته من كل البلدان، وهو ما صعب من مهمة تقديم التفسيرات التي تتعلق بالقوة غير العادية للتنظيم، فالجانب المادي من توفر الأموال والسلاح يمكن تفكيكها من خلال متابعة داعمي التنظيم، وأنشطته غير الشرعية وما استولى عليه في كل من العراق وسوريا، لكن دعايته لفكر التنظيم الذي يطالب فيها بالعودة إلى مشروع "الخلافة الإسلامية" وهو مشروع القرون السابقة -تقليدي- وفق أنظمة حديثة كلياً، والقدرة على التسويق له، يعبر عن تميز التنظيم، الذي استطاع خلق صورة ذهنية عن دولة غير موجودة وموجودة في نفس الوقت، إذ هي وفق الأعراف الدولية غير موجودة، أما واقعياً فهي موجودة فالمناطق التي يسيطر عليها التنظيم كل هذا جعلنا نتساءل حول: تنظيم داعش وما يميزه إعلامياً، وكيف استفاد هذا التنظيم الإرهابي من وسائط البيئة الرقمية من خلال الجهاد الإلكتروني؟

نحاول في هذه الدراسة الإجابة عن تلك التساؤلات تحقيقاً لجملة الأهداف الآتية: الكشف عن المقاربات النظرية التي ارتبطت بتعريف الإرهاب و الدوافع التي تقف وراء الفعل الإرهابي؛ البحث في علاقة التنظيمات الإرهابية بالدعاية؛ تسليط الضوء على أحد التنظيمات الإرهابية "تنظيم داعش" ومحاولة تعريفه ثم تناول استراتيجياته الإعلامية وكيف ساهم الإعلام في التسويق للتنظيم؛ البحث في وسائط البيئة الرقمية التي شكلت حاضنة للجهاد الإلكتروني بالنسبة لتنظيم داعش.

أولاً: في علاقة الإرهاب والتطرف بالدعاية

1. مفهوم الإرهاب

رغم أن الفعل الإرهابي هو أحد أبرز الأفعال التي يتفق الجميع على إدانتها، إلا أن مفهوم الإرهاب يعتبر من المفاهيم التي لم يتم الاتفاق فيها على تعريف واحد وجامع، لأنه يرتبط بتعريف الفعل من جهة والقائم على تعريفه من جهة أخرى. فذهب بعض الباحثين إلى ربط مفهوم الإرهاب بمفهوم الجريمة، حيث تناولوا فيه جوانبه الأخلاقية والسلوكية والقانونية، لتبرز إشكالية هذا الطرح في التساؤل القائل: بما أن الدولة هي التي تعرف الجريمة، فهل يمكن لها أن تقوم بفعل الجريمة؟¹ ويواصل شميد أن طرح مفهوم الدولة في محاولة تعريف الإرهاب يطرح مفاهيم السياسة والتنافس الدولي والصراعات، ليصبح إرهاب في بعض الأحيان الآلية الوحيدة أو أداة من أدوات الاستراتيجيات السياسية تفرض به الدولة سيطرتها، وهذا الطرح لا يتناول الإرهاب الذي يتحدى الدولة في احتكارها للعنف من أجل تحقيق مصالحها. معتبرا أن الإرهاب في دراسة النزاعات لا يمكن تناوله، إلا من جانب واحد لا غير، لأن اختلاف الأطراف المتنازعة يعني اختلاف تعريفاتهم للفعل الإرهابي والقائم به.

التعاطي مع موضوع الإرهاب من الناحية الزمنية يبرز التحول في تناول الظاهرة عالمياً، حيث كانت خلال السبعينات والثمانينات الأعمال التطرفية والإرهابية نابعة من فكرة "التحرر الوطني" ضد الممارسات السياسية والاقتصادية، خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، لترتبط الأعمال الإرهابية، بجماعات قتالية ذات التوجه اليساري، كالهجمات الإرهابية التي ارتبطت " بالمنظمات المتطرفة العنيفة" مثل الهجوم الذي قام به الجيش الجمهوري الإيرلندي عام 1984، بفندق غراند

¹ Schmid, A. P, « Frameworks For Conceptualising Terrorism, » *Terrorism and Political Violence*, vol. 16, N.2 (2004), p.198.

بمدينة غرايتون، أين فجروا قنبلة في مؤتمر للمحافظين حيث كانت مطالبهم مرتبطة باستقلال أيرلندا من بريطانيا.¹

عرفت التسعينات تغيراً جذرياً بظهور نوع جديد من الإرهاب، توسع ليشمل المتعصبين دينياً، إرهاب عابر للحدود يستهدف الحكومات والجيش والمدنيين² وكانت هجومات سبتمبر 2001 من قبل القاعدة على البنتاغون وبرجي التجارة العالميين، الدليل القاطع على هذا التوجه الجديد في الفكر الإرهابي والمغاير لما سبقه، أين تم تسميتهم "بالذئاب الوحيدة" أي أنها لا ترتبط بمنظمات هرمية كسابقها في السبعينات لكن المنظمة هرميتها ترتبط بالأيديولوجية والفكرة الدينية.³ وصاحب هذه العملية الإرهابية دعاوي إلى ضرورة فهم الإسلام والعالم الإسلامي، خاصة بعد الترويج لصور في لبنان وفلسطين وعدد من البلدان العربية يحتفلون بهذه الهجمات لتتساءل الولايات المتحدة الأمريكية "لماذا يكرهوننا؟" وهو تساؤل مغالط للواقع، كونه لا يمكن ربط الإرهاب بالكراهية وحدها.⁴

ويدافع ميشال Wieviorka Michel ضد هذا التوجه الجديد بتركيز التعصب الديني فقط بالإسلام، معتبراً أنه ليس الدين الوحيد المرتبط بالإرهاب، ويسوق لنا أمثلة على الهندوسية حيث قام أوم شينريكيو بإطلاق غاز "الساارين" في قطار للأنفاق بطوكيو اليابان، نجم عنه قتل ثلاثين شخصاً، معتبراً أن الإرهاب له عدة أشكال، ويلزم علينا فهم سيرورته على المستوى المكاني والزمني والقيام بالمقارنات ما سيمكننا من فهمه كظاهرة مجتمعية.

2. التنظيمات الإرهابية: الدوافع الظاهرة والخفية

يعتبر التوجه الجديد في تناول الإرهاب في بعده الديني -غالباً الإسلامي- أن الدين هو الدافع وراء هذه الأفعال المتطرفة، ويتم تناول الدين، باعتباره وحدة كلية تنتج العنف الراديكالي، وهذا ما يفسر استهدافها لكل الأهداف حتى المدنية منها دون تمييز بينها⁵ لكن القول بأن هذه الوحدة الكلية

¹ Cragin, R. K., & Padilla, P., « Old Becomes New Again: Kidnappings by Daesh and Other Salafi-Jihadists in the Twenty-First Century, » *Studies in Conflict & Terrorism*, vol. 40, N.8 (2016), p.667.

² Whine, M., « Cyberspace : A New Medium for Communication, Command, and Control by Extremists, » *Studies in Conflict & Terrorism*, vol. 22, N.3 (1999), p.231.

³ Wieviorka, M. (n.d.). *Terrorism. Concise Encyclopedia of Comparative Sociology*, pp.418-426.

⁴ Seib, P. M., & Janbek, D. M. *Global terrorism and new media: The post-Al Qaeda generation* (London: Routledge. 2011), p.43.

⁵ Alfred P. Murrah, Building, Oklahoma City; World Trade Center, New York; AMIA Headquarters, Buenos Aires, Whine, 1999

الممثلة في الدين هي الدافع للإرهاب، يجعلنا نتساءل لماذا يتم التنديد ورفض هذه الأعمال الإرهابية من أفراد من داخل الدين نفسه، بل ويعتبرونها أنها لا تمت للدين بصلة.

وهذا ما فعله الباحث ألكس الذي حاول تفكيك الدين وتناول في بحثه الإسلام كنسق عام، وركز في الممارسة التي ترتبط بفعل التضحية، باعتبار هذه الغاية التي يصبو إليها الإرهابي ورائها دافع روعي متمثل في النقاء والصفاء، الذي يجب أن تكون عليه الأضحية، وأن يتم تجسيدها في جماعة تتسم بكونها مذنبة، لينتهي بنفسه شهيدا ويسمو بنفسه إلى القدسية، وهذه الطقوس كانت قديمة ومرتبطة بمختلف الديانات. يحول القتل من فعل سلبي إلى فعل إيجابي ومستحب.¹

ذهب بعض الباحثين أبعد من ذلك باعتبار الإرهابي يعبر عن المتوحش والمجنون، ذو شخصية غير متوازنة، ولكن الأخذ بهذه الصفات ووضع خانة عامة يجمع فيها الإرهابي كل السلبيات يمنع الباحثين من القدرة على دراستهم بل تقديم جدوى للدراسة²، في حين تساءل بعض الباحثين عن الفصل بين الإرهاب في السبعينات واعتبار الإرهاب المرتبط بالدين إرهابا جديدا، فمن الناحية التاريخية جماعات إرهابية مثل داعش، والقاعدة بمختلف تفرعاتها كانت العمليات الأولى لها موجهة لمحاربة القوات الأمريكية المتواجدة بالعراق، ضمن عملية تحرير العراق من الأمريكي، وفق ما يسمى "الجهادية السلفية"، وهنا فهي ترتبط بفكرة "التحرر الوطني" التي كانت تعمل عليها الجماعات الإرهابية اليسارية في السبعينات والثمانينات. وأكثر من ذلك داعش لها تطلعات لخلق وإعادة "الخلافة الإسلامية" وبالتالي فهي تنادي لمشاريع سياسية بصبغة دينية، وهو ما كانت عليه القاعدة في محاربتها العدو البعيد (أمريكا والغرب) لأنه سيمكنها من بعث الخلافة أيضا.³

وفي نفس التوجه يحمل الباحث طلال الأسد الدول الغربية مسؤولية كونها دافعا لخلق الإرهاب، إذ يرفض ما يتم تداوله في الإعلام الأمريكي عن الإسلام ومجتمعاته كونها مجتمعات عنيفة، الجهاد أحد محاور وجودها وترفض كل القيم الليبرالية والديمقراطية لأسباب دينية بحتة، وبالتالي فحضارتهم تقليدية متخلفة، معتبرا أن تدخل الغرب في مقدمته أمريكا في شؤون الدول الضعيفة غير الغربية خاصة في الشرق الأوسط كان أحد الأسباب وراء الإرهاب، ليتساءل هل أمريكا بمقولتها المشهورة "الحرب العالمية على الإرهاب" تعمل من أجل السلام العالمي ونشر الديمقراطية أم هي محاولة لبسط الهيمنة العسكرية العالمية والسيطرة على مصادر النفط

¹ Schmid, , op. cit , p.210.

² Wieviorka, op.cit., p.419

³ Cragin, op.cit.

الرئيسية؟¹ ولا يختلف الباحث سكوت أتران عن طلال إذ يعتبر أن أغلب الشعوب في الشرق الأوسط ترفض الأعمال الوحشية لداعش لكنها تتوق لعودة الخلافة الإسلامية ونهاية نظام الدولة القومية الذي فرض عليهم طوعاً أو كراهية والذي تستمر الدول الغربية في دعمه رغم فشله، رغم أن هذه لأنظمة لا يمثلها إلا ديكتاتوريون ساهموا في معاناة ومأساة شعوبهم ويحرص الغرب على تثبيتهم، مضيفا لا يعني مفهوم دولة الخلافة الإسلامية عودة إلى الماضي بقدر ما هو بناء حضارة تستقي من التطور ولا تتعارض مع الدين، فالتدخل العسكري في هذه البلدان لا يخلق سوى جماعات متطرفة.²

من جانبه يعبر الباحث أوليفيه روا عن الموضوع ، بأن الانضمام إلى الجماعات المتطرفة ما هو إلا نتيجة انقطاع الديني عن ثقافته، أي أن التحول لكل ما هو ديني يحمل مقاربتين، الأولى: التعبير عن رفض الحداثة الوهمية أو عدم تقبلها، والثانية: هو شكل من أشكال الدخول فالحداثة، خاصة في ظل فرض المعطى الحداثي على غرار الدولة العلمانية بكونها "النموذج" أين فصلت الدين عن ثقافته وأعطته الفرصة ليتوسع أكثر وينتشر ويبني ذاته في استقلالية عن الثقافة والسياسة، لكن رغم ذلك فشل كمشروع سياسي (الأحزاب ذات التوجه الإسلامي، أو الحكومات) في هزيمة العلمانية في ميدانها (سياسة، دولة، مواطن، قانون..الخ)، ما أنتج جماعات متطرفة.³

3. الإرهاب والدعاية: أي علاقة ؟

قامت مجموعة الدول السبع الكبار في شهر أكتوبر 2017، على توقيع اتفاق في إيطاليا مع أكبر شبكات التواصل الاجتماعي ومحركات البحث على الشبكة العنكبوتية على غرار فيسبوك، غوغل وتويتر من أجل العمل على التصدي للإرهاب، حيث صرح وزير الداخلية الإيطالي ماركو مينيتي بقوله: "إن الاتفاق يرمي إلى إعاقة عمليات التجنيد للتنظيمات المتطرفة عبر شبكة الانترنت."⁴ الخبر الذي نقله موقع الجزيرة، يؤكد أن الحرب على الجماعات الإرهابية لم تبقى مرتبطة بالميدان كما كانت في السابق، بل انتقلت إلى الفضاء الافتراضي في محاولة استباقية لحصار

¹ Asad, T., « Thinking about terrorism and just war, » *Cambridge Review of International Affairs*, 23 (1) (2010), pp. 3-24.

² أتران سكوت، "تشرح أيديولوجيا داعش." ترجمة: سلطان المطيري، موقع حكمة (21 نوفمبر 2016) :

<http://hekmah.org/%D8%AA%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%AD-%D8%A3%D9%8A%D8%AF%D9%8A%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D->

³ روا أوليفيه، *الجهل المقدس: زمن بلا ثقافة* (بيروت: دار الساقي، 2012)

⁴ وكالة الأناضول، اتفاق السبع الكبار وشركات الانترنت لمكافحة الإرهاب. موقع الجزيرة. مسترجع من:

<http://www.aljazeera.net/news/international/2017/10/21/%D8%A7%D8%AA>

هذا الفكر المتطرف، ويبرز من جهة اعتماد هذه الجماعات على تكنولوجيات الاتصال أكثر من ذي قبل لزيادة انتشارها وإيصال أفكارها في حين فالسابق كانت تعتمد إلى حد كبير على صدى أعمالها الإرهابية.

وتعتمد التنظيمات الإرهابية بشكل كبير على شبكة الإنترنت لما تقدمه من مزايا، كصعوبة تتبع مصدر المعلومة، وعدم وضوح الأساليب الإجرامية التي يعتمدونها، إضافة إلى سهولة إخفاء الدليل المادي الذي يرتبط فقط بالزر "حذف"، إضافة إلى المجهولية أو عدم معرفة هوية القائم وراء العملية وبالتالي عدم القدرة على متابعتهم قانونياً، دون إغفال تجاوزها للحدود الوطنية والجغرافية.¹ لكن بالعودة إلى بدايات الأعمال الإرهابية حيث لم يكن هنالك وسائط كالإنترنت، كانت الدعاية هي الطريقة التي تقوم من خلالها الجماعات المتطرفة بنشر أفكارها. بوتر كروبوتكين، أحد منظري الفكر "الأناركي" أو الفوضوي، اعترف أنه لا يمكن هدم الهيكلية المجتمعية التي تم بنائها خلال آلاف السنين ببعض الكيلوغرامات من الديناميت، لكن في نفس الوقت كدعاية يمكن أن يكون الإرهاب خلافاً من خلال اجتذاب الانتباه العام بالقيام بتفجيرات²، ويضيف شميد إن ظهور وسائل الإعلام فيم بعد واعتمادها على المبدأ التجاري، حيث الأخبار السيئة هي الجيدة من حيث عملية الطلب والبيع، استغل الإرهابيون ذلك للترويج لأنفسهم وأفكارهم، بل وأصبحت العلاقة بين الإرهاب والإعلام غريبة، حيث يقوم الإرهابي بالعملية الإرهابية ليصل بها إلى الأخبار ومنها يقوم المذيع بعرض طلباته وأفكاره وحتى مشروعه الذي يحارب من أجله.

ظهور الانترنت كانت تحولا هائلا فالتقنية، حيث واحد من أربعة أشخاص يملك هاتف ذكي يسمح بالاتصال الفوري بالانترنت، وعدد مستخدمي الفيسبوك يقارب 1.5 مليار شخص، حوالي 20 بالمائة من سكان العالم، هذه الإحصائيات المصغرة لا تخفى على الجماعات الإرهابية، لذلك اهتموا بها نتيجة النفوذ الذي تقدمه لهم وتأثيرها أين تمكن بالتواصل مع أكبر شريحة ممكنة، ونشر الدعاية وجذب الاهتمام.³

تختلف التقنية لكن تبقى الدعاية ومحاولة جذب الانتباه هي جوهر التقنية بالنسبة للإرهابيين لأنه بالنسبة لهم يساهم في حصولهم على وجوده فالمجتمع وبالتالي أخذه بجديّة

¹ حسن أبو دامس زكرياء، أثر التطور التكنولوجي على الإرهاب (الأردن: دار عالم الكتب الحديث، 2005).

² Schmid, op.cit, p.207.

³ Aly, A., Macdonald, S., Jarvis, L., & Chen, T. M. « Introduction to the Special Issue: Terrorist Online Propaganda and Radicalization, » *Studies in Conflict & Terrorism*, 40(1), (2016), p.3.

والاهتمام بقضيته، ثانيا إبراز الآخر في موقف ضعف وإمكانية تحقيق أهدافهم ما يمكنهم من جلب الدعم لقضيتهم سواء البشري أو المالي. وتساعد التكنولوجيا على نشر الخوف في المجتمع، حيث تعتمد الجماعات الإرهابية على مبدأ زرع الخوف في الجماهير من أجل الوصول إلى أهدافها، أين تنتظر من الجماهير أن تقوم بالضغط على الحكومات ودولها من أجل تحقيق مطالب الجماعة، مثل ما فعل بن لادن في هجماته على الأراضي السعودية ضد القاعدة الأمريكية التي قال عنها انه يعلم أنها لن تجعل أمريكا تغادر، لكن ستسهم في خلق ضغط على العائلة المالكة أو الأمراء وحتى دول الجوار سيطالبون العائلة الملكية في السعودية بضرورة إخراج القاعدة الأمريكية خوفا من هجمات مماثلة في بلدانهم.¹

ثانيا: تنظيم الدولة الإسلامية "داعش"

نما داعش من فصيل تابع للقاعدة، يعرف باسم القاعدة في العراق، والذي تأسس في 2004، على يد الأردني أبو مصعب الزرقاوي، لسببين تحرير العراق من القوات الأمريكية وحلفائها وتخليص الحكومة العراقية من السيطرة الشيعية، في حين كان هذا التنظيم مكونا من غير العراقيين اتجهت القاعدة لإنشاء منظمة أخرى لتبسط هيمنتها مكونة من العراقيين وسمتها بالدولة الإسلامية في العراق، وفي وقت لاحق عام 2013 أعيدت تسميته إلى تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) من قبل أبو بكر البغدادي.² أما عن أسباب ظهوره إلى جانب الجانب التحرري، كانت للسياسات المتبعة في العراق دور في نشوء هذا التنظيم، حيث ساهمت سياسة المالكي في العراق في تأجيج الطائفية في البلاد بفرضها العنصر الشيعي على حساب السني، إضافة إلى استحواد المالكي على مؤسسات الدولة، ما قلص من قدرة القوات المسلحة في الدفاع عن البلاد وأفشلها، والذي برز حين استحوذ داعش، سنة 2014 على ثلث مساحة العراق دون قتال.³ حيث أصبح الجيش لا يعبر عن جيش وطني جامع لمختلف مكونات البلد وأطيافه بل أصبح جيشا طائفيا.

يذهب الباحث عبد القادر عبد العالي، إلى اعتبار "الدولة الإسلامية" أو ما يطلق عليه داعش، محاولة جماعات إرهابية وتنظيمات مسلحة خلق دولة غير معترف بها، أو كيان شبه دولة، ويضرب المثل ببوكو حرام في نيجيريا، المحاكم الإسلامية في الصومال، أين يتم احتلال منطقة جغرافية

¹ Cragin, op.cit , p.667.

² Jawhar, J., *Terrorists Use Of The Internet: The Case Of DAESH*. (Kuala Lumpur: The Southeast Asia Regional Centre for Counter-Terroris, 2016), p.26.

³ جرجس فواز، داعش إلى أين: جهاديو ما بعد القاعدة (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، 2016)، ص 37

وادعاء تطبيق الشريعة الإسلامية عليها¹، حيث يرفض الرأي السائد بأن الجماعات الإرهابية تعمل بإستراتيجية ملئ الفراغ، وتفتقر بالدول الفاشلة، معتبرا أن الإرهاب في مقدمته داعش ظاهرة عالمية، تمثل امتدادا للفكر السلفي الجهادي لتنظيم القاعدة مع عدد من التغيرات الفرعية والتكتيكية ترتبط بالأهداف والاستراتيجيات المتبعة فالميدان.

ويتناول فواز في كتابه "داعش إلى أين" التنظيم الذي يعتبره هو الآخر استمرارا لإيديولوجيته السلفية الجهادية، في حين يعتبر أنه يتميز عن غيره باستهدافه الشيعة ضمن هجماته، في سبيل إحياء الخلافة الإسلامية، ويرى أنه يحاول خلق هوية جديدة بين منتسبي مرجعيته الدينية السنية وفق التعريف أو الفهم الذي اختاره التنظيم للإسلام والذي يعبر عن الإسلام الصحيح حسبهم.²

في محاولة لتقديم مقارنة جامعة تفسر تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، يرى معتر الخطيب أن ظاهرة التنظيم يمكن تفسيرها بأربع مقاربات هي: المقاربة الأولى ربطها بالوضع الاجتماعي الذي تشهده المنطقة من الانفجار الديموغرافي، والبطالة وتوقف التعليم ومستواه المتدني، كل هذه الظروف وغيرها في مناخ سياسي استبدادي، لا تظهر فيه الدولة بمرافقها وإداراتها، في ظل مجتمع طائفي فيه تاريخ عنيف من النزاعات الطائفية. المقاربة الثانية تم ربطها بالنص الديني أو الفقه حيث تؤدي النصوص إلى خلق هذه الظاهرة أي بتحميل الدين المسؤولية، دون محاولة التساؤل كيف لنص قديم أن ينشئ ظاهرة جديدة؟ والمقاربة الثالثة فهي نفسية اجتماعية ترى بأن أفراد التنظيم ومن ينظمون له بنائهم الاجتماعي والنفسي غير متوازن لكنه من جهة يدخل في تساؤل هل البيئة هي التي أنتجته أم أنه أنتج هذه البيئة السلبية؟ أما المقاربة الرابعة فتحاول أن تخرج عن الأطر باعتبار داعش طفرة في تاريخ جماعات الجهاد العالمي، وبالتالي لا يمكن استيعابها وفهمها بالأدوات والمناهج التقليدية، لكن تنتهي إلى من يعارضها بالقول إن هذه الجماعات لم تخلق من العدم بل لها تاريخ وحضور واقعي ميداني ينفي تفردا.³

1. الإعلام في تنظيم الدولة الإسلامية "داعش"

لم ترتبط نجاحات تنظيم الدولة الإسلامية في فترة صعوده بالسيطرة على عدد كبير من الأراضي في العراق وسوريا فقط، بل ارتبطت نجاحاتها بإبرازها لقدرتها على التعامل مع النشاط

¹ عبد العالي عبد القادر، "تنظيم الدولة الإسلامية: عوامل الصعود والانحسار"، مجلة شؤون الأوسط، عدد 25 (2015)، ص 79

² جرجس فواز، مرجع سابق، ص 37.

³ الخطيب معتر، "تنظيم الدولة الإسلامية: البنية الفكرية وتعقيدات الواقع". مركز الجزيرة للدراسات. مسترجع من:

<http://studies.aljazeera.net/ar/files/isil/2014/11/2014112355523312655.html>

الإعلامي، حيث أظهرت تمكّنها من الميدان ومقوماته، لتقدم مواد إعلامية على قدر كبير من الاحترافية، تنافس بل تتفوق على إعلام العديد من الدول العربية، إلى درجة أصبح الإعلام القديم الذي كانت تعتمده القاعدة بأشراطها المسجلة وبياناتها الطويلة طوال العشرين سنة الماضية يظهر جد تقليدي ولا يواكب التقدم الحاصل في الميدان.¹

ونقصد بقولنا الإعلام هنا الإعلام التقليدي منه، الذي يشمل التلفزيون والراديو والصحف ووكالات الأنباء، بعيدا عن الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، ويتكون التنظيم من نحو سبع وكالات إعلامية تحت قيادة الهيئة الإعلامية، وهي مؤسسة الهمة، مؤسسة الاعتصام، مؤسسة الفرقان، مركز الحياة الإعلامي، مؤسسة أنجاد، إذاعة البيان، وكالة عمق الإخبارية، إلى جانب هذا تمتلك الهيئة الإعلامية 37 مكتبا إعلاميا في عديد المناطق التي كانت التنظيم يسيطر عليها على غرار حلب، دمشق، الجزيرة، الفلوجة، بغداد، خراسان، وسيناء بمصر.²

- مؤسسة الفرقان: وتعد المؤسسة الأهم لتنظيم الدولة الإسلامية، وكانت تابعة لتنظيم القاعدة في السابق، تجاوزت إصداراتها أكثر من 160 إصدارا، إذ أنتجت جميع الخطابات الصوتية لأبي بكر البغدادي "ال خليفة" كما أنتجت جميع ما يتعلق بخطابات "أبا محمد العدناني الشامي المتحدث الرسمي لتنظيم الدولة؛

- مؤسسة الاعتصام: وهي التي أنتجت إصدارات كثيرة منها: رسالة مجاهد أبو سعيد البريطاني، باللغة الإنجليزية ومترجمة للعربية، وقد تجاوزت إصداراتها 90 إصدارا مختلفا وبلغات عديدة.

- مركز الحياة للإعلام: معظم إصداراته باللغة الإنجليزية ومترجمة للعربية، وفيه إصدارات مهمة مثل "نهاية حدود سايكس بيكو" وغيره؛

- مؤسسة أجناد: أنتجت إصدارات صوتية عالية الجودة مثل نشيد "يا ربي أسألك" و "أمي قد لاح فجر"، حيث تعد مؤسسة أجناد المزودة لباقي المؤسسات المناصرة لهم بالإنتاج الصوتي؛

- مؤسسة البتار: لديها العديد من الإصدارات منها "وجنود لم تروها"؛

- مؤسسة الخلافة: التي أنتجت إصدار "عين الإسلام 2" الذي يرد على ما سماه كذب القنوات الفضائية، فقد عرض تقرير لقناة الجزيرة تتحدث فيه القناة عن انسحاب قوات تنظيم الدولة من مدينة "كوباني" عين العرب، وعرض صورا لمقاتلي التنظيم في أحياء مختلفة من المدينة؛

¹ عطوان عبد الباري، الدولة الإسلامية: الجذور، التوحش، المستقبل (بيروت: دار الساقي، 2015)، ص 196.

² Jawhar, op .cit, P 34.

- إذاعة البيان: وهي أول إذاعة للتنظيم تبث نشرة إخبارية ترفع على الانترنت بصورة غير منتظمة، إضافة لبيانات وتوجهات تنظيم الدولة وتركز على انتصارات التنظيم وعملياته ضد القوات العراقية وقوات البشمركة ومليشيات الحشد الشعبي وغيرها، كما تأخذ عمليات التنظيم خارج العراق في سوريا وسيناء مساحة بث ضمن تغطيتها الإخبارية. إضافة إلى وكالة أعماق التي أخذت دور المعلن عن كل هجمات تنظيم الدولة والناطق الرسمي له.¹

هذه كانت بعض المؤسسات الإعلامية التي يعتمد عليها التنظيم، وهذا يدل على الدور الكبير الذي يليه داعش للإعلام، فمن جهة لا بد له من نشر دعايته بين أوساط المنتسبين إليه وتعزيز أفكارهم وولائهم للتنظيم، ومن جهة أخرى لخارج التنظيم بهدف كسب تعاطف الجماهير وحتى جذب متطوعين جدد، إضافة إلى إحكامه سيطرته على المنطقة إعلامياً ما يجعله المصدر الأول للمعلومة، والقنوات الإعلامية مجبورة على ذكر مصادر أخبارها، وبالتالي إعطاء دفعة للتنظيم والقيام بإشهار مجاني لأعماله.

إضافة إلى ذلك عمد تنظيم داعش إلى إنشاء مجلات باللغتين العربية والإنجليزية، مثل: دابق والشامخة،² ويبدو من استخدام داعش للغتين العربية والإنجليزية إظهار لتنوع قواته من كونهم من مختلف بقاع العالم وليس تنظيمًا محليًا ضعيفًا، وفيه من الدلالة على المستوى التعليمي من للمقاتلين في صفوفه أنهم متمكنين من اللغة العربية والإنجليزية، وبالتالي فهو يرد عن نفسه صفة الجهل والتخلف. وفي بحث لكامل القيم قارن فيه المعالجة الإعلامية التي تقوم بها القنوات العربية والأجنبية لأخبار داعش، خلصت دراسته إلى أن هذه القنوات تساهم في الدعاية لتنظيم القاعدة أين تنقل أخبار انتصاراته وتمدده في مختلف المناطق، ونذكر بعض العناوين "أفارقة مالي يقاتلون إلى صفوف العدو" والذي فيه رمزية للتمدد والانتشار وعنوان "أوباما لكبار قادة الجيش: المهمة ضد داعش صعبة ونحتاج لمزيد من الوقت" والذي ينتهي بالصاق القوة للتنظيم، أو "داعش يدعو أنصاره للتقدم نحو بغداد" والتي توحى بالرعب والترقب. وتظهر هنا إستراتيجية داعش في إحكام سيطرته على منطقتة من الناحية الإعلامية أين يقدم المعلومة بما يفيد سياساته.³

¹ نورة بلعدي، "توظيف تنظيم الدولة الإسلامية للأنظمة الاتصالية الرقمية في استراتيجياته الإرهابية"، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، مجلد 4، عدد 2 (ديسمبر 2017)، ص ص 190-191.

² بن مقله رضا، "الإعلام الإلكتروني المتطرف وسبل محاربته"، مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية، عدد 6 (2015)، ص 158.

³ القيم كامل، "حرب الرموز وتسويق مثيرات العنف والإرهاب: رؤية في تسويق الدعاية والحرب النفسية لتنظيم داعش"، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، عدد 5 (2015)، ص ص 258-278.

وإجمالاً يمكن القول بأن المؤسسات الإعلامية تعد إضافة كبيرة لإستراتيجية تنظيم داعش ، خاصة إذا ما تمت مقارنة هذا بعمر التنظيم الذي استطاع في فترة وجيزة اكتساب هذا الحجم من القدرات الإعلامية وتركيز عملها ضمن الجانب الدعائي والحرب النفسية، لتعزيز تواجده ومكانته.

2. داعش من الجهاد إلى الجهاد الإلكتروني: تطور في الآليات والوسائل

تحتل الهيئة الإعلامية المسؤولة عن الإعلام أهمية كبيرة داخل هيكليّة تنظيم الدولة الإسلامية وعلى قدر أكبر بشبكة الانترنت منذ بدايات تأسيس التنظيم، لمعرفته لأهمية هذا العامل في تطوير التنظيم الإرهابي وإيصال رسائله السياسية ونشر أيديولوجيته الجهادية السلفية، حتى أنه أصبح يتعامل بمفهوم "الجهاد الإلكتروني"¹، هذا التوجه بالذات كان أحد الأسباب التي خلقت عدم فهم لدارسي التنظيم وعدم القدرة على تقديم المقاربة السليمة لماهيته، الذي يتناول أيديولوجية سلفية ترتبط بالسلف ويدعو إلى نموذج تقليدي للدولة التي عبر عنها بالخلافة الإسلامية وبذلك فكأنما يرفض الحداثة وما قدمته، لكن في نفس الوقت يعتمد التقنيات الحديثة في إيصال رسائله وأفكاره هذه دون تقديم مبررات أو اعتبار أن الأمر يتناقض في مجمله. إذ يعتمد تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، على استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، في مقدمتها الانترنت بهدف نشر آرائه عالمياً وتنفيذ إستراتيجيته، حيث يستخدم مواقع التواصل الاجتماعي مثل فايسبوك، وتويتر، ويوتيوب، ويمتلك العديد من المواقع الإلكترونية التي يشرح فيها التنظيم وأهدافه ومشروعاته ونشر قصصهم والتي يعملون بها على استقطاب الشباب من مختلف بقاع العالم.²

ولا يعتبر داعش أول تنظيم إرهابي يعتمد على التكنولوجيا الحديثة والانترنت للدعاية لأنشطته، فنجد جماعة الشباب، استعملت تويتر خلال هجوماتها في سبتمبر 2013، على المركز التجاري "البوابة الغربية" في نيروبي لنشر الخوف والتباهي، كذلك فعلت منظمة لشكر طيبة الباكستانية التي استفادت من التكنولوجيا الحديثة مثل "غوغل أوث"، والهواتف الذكية لجمع المعلومات الاستخباراتية ما ساعدها على التحكم في الاعتداءات التي قامت بها عام 2008 بمومباي.³

¹ حسن أبو دامس زكرياء ، أثر التطور التكنولوجي على الإرهاب (الأردن: دار عالم الكتب الحديث، 2005).

² Shamieh, L., & Szenes, Z. « The Propaganda of ISIS/DAESH through the Virtual Space, » *Defence Against Terrorism Review - DATR*, 7(1) (2015), p.8.

³ Farwell, J. P., « The Media Strategy of ISIS, » *Survival*, 56(6) (2014), p.49.

مع ذلك يبرز داعش كتنظيم متمكن من التكنولوجيا، ويفهم في خصوصياتها خاصة وسائل التواصل الاجتماعي التي أصبحت الأرضية التي يجري بها قادة التنظيم مكالماتهم وعملياتهم. وبرزت شبكات التواصل الاجتماعي وضلوعها في كونها آلية تواصل بين الإرهابيين على غرار Ask.fm، التي تلاحقها دعاوي قضائية بهذا الشأن، وأيضا KiK، وهو موقع يتميز بنظام تشفير فوري للرسائل، ويمكن تنزيله بمجانية في الهواتف الذكية من "غوغل سطور" حيث يستخدمه أعضاء داعش لإجراء المحادثات الأكثر خصوصية مع الأعضاء الراغبين بالانضمام إليه، وبنفس المقاييس نجد تطبيق sure spot، يستخدمه تنظيم داعش لأنه يتيح التشفير من جهة وإمكانية الحصول على هويات متعددة من جهاز واحد وليس مرتبطا بأرقام الهاتف ولا حسابات البريد الإلكتروني، وغيرها من التطبيقات على غرار wizr و telegram، حيث يظهر أن هذه التطبيقات الآمنة قد ساعدت تنظيم داعش في القيام بالتواصل في شكل آمن بينهم ومع المنتمين إليهم.¹

كما يحرص التنظيم على أمن مكالماته فهو يحرص على صورته في وسائل الإعلام الأجنبية، ولعل ما يدعو للدهشة هو قدرة التنظيم في حذف اسم "داعش" وفرض تسمية "الدولة الإسلامية" على معظم أجهزة الإعلام المحلية والعالمية وكان المنتسبون إليه يرسلون رسائل على مواقع التواصل الاجتماعي يلفتون نظر هذه الوسائل الإعلامية بضرورة تغيير الاسم، بل ويصل الأمر إلى التهديد والتحذير لأن التنظيم يكره هذا الاسم ويعتبرونه إهانة، وقد التزم عدد كبير من وكالات الأنباء العالمية بالاسم الجديد وتوقفوا عن استخدام كلمة داعش، في مقدمتهما وكالة "رويترز" ووكالة الأنباء الفرنسية.²

ويبدو أن تنظيم داعش على مستوى عالي من التحكم في التقنيات الصحفية لكتابة العنوان، فلا يمكن أن تكتب عنوانا مشكلا من أربع كلمات الدولة الإسلامية في العراق والشام، وعليه اقتصر الاسم الجديد الذي طالب به على "الدولة الإسلامية". ويظهر التنظيم وكأنه يتعلم من أخطائه، إذ كانت الفيديوهات التي يحملها على يوتيوب تحتوي على خلفيات متنوعة استدلت بها البعض على مكان التصوير، ليتوجه في وقت لاحق إلى إظهار خلفية جرداء من دون معالم مميزة، وهو ما يبين أن القائمين على الجانب الإعلامي يتابعون ما يكتب عن المواد التي ينشرونها.³ ليرتبط

¹ Jawhar, op.cit , pp.52-53.

² عطوان عبد الباري، مرجع سابق، ص 196.

³ الفلاحي، صهيب. (28 فبراير 2015). إعلام تنظيم الدولة: مؤسسات داعش الإعلامية. موقع ن بوست. مسترجع من:

<https://www.noonpost.org/content/5637>

اسم داعش بعمليات القرصنة الإلكترونية للمواقع، فبعد حادثة شارلي ابيدو في فرنسا قام التنظيم بقرصنة موقعين لمدينتين فرنسيتين، ليتم تغيير صفحة الموقع بصفحة سوداء مكتوب فيها "داعش لن تزول، الحرية لفلسطين، الموت لفرنسا، والموت لشارلي".¹ حيث تحاول داعش أن تكون طرفا حاضرا في الأحداث الدولية مستمرة في نشر دعايتها واستراتيجيات التخويف والترهيب التي تعتمد عليها، وإجمالا يمكن القول بأن إستراتيجية تنظيم الدولة الإسلامية في سيطرته على الفضاء الرقمي واستغلاله للأنظمة الاتصالية الرقمية بغرض تحقيق أهدافه ودعم تواجده الفعلي في الميدان وتفعيل إيديولوجيته وأفكاره ، كان من خلال إستراتيجية تسعى إلى: تحويل مواقع التواصل الاجتماعي إلى عنوان للهوية الإلكترونية؛ اختراق المنظومة الثقافية والقيمية للأفراد؛ تطبيع العلاقات مع المستخدمين من خلال الهيمنة على الفضاءات الإلكترونية؛ إنتاج خطاب قوي يعبر عن سلطتها؛ التحول من الجهاد إلى الجهاد الإلكتروني من خلال تجنيد المقاتلين؛ الدعاية والحرب النفسية.²

خاتمة

تعدد المقاربات التي تحاول تعريف الإرهاب، سواء باعتباره "جريمة" يعاقب عليها القانون، أو تدخل الدولة في العمل الإرهابي من عدمه حتى التي حاولت تقسيم الإرهاب كرونولوجيا أي قبل التسعينات حيث اعتبرت في غالب الأحيان المنظمات اليسارية عبارة عن منظمات إرهابية، أو بعد التسعينات أين ربطت بالدين والفكر الجهادي، إلا أن هذه المقاربات لم تغفل أن "التحرر" كان أحد أبرز الدوافع التي تدفع الأفراد لتبني الهجمات الإرهابية، حتى تنظيم داعش وارتباطه بالوحشية والدموية كان في دعايته يعتمد على هذا البعد التحرري، لكن في نفس الوقت أبان التنظيم عن قدرة كبيرة في استخدام التكنولوجيات الحديثة خاصة وسائل التواصل الاجتماعي، التي كانت إلى جانب مؤسساته الإعلامية قطاعا إعلاميا مستقلا يدعم التنظيم حيث يظهر اهتمام التنظيم بهذا القطاع من عدد المؤسسات الإعلامية والجرائد وحتى المواقع الإلكترونية التي تمجده، وهو وبالتالي رغم أفكاره التقليدية المبنية على النص القرآني، تبقى ممارساته حديثة وتعبر عن فهم للواقع المعاش، بل وفهم للأفراد وطريقة استقطابهم وهو بذلك يختلف عن غيره من التنظيمات التي كانت تعتمد على فكر التنظيم لوحده من أجل جلب الدعم لقضاياها.

¹ Shamieh, op.cit, p 9.

² نورة بلعدي، مرجع سابق، ص 195.

المراجع

باللغة العربية

- روا أوليفيه، الجهل المقدس: زمن بلا ثقافة (بيروت: دار الساق، 2012).
- حسن أبو دامس زكرياء، أثر التطور التكنولوجي على الإرهاب (الأردن: دار عالم الكتب الحديث، 2005).
- جرجس فواز، داعش إلى أين: جهاديو ما بعد القاعدة (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2016).
- عطوان عبد الباري، الدولة الإسلامية: الجذور، التوحش، المستقبل (بيروت: دار الساق، 2015).
- حسن أبو دامس زكرياء، أثر التطور التكنولوجي على الإرهاب (الأردن: دار عالم الكتب الحديث، 2005).
- عبد العالي عبد القادر، "تنظيم الدولة الإسلامية: عوامل الصعود والانحسار"، مجلة شؤون الأوسط، عدد 25 (2015).
- نورة بلعدي، "توظيف تنظيم الدولة الإسلامية للأنظمة الاتصالية الرقمية في استراتيجياته الإرهابية"، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، مجلد 4، عدد 2 (ديسمبر 2017).
- بن مقلة رضا، "الإعلام الإلكتروني المتطرف وسبل محاربته"، مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية، عدد 6 (2015).
- القيم كامل، "حرب الرموز وتسويق مثيرات العنف والإرهاب: رؤية في تسويق الدعاية والحرب النفسية لتنظيم داعش"، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، عدد 5 (2015).

باللغة الأجنبية

- Schmid, A. P, « Frameworks For Conceptualising Terrorism, » *Terrorism and Political Violence*, vol. 16, N.2 (2004).
- Cragin, R. K., & Padilla, P, « Old Becomes New Again: Kidnappings by Daesh and Other Salafi-Jihadists in the Twenty-First Century, » *Studies in Conflict & Terrorism*, vol .40, N.8 (2016).

- Whine, M, « Cyberspace : A New Medium for Communication, Command, and Control by Extremists, » *Studies in Conflict & Terrorism*, vol .22 , N.3 (1999).
- Wieviorka, M. (n.d.). *Terrorism. Concise Encyclopedia of Comparative Sociology*.
- Seib, P. M., & Janbek, D. M. *Global terrorism and new media: The post-Al Qaeda generation* (London: Routledge. 2011).
- Asad, T., « Thinking about terrorism and just war, » *Cambridge Review of International Affairs*, 23 (1) (2010).
- Aly, A., Macdonald, S., Jarvis, L., & Chen, T. M. « Introduction to the Special Issue: Terrorist Online Propaganda and Radicalization, » *Studies in Conflict & Terrorism*, 40(1), (2016).
- Jawhar, J., *Terrorists Use Of The Internet: The Case Of DAESH*. (Kuala Lumpur: The Southeast Asia Regional Centre for Counter-Terroris, 2016).
- Shamieh, L., & Szenes, Z. « The Propaganda of ISIS/DAESH through the Virtual Space, » *Defence Against Terrorism Review - DATR*, 7(1) (2015).
- Farwell, J. P., « The Media Strategy of ISIS, » *Survival*, 56(6) (2014).

الإرهاب البيولوجي والكيميائي وأثره في السياسة الدولية

Biological and chemical terrorism and its impact on international politics

Ali Saad Moussa Ali

م. م علي سعد موسى علي¹

قسم العلوم السياسية، كلية القانون والعلوم السياسية (الجامعة العراقية)

Department of Political Science, College of Law and Political Science (Iraqi University)

ملخص: نتعرض في دراستنا هذه إلى البحث في موضوع الإرهاب بشكل عام على صعيد الإطار العام من التعريف اللغوي والاصطلاحي والإجرائي، ومن ثم الحديث عن أنواع الإرهاب، وهو تمهيد للولوج إلى صلب الدراسة وهو الإرهاب البيولوجي والكيميائي وأثره في السياسة الدولية، والذي نتطرق له بالتفصيل من حيث التعريف والأنواع ومدى خطورته في البيئة الدولية، والرؤية الأمريكية الغربية لهذا النوع من الإرهاب على مستوى الاتفاقيات والمؤتمرات والبروتوكولات الخاصة بمناقشة ومعالجة الخطورة المتولدة عنه، ومن ثم نذهب إلى استعراض مديات أثر الإرهاب البيولوجي الكيميائي على السياسة الدولية وكذلك الخطر الناشب عنه والذي يهدد الأمن والاستقرار الدولي.

كلمات مفتاحية: الإرهاب، الإرهاب البيولوجي، الإرهاب الكيميائي، السياسة الدولية

Abstract: In this study, we discuss the topic of terrorism in general at the level of the general framework of the linguistic, idiomatic and procedural definition, and then talk about the types of terrorism, which is a prelude to entering the heart of the study, which is biological and chemical terrorism and its impact on international politics, which we address in detail in terms of definition. And the types and extent of its danger in the international environment, and the American-Western vision of this type of terrorism at the level of agreements, conferences and protocols for discussing and addressing the danger generated by it, and then we go to review the extent of the impact of biological and chemical terrorism on international politics as well as the danger arising from it that threatens international security and stability .

Keywords: Terrorism, bioterrorism, chemical terrorism, international politics

مقدمة

تعد ظاهرة الإرهاب مظهرًا من مظاهر العنف الذي كان ولا يزال يتفشى في المجتمعات الدولية والداخلية على السواء ، ومثلما أسست هذه الظاهرة صعوبات جمة لتلك المجتمعات، فإنها تلقت ذات الصعوبات بشأن التوصل إلى تعريفها وتحديد مضمونها ، لذا من الأهمية بمكان التعرف على هذه الظاهرة وتعريفها وبيان مفهومها وأنواعها، وقد زادت أهمية هذه الظاهرة بعد أحداث 11 أيلول عام 2001.

إن جريمة الإرهاب البيولوجي الكيميائي من الجرائم الخطرة إذ تستمد العمليات الإرهابية منها قوتها، وحجم تأثيرها ودمارها، ولاسيما إنها تعد من الجرائم العابرة للحدود القومية، إذ أن التنظيمات الإرهابية سواء كانت تعمل داخل الدولة، أو في أكثر من دولة، وسواء كانت تمارس نشاطاً داخلياً أو خارجياً فهي يحركها هدف واحد هو استمرار العمل الإرهابي ، وهذا يحتاج إلى حضور التعاون الدولي في سبيل مكافحة الإرهاب بشكل عام، وهذا النوع بشكل خاص، فضلاً عن الجهد المحلي أو الوطني الذي تتسم به الوسائل التي تتخذها كل دولة على حده في تشريعاتها الداخلية للحد من اتساع نطاق الإرهاب. ونلاحظ أن الحدود القومية للدول معرضة للخطر مع اتساع صفة العالمية للجرائم الإرهابية، واتجاه التنظيمات الإرهابية إلى التحالف فيما بينها؛ لممارسة أنشطتها الإرهابية من دون التقييد بالحدود الجغرافية للدول ، وهذا يتطلب جهود مكثفة من قبل السلطات المختصة لمكافحة الإرهاب بشكل عام، والإرهاب البيولوجي الكيميائي بشكل خاص.

تنبع أهمية الموضوع من أن الإرهاب الذي بات يشكل العدو الأكثر خطورةً بعد أحداث الحادي عشر من أيلول /2001، مهدداً ليس للأمن القومي الأمريكي فحسب بل للأمن وللاستقرار العالمي ككل وفق وجهة النظر العالمية، الأمر الذي دفع الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأخرى إلى تبني إستراتيجية جديدة للأمن القومي، تقوم على أساس مكافحة الإرهاب.

تنصب إشكالية البحث حول موضوع مكافحة الإرهاب وكيفية تعاطي المجتمع الدولي معه استراتيجياً، فمن المعلوم أن الإرهاب بصورة عامة، والإرهاب البيولوجي الكيميائي بصورة خاصة، شكل وما يزال يشكل تهديداً مستمراً ومتصاعداً للأمن والسلم الدوليين، إذ من شأنه تعريض الأمن والسلام العالمين للخطر ، الأمر الذي له انعكاساته السلبية على أمن وسلامة الشعوب. وانطلاقاً من إشكالية الدراسة تم طرح عدد من التساؤلات البحثية التي يتقدمها التساؤل الرئيس، ما هو الإرهاب بشكل عام وكيف يؤثر في السياسة الدولية؟ ويتفرع عن هذا التساؤل الرئيس مجموعة من

التساؤلات الفرعية على النحو الآتي: ما هو الإرهاب البيولوجي الكيميائي؟ وما هي الرؤية الأمريكية الغربية لهذا النوع من الإرهاب؟ ما هو شكل التعاون الدولي في الحد من الإرهاب البيولوجي الكيميائي؟ ما هي انعكاسات الإرهاب البيولوجي الكيميائي على السياسة الدولية؟ ما هو مدى أثر الإرهاب البيولوجي الكيميائي على الأمن الدولي؟

يتضمن الإطار الزمني للبحث التطرق إلى الإرهاب البيولوجي الكيميائي ومدى خطورته في حقب زمنية سابقة وصولاً للوقت الحاضر في القرن الحادي والعشرين، وكذلك يأتي الإطار المكاني للبحث ليشمل مناطق جغرافية في أوروبا وآسيا قد جرى استخدام هذا النوع من الأسلحة فيها. وتتمثل فرضية هذه الدراسة بأنه كلما زادت وتيرة الجرائم المنظمة تفشت ظاهرة الإرهاب. وكلما وضعت نصوص قانونية مناسبة ومحددة في التشريعات الوطنية والقرارات الدولية بشأن مواجهة الإرهاب قل استخدام الأسلحة البيولوجية الكيميائية وعمليات التنظيمات الإرهابية. وكلما تم تعزيز وسائل وأساليب التعاون الدولي والإقليمي لتجفيف منابع المالية للتنظيمات الإرهابية فإن ذلك يسهم في تطوير ظاهرة الإرهاب البيولوجي الكيميائي .

اعتمدنا في موضوع بحثنا هذا على المنهج التاريخي لبيان نشأة الإرهاب وتطوره وتوضيح مفهومه ومضمونه، وكذلك المنهج التحليلي الاستقرائي للعمل على قراءة وتحليل النصوص الواردة في عدد من الاتفاقيات الدولية والقوانين الوطنية الخاصة بمكافحة الإرهاب البيولوجي الكيميائي وبيان أوجه النقص والغموض فيها، وتبسيط الضوء على هذا النوع من الإرهاب وانعكاسه على السياسة الدولية والأمن والاستقرار الدولي.

يشتمل البحث على مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة ، وسيكرس المبحث الأول عن نشأة وتطور الإرهاب ، وسوف يخصص المبحث الثاني لدراسة طبيعة الإرهاب البيولوجي الكيميائي، والرؤية الأمريكية والغربية له، وسينفرد المبحث الثالث حول الإرهاب البيولوجي الكيميائي وانعكاسه على السياسة الدولية والأمن والاستقرار الدولي ، وتشمل الخاتمة على أبرز أفكار التي جاء بها البحث وما توصل إليه من الاستنتاجات والتوصيات.

أولاً: الإرهاب البيولوجي (تعريفه وتطوره)

يعرف الإرهاب البيولوجي بأنه ذلك الاستخدام المتعمد لبعض الكائنات الحية الدقيقة والتي تعرف اختصاراً باسم المكروبات وكذلك إفرازاتها السامة بهدف إحداث المرض أو القتل الجماعي

للإنسان أو ما يمتلكه من ثروة نباتية أو حيوانية، أو تلويث لمصادر المياه أو الغذاء أو تدمير للبيئة الطبيعية التي يحيى فيها والتي قد يشملها التدمير لعدة سنوات¹. كما يعرفه الدكتور الحسن محمد إبراهيم، الاستزراع أو النشر المتعمد للكائنات الممرضة من البكتريا، أو فطريات أو فيروسات ونواتجها السامة (التروكسينات) أو أي مواد ضارة أخرى ناتجة عنها، بهدف نشر المرض في الإنسان أو الحيوان أو النبات مما يؤدي إلى القضاء عليهم².

إن الاستخدام المتعمد للكائنات الحية أو سموها تقتل الإنسان وتنزل الخسائر به، أو بممتلكاته من الثروات الحيوانية أو الزراعية بغية إيقاف مقدراته ويطلق على هذا النوع مصطلح الحروب البكتيرية، أو الحروب الجرثومية إلا أن لفظ البيولوجية هو المفضل بسبب شموله للبكتريا وغيرها من أنواع الكائنات الدقيقة³.

الإرهاب البيولوجي يكون بالاستعمال المعتمد لمواد كيميائية أو جراثيم أو فيروسات تميت الأجسام الحية (نبات، حيوان، إنسان) والهدف الأساسي من إطلاق هذه المواد السامة هو إضعاف أو شلل طاقات الحركة والعمل عند الإنسان المصاب وذلك بشكل مباشر أو عن طريق نفاذ مصادر تغذيتها من نبات أو حيوان، ويمكن تحديد الأسلحة الكيميائية والبيولوجية كونها أسلحة سامة، تختلف عن الأسلحة الكلاسيكية. ومن هذا المنطلق يمكن القول أن الإرهاب البيولوجي الكيميائي هو الاستخدام غير الشرعي أو التهديد باستخدام الكائنات الحية الدقيقة أو السموم المستخلصة من ذلك الكائنات للتسبب في إحداث وفيات أو أمراض للإنسان أو الحيوان أو النباتات، هذا الاستخدام المسيء بهدف لأحداث الذعر وزعزعة الدولة أو المجتمع لتحقيق مآرب سياسية أو دينية أو فكرية، كما تستخدم تلك الثروات الزراعية والحيوانية⁴.

إن استخدام الكائنات الحية كأسلحة بيولوجية قديم قدم الخلق، ومما لاشك فيه أن الإنسان البدائي في مستهل تاريخ البشرية، قد استخدم السلاح البيولوجي (الميكروبي)، فعلى سبيل المثال استخدمت القبائل البدائية المواد السامة المستخلصة من بعض النباتات والحيوانات ولنت بها رؤوس رماحهم وسهامهم، وذلك لقتل حيوانات الصيد وأعدائهم من البشر⁵. ولقد اثبت البحث

¹ احمد محمد علي، الإرهاب البيولوجي خطريدهم البشرية (مصر: مكتبة نهضة، 2002)، ص 7.

² حسن محمد إبراهيم، الأسلحة الكيميائية والجرثومية والنوية (الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، 1986)، ص 37.

³ جميل الليل السيد يوسف، أسلحة الدمار الشامل (مكتبة جبل المعرفة، 1424هـ)، ص 529.

⁴ أمين فهد حسن، الأسلحة الحيوية (الرياض: كلية الملك عبد العزيز الحربية، 1401هـ)، ص 19.

⁵ أمين فهد حسن، مرجع سابق، ص 15.

العلمي مدى خطورة ميكروبات الروث على الصحة العامة للإنسان، نظرا لاحتوائه على بكتيريا الغرغرينا الغازية وكذلك بكتيريا التيتانوس¹. وفي العصور الوسطى كان من المألوف قذف جثث الحيوانات النافعة، وكذلك ضحايا مرض الجدري والطاعون الدجلي (الدمل) من فوق أسوار المدن المعاصرة بواسطة المنجنيق، وهذا ما حدث في القرن الرابع عشر حيث حوَصر الميناء البحري (كاف) الذي يقع على البحر الأسود في شبه جزيرة القرم بروسيا وأدى ذلك إلى انتشار وباء عجل من استلام الجنود المحاصرين واتباع أسلوب الحرب البيولوجية في حروب أخرى كثيرة، منذ أن عرف العالم مدى خطورة مرض الجدري والطاعون على الصحة العالمية للإنسان، وعلى الانتشار الفعال مما يؤدي إلى تفشي الأوبئة².

يمتد تاريخ استعمال الأسلحة البيولوجية من الإنسان البدائي الذي عاش قبل التاريخ، إلى الإنسان المعاصر المسلح بالعلم وتقنياته البيولوجية الجزئية لإنتاج أسلحة بيولوجية متطورة. وقد تم تقسيم مراحل استخدام الأسلحة البيولوجية عبر التاريخ إلى مراحل تاريخية، تغيرت خلالها طبيعة الأسلحة المستخدمة، وتطورت وسائل استخدامها، وحتى التكنولوجيا المستخدمة في تصنيفها، وسنتناول هذه المراحل تباعا.

1. المرحلة الأولى: تلوّث مصادر المياه (الفترة ما بين عام 300 ق.م حتى عام 1763م)

تشير كتب التاريخ إلى أن اليونانيين قد استخدموا مخلفا بعض الحيوانات في تلوّث مصادر مياه الشرب التي يشرب منها أعداؤهم، وتلا ذلك استخدام الفرس والروم الأسلوب نفسه في حربهم مع الأعداء في بعض الأحيان، أو مع بعضها البعض، ولأن الجيوش لا يمكن أن تعيش دون مياه فقد كان تلوّث مياه الشرب هو إحدى الوسائل المهمة التي يلجأ أحد الجيشين أو كلاهما، لشل حركة الجيش المعادي، والتمكن منه والانتصار عليه³. وفي عام 1155 كانت هناك معركة في مدينة "تورتوخا" بإيطاليا استخدم "بارباروسا" جثث الضحايا من الجنود، وأيضا من الحيوانات التي نفقت لتلوّث آبار المياه، التي كان يشرب منها أعداؤه، كان تلوّث مياه الآبار ومصادر الشرب من أهم أساسيات تكتيك الحرب في هذه الفترة حتى عصر النهضة.

¹ المرجع نفسه، ص19.

² جمل الليل يوسف، أسلحة الدمار الشامل (الرياض: مكتبة جيل المعرفة، 2002)، ص530.

³ جوار بشير محمود، تطوير الأسلحة البيولوجية (الرياض: مركز الدراسات والبحوث، 1426هـ)، ص18.

في عام 1422 بدأ استخدام إلقاء جثث الضحايا الذين انتشر فيهم وباء أو مرض معد معين في حصون الأعداء من أجل أن يستسلموا للحصار، وكان ذلك أثناء حصار مدينة "كاروليستين"¹. وفي القرن الرابع أيضا أثناء حصار التتار لمدينة "كافا" بأوكرانيا، انتشر وباء الطاعون بين قواتهم، انتهز التتار الفرصة واخذوا يرمون الجثث التي ماتت بالطعون خلف أسوار وقلاع المدينة التي انتشر فيها الوباء حتى استسلمت لقوات الغزاة.

2. المرحلة الثانية: (1763-1925)

تسمى بمرحلة هدية الانكليز للهنود الحمر، حيث انه في ربيع 1763 كان السيد "جيفري امهيرست" هو القائد العام للقوات البريطانية في أمريكا الشمالية، والتي كانت في حالة حرب مع الهنود الحمر السكان الأصليين للقارة، وثار الهنود الحمر ثورة عارمة ضد قوات الاحتلال البريطاني، حيث أنهم اخذوا يذبحون الجنود والنساء والأطفال البريطانيين ويحرقون دروعهم². ولما لم يكن هناك وسيلة لطلب العون من بريطانيا العظمى في ذلك الوقت نظرا لبعده المسافة وصعوبة المواصلات، فقد بعث الكولونيل "هنري بوكيه" في 23 جويلية 1763 إلى السير "امهيرست" يخبره بكل الصعوبات والمعوقات والأخطار التي يواجهها في المنطقة الواقعة في غرب ولاية بنسلفانيا الآن واخبره أن نرض الجدري المعدي انتشر بين جنوده، مما اضطر لبناء مستشفى لعزل المرضى منه حتى لا ينتشر الجدري بين باقي قواته. وفي رده على "بوكيه" نصحه "امهيرست" بأن يرسل مخلفات هؤلاء المرضى إلى معسكر الأعداء من الهنود الحمر بطريقة أو أخرى لكي يتخلص منهم وكان رد بوكيه سريعا حين اخبره أنه نجح فعلا بتلويث بطانيات ومناديل اليد بمكروب الدري من مخلفات الجنود المرضى بهذا المرض وأسقطاها في معسكرات الهنود الحمر للقضاء عليهم. وقد كان القرن 18 هو بداية معرفة الناس بالأمراض المعدية المختلفة واستخدامها كسلاح في الحروب، على الرغم من عدم معرفتهم آنذاك بأسباب تلك الأمراض، ولا يكفيه حدوثها وانتشارها، أو وسائل الوقاية منها³.

في عام 1915م وأثناء الحرب العالمية الأولى، اتهمت إيطاليا وألمانيا باستخدام ميكروب "الكوليرا" في حربها ضده، واتهم الألمان أيضا باستخدام ميكروب الطاعون في حربهم ضد الروس، وقد ثبتت فعلا استخدام الألمان لبكتريا "الأنثراكس" العضوية في "بوخارست" بروما من أجل نشر

¹ مصباح عبد الهادي، الأسلحة البيولوجية والكيميائية بين الحرب والمخبرات الإرهاب (الدار المصرية اللبنانية، ط 1، 2000)، ص 47.

² جرار بشير محمود، تطوير الأسلحة البيولوجية (الرياض: مركز الدراسات والبحوث، 2007)، ص 19.

³ المرجع نفسه، ص 19.

العدوى بين الخيول والماشية للأعداء التي كانت أحد أسلحة الحرب في ميادين القتال ومخزونها من الغذاء، والتي يمكن أن تنتقل عدواها للإنسان أيضاً¹. وفي محاولة من الدول للتصدي لمثل هذه الأنواع من الأسلحة البيولوجية، كانت هناك أولى المحاولات الدبلوماسية لتحجيم انتشار مثل هذه الأنواع من الأسلحة بعد الحرب العالمية الأولى، من خلال بروتوكول جنيف عام 1925م، والذي يحظر استخدام الغازات السامة والخانقة، وكذلك الوسائل البكتريولوجية، والكائنات الدقيقة، كوسيلة من وسائل الحرب والأسلحة، إلا أن هذه المعاهدة لم تحظر إجراء الأبحاث أو امتلاك أو تحضير مثل هذه الأسلحة البيولوجية.

لم يكن هناك أي نوع من التفتيش أو الرقابة على إنتاج مثل هذه الأنواع من الأسلحة، ولذلك فقد زادت عدد الدول التي تجري أبحاثاً، وتنتج مثل هذه الأنواع من الأسلحة البيولوجية لتشمل: بلجيكا، فرنسا، بريطانيا العظمى، إيطاليا، هولندا، بولندا والاتحاد السوفيتي. وكل هذه الدول وقعت على بروتوكول عام 1925، إلا أن الولايات المتحدة أيضاً كانت تجري أبحاثاً وتنتج أسلحة في هذا المجال، ولكنها لم توقع على بروتوكول 1925، ولم توقع على حظر امتلاك مثل هذا النوع من الأسلحة لأغراض هجومية سوى عام 1972م².

3. المرحلة الثالثة: (1925م-1945م)

كانت اليابان في طليعة الدول التي كانت تجري أبحاثاً على إنتاج الأسلحة البيولوجية واستخدامها في الحروب في الفترة التي سبقت، وأثناء الحرب العالمية الثانية تحت إشراف "شيروايشاي" في الفترة 1934م-1942م، و "كيانومساي" في الفترة 1942م-1945م أثناء احتلال اليابان لمنشوريا في الفترة من عام 1932م حتى نهاية الحرب العالمية الثانية في عام 1945م³.

في مدينة "ينج فان" وحولها، كان هناك ما يقرب من 731 مركز للدراسات والأبحاث في مجال الأسلحة البيولوجية، وكانت تشغل حوالي 150 مبنى ويعمل بها أكثر من 3000 عالم وفي هذا المجال، وكان اليابانيون يستخدمون السجناء لتجريب مثل هذه الأسلحة عليهم، والتي تشمل تجريب ميكروبات: الانتراكس، التيسيريا الحسبية للحمى الشوكية، الكوليرا، بكتريا الطاعون، وكان ضحية هذه التجارب أكثر من 10 آلاف من هؤلاء السجناء ماتوا في الفترة بين عامي 1932-1945 كما نتيجة

¹ مصباح عبد الهادي، مرجع سابق، ص 49.

² المرجع نفسه، ص 49-50.

³ جزار بشير محمود، مرجع سابق، ص 19.

إصابتهم بعدوى أدت إلى وفاتهم، واضطراهم لإعدامهم بعد التجارب عليهم. وأمام محكمة مجرمي الحرب، اعترف العلماء اليابانيون الذين تم أسرهم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بأنهم استخدموا الأسلحة البيولوجية في 12 محاولة أثناء الحرب، وذلك أثناء هجومهم على 11 مدينة صينية، وكانت الأنهار والآبار ومصادر الطعام هي الهدف من وراء هذه الهجمات من خلال بكتريا الانثراكس، الكوليرا، السالمونيلا، وكذلك ميكروب الطاعون¹.

وعلى الرغم من أن اليابان كانت تجري كل هذه التجارب، إلا أنها كانت تفتقر إلى الوسائل المتقدمة التي تدافع بها عن نفسها إذا حدث هجوم عليها بمثل هذا النوع من الأسلحة، ففي إحدى الهجمات على مدينة "تشانج تيه" في عام 1941 توفي 1700 شخص، وأصيب ما يقرب من عشرة آلاف شخص نتيجة للعدوى بميكروب الكوليرا. أما هتلر فكان يرفض استخدام هذا النوع من الأسلحة، وكان المعتقلون في معسكرات النازي يتم حقنهم بميكروبات الريكيتسيا وفيروس التهاب الكبدى (أ) وكذلك البلازموديا التي تسبب الملاريا، وكان الهدف من وراء هذه التجارب هو الوصول إلى علاج جذري أو تطعيم للوقاية من العدوى بمثل هذه الكائنات².

4. المرحلة الرابعة: حرب الخليج 1991م وما بعدها

حرب الخليج لها الفضل الأكبر في تعريف الناس والمجتمع الدولي والساسة والعسكريين بأهمية الأسلحة البيولوجية، وضرورة الاستعداد لمواجهةها فبعد احتلال العراق للكويت، ورفض المجتمع الدولي هذا الاحتلال، واستخدام الثورة المتمثلة في جيوش 28 دولة على رأسها الولايات المتحدة وبريطانيا مما جعل الرئيس صدام حسين والنظام العراقي لا يجدون وسيلة لإرهاب هذه الجيوش إلا التهديد باستخدام الأسلحة البيولوجية والكيميائية، وارتفعت الأصوات التي كانت تنادي بوقف برنامج التسليح في الولايات المتحدة وفرنسا ودول أخرى كانت تعلم بما تحتويه ترسانة الأسلحة العراقية من أسلحة بيولوجية، إلا أن الرعب تملك القوات المحاربة في جيوش التحالف، وصاحبه رعب أكبر في إسرائيل التي حاول صدام بالفعل مهاجمتها بصواريخ "سكود" التي كانوا يخشون أن تكون محملة برؤوس بيولوجية من بعض أنواع البكتريا مثل الانثراكس وغيرها، وقد صاحب ذلك الحدث الهام بعض الحوادث الإرهابية التي استخدمت بعض الأسلحة البيولوجية

¹ مصباح عبد الهادي، مرجع سابق، ص 49.

² جرار بشير محمود، مرجع سابق، ص 20.

والكيميائية من أجل أغراض إرهابية¹. وقد أضحت واضحة لدى القوات العظمى أن دول العالم الثالث لديها أيضاً إمكانات أسلحة الدمار الشام متمثلة في تلك الأسلحة البيولوجية التي يطلقون عليها "قنابل الفقراء الذرية" وأصبح لزاماً على قوى العالم المتقدم أن تعترف على قدرة هؤلاء على إحداث دمار.

ثانياً: الإرهاب الكيميائي

لقد تم تقسيم مراحل استخدام الأسلحة الكيميائية عبر التاريخ إلى مراحل تاريخية، تغيرت خلالها طبيعة الأسلحة المستخدمة، وتطورت وسائل استخدامها، وحتى التكنولوجيا المستخدمة في تصنيفها، تستخدم الكائنات الدقيقة المستخدمة لأغراض الإرهاب الكيميائي إلى أربعة أصناف وهي:

1. البكتيريا

وهي أكبر من الفيروس حجماً، يسهل إنتاجها على مستوى كبير، وذلك بواسطة معدات وطرق شبيهة بتلك المستخدمة في صناعة التخمير، غير أن زراعتها لكميات كبيرة وبدرجة عالية من التأثير القاتل يتطلب مهارات خاصة وخبرات عالية وإن كانت معظم البكتيريا تتأثر بالمضادات الحيوية إلا أنه من الممكن تحضيرها بسهولة بحيث تكون بها مقاومة أكبر لهذه الأدوية وإيضاً ضد أشعة الشمس والجفاف. والبكتيريا أيضاً يمكن تغيير طبيعتها شأنها في ذلك شأن الفيروسات بالهندسة الوراثية ومن أمثلة البكتيريا: التيتانوس، السل، السعال الديكي، الطاعون².

2. الفيروسات

تعتبر الفيروس أصغر صورة من صور الحياة على اليابسة أن أغلب الفيروسات ولا يمكن رؤيتها إلا تحت المجهر الإلكتروني، ويتعين نزعها على الخلايا حيث مثل الأنسجة الحية. أو بويضات مخصبة، هذا يمكن تغير الفيروس بالهندسة الوراثية. ويعرفها البعض بأنها طفيليات في داخل الخلايا أصغر مائة مرة من الجراثيم ويمكن ندخل العدوى إلى الإنسان والمحاصيل والحيوانات المنزلية، وهي تتكون من خيط من المادة الوراثية ADN محطّة بغلاف وقائي سهل عليها الانتقال من ناحية إلى أخرى ومن أمثلة الفيروسات: الجدري، الإيدز، السيدا، الجمرة الخبيثة³.

¹ مصباح عبد الهادي، مرجع سابق، ص 56.

² جولي مصطفى قرّة، خفايا السلاح البيولوجي (دمشق، دارأرسلان، ط1، 2006)، ص 74.

³ وجدي عبد الفتاح سواح، ثورة الهندسة الوراثية، حرب الجينات (مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، 1999)، ص 14.

3. الركتيسيات

وهي وسط بين الفايروس والبكتريا , فهي تنمو فقط على الأنسجة الحية شبيهة بالجراثيم في الشكل والبنية , ولكنها طفيليات داخل الخلايا , ولا يمكنها التكاثر إلا في داخل الخلايا الحيوانية وتشمل أمثلة: أمراض الركتيسية التي قد تستخدم في الحرب البيولوجية , وقد كان حظ هذا السلاح من اهتمام حتى أوائل السبعينات اقل حظ من الفيروس والبكتريا أعلى انه في السنوات الأخيرة حظي باهتمام اكبر¹.

4. الفطريات

لا تحدث الفطريات وبموجب عام , أمراض في الإنسان ولكن الأمراض الفطرية مدمرة النباتات, وقد تستخدمهم لتدمير الإنتاجات الفلاحية وإحداث مجاعة واسعة النطاق ومعاونة اقتصادية . وينتقل الفطر المسبب لأمراض بواسطة نواقل مثل الغبار بالنسبة لكوك سيود مايكوس حيث من الممكن وضع هذا المرض مكثفا في رذاذ ونشره ليتسبب في التهاب رئوي حاد وآلما في المفاصل¹ مما يؤدي الى الوفاة وهي الحلة الخاصة التي تحدث فيها الفطريات أمراض بالنسبة للإنسان ولا يوجد هناك دواء وقائي وعلاج لهذا المرض. وتستخدم مثل هذه الفطريات السامة على نطاق واسع في الحرب البيولوجية , اذا امكن تطوير كثير من الأسلحة البيولوجية انطلاقا من التأثير الموضوعي للمرض⁽²⁾.

5. الجراثيم

مرض الجمرة الخبيثة قد بدأ إدخال هذا النوع من البكتيريا لمجال الحرب البيولوجية في الولايات المتحدة في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات, وتدخل بكتيريا الأنثراكس الجسم من خلال ثلاث طرق هي: الجلد, الجهاز الهضمي, الرئة, إلا أن الأنثراكس المستخدم في التسليح البيولوجي يكون دائما على شكل ايروسول, ويدخل الجسم عن طريق الاستنشاق وله فترة حضانة من 1-5 أيام يبدأ بعدها ظهور الأعراض المرضية هي ارتفاع حاد في درجة الحرارة, وإجهاد وتعب وآلام في العضلات مع مجال وآلام حادة في الصدر, يرافقها ضيق في التنفس وشعور بالاختناق والزرقعة³. وقد يحدث تلوث في الدم قد يؤدي إلى التهاب سطحي في المخ, ونزيف داخلي وصدمة تنتهي بالموت في خلال 24-36 ساعة,

¹ المرجع نفسه, ص16.

² محمود الصالح, الجريمة الدولية (الإسكندرية: دار الفكر الجامعي, 2003), ص96.

³ احمد محمد علي, مصدر سابق, ص 31.

إذا لم يتم العلاج الفوري في الوقت المناسب، ويكون العلاج من خلال المضادات الحيوية، وتطعيم الآخرين يجب أن يحدث قبل التعرض للإصابة بوقت كاف، وذلك من خلال علاج يؤخذ على ست جرعات تحت الجلد.

مرض الجدري يسببه فيروس لا يصيب سوى الإنسان، لذا فإنه لكي يبقى وتستقر دورة حياته، فإن الفيروس لابد أن ينتقل من إنسان لآخر حيث إنه مرض قاتل ولو استمر في الحياة، على إنسان واحد لمات معه، لذا فهو شديد العدوى عن طريق الرذاذ والهواء والعطس والكحة، وتبلغ فترة الحضانة من 12 إلى 14 يوماً وتبدأ الأعراض المرضية في الظهور على شكل ارتفاع حاد في درجة الحرارة (الحى) ألم حاد في شتى أنحاء الجسم مع شعور بالهزال، وفي 2-3 أيام يبدأ الطفح الجلدي في الظهور على الوجه أولاً ثم يبدأ في الانتشار على الجسم كله بما فيها اليدين وباطن القدمين، ثم يبدأ الطفح في التحول إلى فقاعات مائية، وفي الغالب فإن الموت يحدث في غضون الأسبوع الثاني من ظهور الأعراض المرضية¹ ولعل أقرب الأمراض التي تتشابه بعض أعراضها مع مرض الجدري هو مرض الجدري، وهو مرض لا يقارن بخطورة مرض الجدري ويصيب معظم الأطفال ويأتي تشابه الأعراض في أول 2-3 أيام من ظهورها حيث أن التشخيص السليم في هذه المرحلة من الأهمية القصوى لإنقاذ حياة الكثيرين من الذين يتعرضون لعدوى الجدري، لأن تناول التطعيم في هذه المرحلة يعد من أهم الأشياء التي ينبغي عملها سواء للمريض، أو المحيطين به والعلاج الوحيد لعدوى الجدري هو التطعيم وعزل المريض، حيث أن عدوى الجدري تزيد في الجو البارد والجاف، إلا أنها يمكن أن تنتقل في كل الأجواء وفي كل الظروف.

يتسبب مرض الطاعون أو ما يسمى بالموت الأسود في قتل الملايين في العصور الوسطى²، وفي حالة وصول هذه البكتيريا للرئة فإن الأعراض المرضية تبدأ في الظهور في خلال 3-4 أيام، وتكون على شكل حصى وهذيان ونزيف داخلي قد تنتهي بالموت حالة عمد اخذ العلاج المناسب في الوقت المناسب. وهذه البكتيريا تحتفظ بها القوارض مثل الفئران وتتربى بداخلها وتنمو حتى تنتقل إلى الإنسان، إما عن طريق تلك القوارض إذا عضت البشر أو عن طريق الحشرات الناقلة للبراغيث.

فيروس إيبولا هو مرض مميت وتظهر أعراضه في خلال 2-3 أيام من التعرض لعدواه وتظهر على شكل ارتفاع في درجة الحرارة، آلام حادة في المفاصل، نزيف في كل فتحات الجسم، تشنجات

¹ جولي مصطفى قرة، مرجع سابق، ص 74.

² جرار بشير محمود، مرجع سابق، ص 30.

حتى الموت وهو فيروس قاتل في اقل من أسبوع وسريع الانتشار والعدوى، وليس له علاج أو مصل واق، ليس هنا كالحجر الصحي للمرض، وهو حديث الاستخدام في هذا المجال ويمثل خطورة بالغة حتى لمن يحاول استخدامه في أغراض الأسلحة البيولوجية وبتمثل عن طريق الدم وسوائل الجسم المختلفة وبقاياه عند الإصابة بعد فيروس ابولا فإن كل الأنسجة الضامة في الجسم تنوب ويصبح الجلد والأغشية المخاطية في الجسم مثل ورق السوليفان الذي سهل نزعها من الجسم، حيث توجد تحته نافورة من الدم ثم يصاب برعشة وتشنجات تنتهي بالموت¹.

6. الغازات السامة

بدأ الاستخدام الحديث للأسلحة الكيميائية مع الحرب العالمية الأولى، فقد استخدم طرفا الصراع الغاز السام لإحداث معاناة موجعة، وإسقاط عدد كبير من الضحايا في ساحة القتال. وكانت هذه الأسلحة تتمثل أساسا في مواد كيميائية تجارية معروفة جيدا توضع في ذخائر عادية، كالقنابل اليدوية وقذائف المدفعية. وكان من المواد الكيميائية المستخدمة غاز الكلور، والفوسجين (عامل يسبب الاختناق)، وغاز الخردل (الذي يسبب حروقا مؤلمة في الجلد). وكانت النتائج جرافية ومدمرة في الغالب. ونتج عن ذلك قرابة 100 000 حالة وفاة. وقد تسببت الأسلحة الكيميائية منذ الحرب العالمية الأولى في إصابة أكثر من مليون شخص على نطاق العالم.²

ثالثا: الرؤية الأمريكية والغربية للإرهاب البيولوجي الكيميائي

في عام 1941 بدأت الولايات المتحدة الأمريكية بالاشتراك مع كندا وبريطانيا وبعض الدول الأخرى، برنامجا قويا لأبحاث التسليح البيولوجي الكيميائي وإنتاج مثل هذا النوع من الأسلحة، وبالفعل كان عام 1942 هو بداية برنامج التسليح البيولوجي الهجومي في الولايات المتحدة في مدينة "كامب ديتريك" بولاية ميريلاند التي تعير اسمها بعد ذلك في عام 1956 إلى "فورث ديتريك" وكان هذا البرنامج يشمل استخدام أنواع مختلفة من البكتيريا مثل الانثراكس والبروسيلا، إلا أن تجربة إنتاج مثل هذه الأنواع من الميكروبات كانت محفوفة بالخطر، حيث حدث أكثر من حادث تلوث للبيئة ولبعض النبات بأنواع من البكتيريا، التي كان من المعتقد انها غير ضارة على الإطلاق، وربما كان هذا احد الأسباب التي جعلت الأمريكان والحلفاء لا يستخدمون هذا النوع من الأسلحة في الحرب

¹ عبد الهادي مصباح، مرجع سابق، ص 33.

² "الأسلحة الكيميائية"، متوفر على الرابط <https://www.un.org/disarmament/ar>.

العالمية الثانية، على الرغم من وجود أكثر من 5000 قنبلة مملوءة بالانثراكس المميتة التي إنتاجها في مدينة "كامب ديتريك" والتي تحولت بعد الحرب إلى مصانع لإنتاج الأدوية والتطعيم المضاد لمثل هذه الأنواع من البكتريا¹.

وفي عام 1947 سحب الرئيس "ترومان" بروتوكول جنيف الخاص في استخدام الأسلحة البيولوجية الكيميائية من مجلس الشيوخ، لأنه وجد أن الموافقة عليه والدخول فيه سوف يعيق البرنامج الهجومي للتسلح البيولوجي للولايات المتحدة. وما بين عامي 1950-1953 وأثناء الحرب الكورية، حدث تقدم واضح في وسائل إنتاج وإطلاق هذه الأنواع من الأسلحة، وفي أسلوب تخزينها بأقصى حد من الأمان المتاح في تلك الآونة. وفي أثناء الستينات كانت كل أسلحة الجيش الأمريكي تحتوي على برنامج نشط للحرب والأسلحة البيولوجية، وكانت ترسانة هذه الأسلحة المتضمنة تشمل أسلحة قاتلة مثل: الانثراكس، وسم البوتولينوم، وكذلك البكتريا المسببة لحمى الأرانب، وكذلك أسلحة تسبب أمراض معوقة وكان من ضمن هذه الأسلحة أيضا تلك الموجهة على المحاصيل الزراعية لضرب اقتصاد الدول المعادية، مثل بعض الفطريات التي تقضي على محاصيل الأرز والقمح وغيرها.

لقد أعلنت الولايات المتحدة أنها تخلصت من كل ما لديها من الأسلحة البيولوجية الكيميائية في عام 1972م وبالتالي تبعها كل الدول الأخرى، وتم توقيع معاهدة 1972م لحظر استخدام أو إنتاج أو تخزين الكائنات الحية والسموم واستخدامها كسلاح أو لأغراض هجومية وكذلك حظر استخدام وسائل إطلاق مثل هذه الأسلحة والتخلص من الأسلحة الموجودة لدى الدول على هذه الاتفاقية في خلال 9 أشهر من توقيع هذه الاتفاقية عام 1972، لأنه تولى لدى المجتمع الدولي قلق متزايد من خطورة استخدام الأسلحة البيولوجية لما نتج عنه من تلوث بيئي، وعدم القدرة على التحكم في الهدف المفروض إصابته فقط، خاصة وأن الهدف الذي يمكن أن تصوب نحوه هذه الأسلحة سوف يكون من المدنيين العزل الذين لا ناقة لهم ولا جمل في الحروب، والخطورة الناتجة من احتمال انتشار مثل هذه الأنواع من البكتيريا بين القوات التي استخدمتها كسلاح ضد العدو، وبعد أن أنهت الولايات المتحدة برنامج التسليح البيولوجي الهجومي بها بإعدام ما لديها من مخزون من الكائنات الدقيقة الجرثومية، أو السموم أو غيرها²، مما يمكن استخدامه كسلاح بيولوجي،

¹ مصباح عبد الهادي، مرجع سابق، ص 51.

² جرار بشير محمود، مرجع سابق، ص 21.

وذلك في الفترة ما بين 1971-1973 كان المفهوم السائد في الولايات المتحدة آنذاك أن السلاح البيولوجي لا يمكن أن يكون هو السلاح الاستراتيجي في ميدان المعركة في وجود السلاح النووي والكيميائي، إلا أن ذلك أثار حفيظة البعض لأن البعض أشار بأصبع الاتهام للاتحاد السوفيتي، حيث تبين من خلال تسرب بكتريا الانثراكس من معمل تابع لوزارة الدفاع السوفيتية عام 1979، أن الاتحاد السوفيتي يسير بمهمة ونشاط في اتجاه تصنيع الأسلحة البيولوجية، أما الحكومة السوفيتية فقد أنكرت ذلك تماماً¹، ومع أن التوقيع على معاهدة حظر إنتاج وامتلاك الأسلحة البيولوجية في عام 1972م قد قلل من حظر اندلاع حرب باستخدام مثل هذه الأنواع من الأسلحة، إلا أنه لم يمنع الأبحاث التي أدت إلى التقدم الهائل في وسائل إنتاج مثل هذه الأسلحة، وفي وسائل الوقاية والحماية من أخطارها، في إطارها من السرية التامة، وأحياناً في المصانع المدنية التي صممت لصنع الدواء والتطعيمات الوقائية المختلفة.

إن التطورات المتلاحقة بشأن البيئة، دفعت المجتمع الدولي تتحرك من أجل وضع ضوابط تحد من تفاقم هذه المشكلات التي تستلزم تضافر الجهود بصورة جماعية وتعطي الأولوية للبيئة من خلال وضع اتفاقيات ومعاهدات تضمن الحفاظ على البيئة وما فيها من موارد، وبهذا لم يقف العالم مكتوف اليدين وإنما سعى من خلال هيئة الأمم المتحدة خاصة إلى وضع كثير من الاتفاقيات والمعاهدات، ومنذ تأسيس هيئة الأمم المتحدة أقرت الجمعية العامة أكثر من مائة معاهدة واتفاقية في إطار البيئة².

1. حماية البيئة في إطار المعاهدات والاتفاقيات الدولية

إن الانقسام الدولي طيلة الفترة الممتدة من الحرب الباردة، جعل دور المنظمات الدولية والإقليمية محدودة الفعالية وفي سبيل وضع المعالجات الناجحة والتحرك في السائل التي تهتم بالبيئة، ساور معظم الدول شعور بالقلق إزاء استمرار التسليح الكيميائي والنووي والمخلفات الناتجة عن صناعات هذه الأسلحة الفتاكة بالمعاهدة الدولية مما استوجب انعقاد المؤتمرات والاتفاقيات، ويقصد بالمعاهدة الدولية أو الاتفاق الدولي بالمعنى الأوسع. اتفاق دولي يعقد بين دولتين أو أكثر كتابة ويخضع للقانون الدولي سواء تم في وثيقة أو أكثر أو أي كانت التسمية التي تطلق عليها، والجدير بالذكر أن القواعد التي تحكم إبرام المعاهدات الدولية وتحديد ما يترتب عليها من

¹ مصباح عبد الهادي، مرجع سابق، ص 55.

² عامر محمود طراف، أقطار البيئة والنظام الدولي، ط 1 (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1998)، ص 120.

آثار تضمنتها اتفاقية - فيينا- الخاصة بتعاون المعاهدات الدولية لعام 1969 والتي دخلت في النفاذ عام 1980¹.

بدا بذل الجهود العالمية الرامية إلى تقييد الأسلحة البيولوجية بعد الحرب العالمية الأولى وحظر بروتوكول حظر الاستعمال الحربي للغازات الخانقة السامة أو ما شابهها وبالوسائل الأكثر بيولوجية والموقع في جنيف في 17 جويلية 1925م ، استعمال الأسلحة الكيميائية وكذلك الأسلحة البيولوجية في المؤتمر العالمي لنزع السلاح لكن لم يسفر ذلك حتى شيء يسبب انهيار المؤتمر سنة 1937.

بعد الحرب العالمية الثانية ظلت الجهود الرامية إلى مراقبة الأسلحة البيولوجية والكيميائية مرتبطة ببعضها البعض ففي 1962 وضعت مسألة القضاء على الأسلحة الكيميائية والبيولوجية في جدول أعمال اللجنة الثمان عشرية لنزع السلاح حديثة النشأة آنذاك، وأدى تجميد الموقف في اللجنة الثمان عشرية لنزع السلاح في 1968 إلى اقتراح بريطانيا فصل المناقشات حول المسالتين وفي سنة 1969 قدمت بريطانيا مشروع اتفاقية عن إنتاج وحيازة وتحويل واستعمال الأسلحة البيولوجية وكذلك البحث في الأسلحة البيولوجية ونظم إيصالها، غير أن الاتحاد السوفياتي رفض هذا المشروع وعارض فصل المحادثات عن كل من الأسلحة البيولوجية والأسلحة الكيميائية، وبعد ذلك ظلت المناقشات في طريق مسدود حتى الربيع 1971، إذ غير السوفيات موقفهم فجأة وقبلوا فصل ونتيجة ذلك انه في أوت 1971 وضع كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة مشروعا مماثلا لاتفاقية عن الأسلحة البيولوجية، وفي أبريل 1972 وقعت اتفاقية حظر استحداث أو إنتاج وتخزين الأسلحة البكتريولوجية (البيولوجية والتكسينية وتدمير تلك الأسلحة مائة بذلك استحداث أو إنتاج، أو تخزين أو حيازة العوامل البيولوجية والتكسينات لأغراض سليمة ووسائل الإيصال المتعلقة بذلك.

2. حماية البيئة في إطار المؤتمرات الدولية

على مستوى المؤتمرات الدولية العالمية في حماية البيئة من الأسلحة البيولوجية عقدت العديد من المؤتمرات ترمي إلى اتخاذ جميع التدابير اللازمة لحماية البيئة وإرساء المفاهيم والقواعد

¹ خالد طعمة الشمري، القانون الجنائي الدولي (الكويت ط2، 2005)، ص14.

تكفل التصدي لانتهاكات البيئة والتعدي عليها وقد انبثقت عن عقد هذه المؤتمرات العديد من الاتفاقيات الدولية التي اهتمت بالبيئة ومن هذه المؤتمرات:

مؤتمر ستوكهولم الذي انعقد هذا المؤتمر عام 1972 بحضور أكثر من 115 دولة، تناول شؤون الأرض والعضلات الدولية التي تواجهها في ظل نظام الاستقطاب الثنائي بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي الذي عرقل بحث القضايا المطروحة لإيجاد الحلول المشكلات البيئة والتنمية الاقتصادية والاجتماعية¹. وقد مهد الانعقاد هذا المؤتمر اجتماع انعقد في سنة 1971، جمع قرابة 2200 عالم أكثرهم من مشاهير العلماء بعثوا برسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة ومما جاء فيها لم تجابه البشرية خطراً من الآن بهذه الضخامة وهذا الإنشاء الناتج عن عدة عوامل كل منها أصبح كفيلاً لوجود معضلات مستعصية الحل وتعلن مجتمعة إن ألام الإنسانية سوف تزداد لأي حد مخيف في المستقبل القريب، وان كل حياة سوف تكون محددة بخطر التلاشي. وعلى الرغم من الأعمال التي كانت معلقة على هذا المؤتمر فان نتائجه لم تكن في المستوى المنتظر حيث اقتصر المؤتمر على نتائج خجولة بسبب استمرار الخلافات بين المعسكرين وهذا على الرغم من مواصلة تحضيره لمدة سنتين بإشراف الأمم المتحدة.

مؤتمر نيروبي الذي عقد المؤتمر في نيروبي عاصمة كينيا عام 1982 بعد مضي عشر سنوات على عقد مؤتمر ستوكهولم، حيث استعرض المؤتمرات الشؤون التي تتعلق البيئة والتنمية وقد شددوا على التخفيف من حدة النزاعات الدولية وعدم توسعها لانعكاساتها الخطيرة على الشعوب في العالم والأذى الذي يلحق به. واتفق الأطراف أثناء المؤتمر على مجموعة من تدابير الشفافية لتعزيز الثقة في سير الاتفاقية، وشملت هذه التدبير الإعلان عن كافة مرافق الاحتواء ذات الدرجة العالية م الأمن، والإعلان عن الحالات غير العادية لانتشار المرض وتشجيع نشر نتائج البحوث، وتشجيع الاتصالات العلمية².

مؤتمر ريو جانيرو حيث اخذ البعد الدولي لموضوع حماية البيئة مداه بانتهاء مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة والمعروف "بقيمة الأرض" بريدو دي جانيرو، البرازيل، سنة 1992 وهو تكمله لمؤتمر الأمم المتحدة حول البيئة البشرية في ستوكهولم، ومن أهدافه الأساسية وبناء مستوى جديد للتعاون بين الدول والعمل من أجل الوصول إلى اتفاق عالمي يحترم مصالح كل طرف مع حماية

¹ عبد الرزاق المقرئ، مشكلات التنمية والبيئة والعلاقات الدولية (دار الخلدونية ، ط1، 2008)، ص 265.

² عامر محمود طراف، مرجع سابق، ص 79.

الاندماج الدولي في البيئة العالمية كنظام شامل وعام، أي الوصول إلى نظام متكامل و متبادل بحكم الطبيعة التي تتميز بها الكرة الأرضية¹.

3. حماية البيئة في إطار البروتوكولات والإعلانات والمواثيق

يكن المفهوم القانوني للبروتوكول، في أنه إجراءات اتفاقية دولية ملحقة بمعاهدة لإكمال أو إضافة لها عند اتفاق الأطراف. ونتيجة للجهود الدولية المبذولة لمواجهة التأثيرات السلبية على البيئة، والتي تهدد جميع أشكال الحياة على الأرض دون استثناء، أقرت العديد من البروتوكولات والإعلانات والمواثيق الدولية العالمية التي عالجت موضوع التلوث البيئي نظرا لأهمية الموضوع.

- بروتوكول بشأن تحريم استعمال الغازات الخانقة والسامة وغيرها وكذلك الوسائل البكتريولوجية (الجرثومية في الحروب والموقع في جنيف في 17 جويلية 1925) بما كان استعمال المواد الخانقة والسامة وغيرها من الغازات وكذلك كافة المواد والوسائل السائلة المشابهة في الحروب، وقد شجبه بحق الرأي العام المتمدين، ولما كان تحريم مثل هذا الاستعمال قد أعلن في معاهدات تضم معظم دول العالم كأطراف فيها ومن أجل أن يصبح هذا التحريم مقرا بصورة عالمية كجزء من القانون الدولي ملزم الضمير الأمم وفي معاملاتها في أن واحد. فإنهم يعلنون إن الأطراف السامية المتعاقدة إن لم تكن طرف من قبل في معاهدات تحرم في هذا الاستعمال فإنها تقرر قبولها هذا التحريم، وتوافق على تمديد هذا التحريم إلى استعمال الوسائل البكتريولوجية (الجرثومة) في الحروب².

- إعلان ستوكهولم وجاء إعلان صدوره نتاجا لمؤتمر ستوكهولم بشأن البيئة البشرية المعقود في ستوكهولم في الفترة 5-16 جويلية 1972.

- الميثاق العالمي للطبيعة لعام 1982: للحفاظ على الطبيعة وحمايتها، صدر هذا الميثاق عن الجمعية العامة للأمم المتحدة وتبنته عام 1972. والذي أعلن في المبدأ العشرين منه على ضرورة تجنب الإضرار بالبيئة.

4. التعاون الدولي

تظل الوسائل الوطنية غير كافية لردع الإرهاب البيولوجي، لذلك وجب على الدول أن تتكاتف وتتعاقد من أجل القضاء على استخدام الأسلحة البيولوجية الفتاكة ولهذه الأسباب أصبح من

¹ المرجع نفسه، ص 82.

² اتفاقية حظر تطوير وإنتاج وتخزين الأسلحة البكتريولوجية والسمية لعام 1972.

الضروري تنظيم التعاون الدولي الذي تقوده المنظمات الدولية نظرا الجدية المخاطر و خطورة التهديدات.

تعد منظمة الأمم المتحدة من أهم المنظمات الدولية التي عهد لها بالحفاظ على الأمن والسلم الدوليين ومن ثمة مكافحة كل ما من شأنه انهم يهددهما و خاصة الإرهاب ولقد أصدرت المنظمة القرار عدد 1373 بتاريخ 28 سبتمبر 2001 في إطار التعاون الدولي لمكافحة مخاطر الإرهاب . ورأت المنظمة أن تدعمه بالقرار رقم 1377 الصادر في 12 نوفمبر 2001 المتعلق بالتصريح بالمجهود الشامل لمكافحة الإرهاب. ومن بين الصعوبات التي تواجهها الأمم المتحدة هي أنه "لا يوجد تقييم موثق لكميات الأسلحة ونوعيتها واستخدامها المزدوج و المواد ذات الصلة والأجهزة والتقنيات التي توجد طالما وجدت مخزونات من أي مواد متصلة بالأسلحة والأجهزة والتقنيات ذات الصلة فقد يسعى الإرهابيون للحصول عليها.¹ وقد مكنت هذه الإدارة من آليات تساعد على انجاز مهمتها بالاستفادة من موارد المنظمات وقواعد البيانات المتخصصة إلى جانب إمكانية طلب معلومات من الدول الأعضاء التي تلتزم في إطار التعاون الدولي من توفير المعلومات اللازمة، وتهدف أعمال منظمة الأمم المتحدة في إطار مواجهة الإرهاب من جهة والحد من خطر استخدام الأسلحة البيولوجية من جهة أخرى إلى إفشال محاولات استغلال المعارف والخبرات المتعلقة بهذه المسائل .

تعد منظمة الصحة العالمية منظمة دولية مهمتها الحفاظ على الصحة العامة لجميع السكان بكل الدول الأعضاء ومكافحة الأوبئة الناتجة عن الطبيعة ويتضاعف دورها للحفاظ على الصحة العامة خاصة عندما يتعلق الأمر بهجوم أوبئة بيولوجية حيث تصبح مكافحة هذه المخاطر التي تهدد الصحة في الدول الأعضاء من أولوياتها تبعا لذلك فقد أسست المنظمة الإستراتيجية التعاون لمكافحة الإرهاب البيولوجي من خلال التكثيف من الندوات و المؤتمرات و التوثيق منها مجموعة عمل حول الأسلحة الكيميائية و البيولوجية أثار أحداث الجمرة الخبيثة في أكتوبر 2001.²

إن أبرز لقاء إعلامي كان في مارس 2002 بروما موضوعه "تنويع التحضيرات و المكافحة الوطنية ضد الأسلحة البيولوجية" حيث دعت المنظمة إلى جدية الاستعداد الهجوم بيولوجي و للتسلح بتقنيات خاصة لمكافحة الإرهاب البيولوجي. وفي 18 ماي 2002 قامت الجمعية العامة

¹ تقرير فريق العمل المعني بالسياسات المتعلقة بالأمم المتحدة والإرهاب 2002.

² جولي مصطفى قرعة، مصدر سابق، ص 89.

للمنظمة باتخاذ قرارات حول عدة نقاط أهمها الاستعمال الناتج عن معدات كيميائية . بيولوجية و إشعاعية التي تمس بالصحة العامة .

رابعاً: الإرهاب البيولوجي الكيميائي وانعكاسه على السياسة الدولية

وقعت العديد من الأحداث التي ساهمت في تركيز الاهتمام على التهديد الإرهابي في إمكانية استخدام الأسلحة البيولوجية ضد أهداف عسكرية أو مدنية أو ضد الإنتاج الزراعي لغرض إحداث المرض أو الوفاة، أو الخسارة الاقتصادية. وهذا التهديد هو مصدر قلق كبير على المستوى المحلي لأي دولة وعلى الصعيد الدولي.

تحدث الهجمات الإرهابية البيولوجية بإدخال العوامل البيولوجية إلى السكان بالعديد من الطرق، تشمل الهباء الجوي. تلويث الغذاء أو الماء أو المنتجات الطبية، الملابس والأشياء أو إطلاق ناقلات مفصلية مصابة أو عن طريق إدخال أشخاص مصابين ببعض الأمراض المعدية من الدول المعادية كما يحصل الآن في حالة وباء كورونا. يمثل الإرهاب البيولوجي العديد من التحديات لاسيما بالمقارنة مع الإرهاب الكيميائي، أو الإشعاعي، أو النووي وتعكس هذه التحديات طبيعة الاستخدام المزدوج للعديد من التقنيات التي يمكن استخدامها لأغراض مفيدة للمجتمع أو لأغراض الإرهاب البيولوجي والتهديدات المتعمدة التي يمكن أن تتواجد في آن واحد مع تهديدات مماثلة تحدث بشكل غير متعمد وتعقيدات تفاعل التهديد مع البيئة، والجهاز المناعي البشري، والمجتمع البناء الاجتماعي والتقدم السريع في مجال التكنولوجيا الحيوية.¹

الاستعداد والاستجابة للإرهاب البيولوجي في القرن الحادي والعشرين جمعت التخصصات المتنوعة مع مختلف الخلفيات والثقافات، مثل الوكالات الاستخباراتية، والصحة العامة والمهنيين الطبيين والمسؤولين عن إنفاذ القانون، والعلماء، والقطاع التجاري، وهي لا تزال عملية تعلم. يمكن إنتاج مواد بيولوجية مثل الكائنات الدقيقة، الميكروبات، والتي لديها قدرات فتاكة، وذلك بالاستزراع أو الإنتاج المتعمد للكائنات الممرضة من بكتيريا أو فطريات أو فيروسات ونواتجها السامة (التوكسينات) أو أي مواد ضارة أخرى ناتجة عنها واستخدامها بهدف نشر المرض في الإنسان أو الحيوان أو النبات، والغاية من استخدامها هي إما القتل أو التسبب بمرض مُقعد لدى المصاب،

¹ علي عباس مراد، الأمن والأمن القومي: مقاربات نظرية (الجزائر/بيروت: ابن النديم للنشر والتوزيع، ودار الروافد الثقافية-ناشرون، ط.1، 2017)، ص.58.

ومع أن الإنسان هو الهدف لمعظم هذه الأسلحة إلا أن هنالك أنواعاً من الأسلحة البيولوجية تستخدم للقضاء على الثروة الحيوانية أو على أصناف معينة من المحاصيل الزراعية للبلد المعادي. المواد الكيميائية السامة والتي تستخلص من بعض الكائنات الحية أضيفت هي الأخرى إلى قائمة الأسلحة البيولوجية مع العلم أنها تشبه الأسلحة الكيميائية كونها غير قادرة على التكاثر والانتقال من المصابين إلى الأصحاء.¹

وتعتبر المواد البيولوجية من أشد المواد الخطرة قدرة على الفتك. وخطورة هذه المواد تكمن في قدرتها المفزعة على التكاثر إذ بإمكان خلية بكتيريا واحدة - والتي لا ترى بالعين المجردة - أن تتضاعف إلى عدة بلايين خلال عشر ساعات إذا ما توفرت لها الظروف المناسبة كتلك التي يوفرها جسم الإنسان، وهذا الأمر يحوّل المصابين إلى قنابل بيولوجية متحركة تنقل الميكروب أينما ذهبت، أما المواد النووية والكيميائية فقدرتها على الفتك محصورة من ناحية الحيز الجغرافي. والأمر الآخر الذي يجعل هذه المواد البيولوجية أكثر رعباً هو أن الهجوم بها لا يحتاج بالضرورة إلى تجهيزات معقدة مثل الطائرات القاذفة أو الصواريخ العابرة للقارات، وكل ما يحتاجه المهاجم هو القليل من الخيال الهوليودي ليضعها إما في مياه الشرب أو الأغذية أو فلاتر السجائر أو أن يقوم بوضعها في مكيفات الهواء في بنايات مكتظة مما يجعل أكثر الدول تقدماً في النواحي التكنولوجية عاجزة عن رد هجوم مباغت في عقرباها.²

1. خطورة الإرهاب البيولوجي الكيميائي على السياسة الدولية

إن خطورة تسرب المواد البحثية إلى أشخاص أو منظمات قد تسيء استخدامها من الأهمية جعلت مجلس الأمن يصدر قراراً خاصاً بها، وهو القرار رقم 1540 الذي اوجب على الدول فرض ضوابط على تصدير المواد المتعلقة بالأسلحة النووية والكيميائية والبيولوجية، ووسائل إيصالها، بما في ذلك الضوابط المتعلقة بالمستخدمين النهائيين لهذه العناصر وتحافظ على تلك الضوابط. وقد وسع القرار هذه الضوابط لتشمل عمليات الشحن، والعبور، وإعادة التصدير، فضلاً عن ضوابط على التمويل، والنقل، والخدمات الأخرى التي تدعم هذه المعاملات، إلا أن القرار ترك كيفية تنفيذ هذه الضوابط لتقدير السلطة الوطنية.³ فالقرار يوصي فقط بأن تضع الدول قوائم

¹ علي عباس مراد، مرجع سابق، ص 59.

² عبد الوائلي العجلوني، "الأمن الحيوي حماية الوطن من إرهاب البيولوجيا"، صحيفة الرأي، متوفر على الرابط <http://alrai.com/article>

³ المرجع نفسه..

ضوابط وطنية فعالة. وعلى الرغم من أن القرار لا يتضمن قائمة من العناصر لوضع ضوابط عليها، فهو يعرف مثل هذه العناصر على أنها المواد والمعدات والتكنولوجيا التي تغطيها المعاهدات والترتيبات المتعددة الأطراف ذات الصلة أو المدرجة في قوائم الضوابط الوطنية.

تعتبر المواد البيولوجية الأقل تعقيداً من حيث الإنتاج إذا ما قورنت بالأنواع الأخرى من المواد الخطرة، فكل المعلومات المتعلقة بالإنتاج متوفرة إما في كتب جامعية أو في نشرات علمية أو حتى عبر شبكة الإنترنت، والعديد من التجارب الأساسية يتلقاها طلاب المرحلة الجامعية الأولى خلال دراستهم لتخصصات العلوم الحياتية المختلفة والمتوفرة في معظم بلدان العالم. إضافة إلى سهولة الإنتاج. تعتبر هذه الأسلحة الأقل كلفةً، فببضعة آلاف أو مئات من الدولارات يمكن لمجموعة من الهواة أن يمتلكوا سلاحاً بيولوجياً يهددون به دولة مستقرة وقوية. لهذا السبب يُطلق على الأسلحة البيولوجية قبلة الفقراء الذرية. وقد ساهم التعاون بين الهيئات الدولية والحكومية على تطوير ممارسات السلامة البيولوجية والأمن البيولوجي في البلدان التي لديها مخزون قاتل من مسببات الأمراض. وكان هذا البرنامج واضحاً وفعالاً في غرب أفريقيا في أزمة إيبولا الأخيرة، حيث عمل مع أجهزة إنفاذ القانون والدوائر الأخرى في غرب أفريقيا لمساعدتها على التصدي لهذه المشكلة القاتلة. مما يجعل تنفيذ القرار 1540 مبرراً لأسباب أمنية لضمان أن بلدًا، على سبيل المثال، قد يحتوي على مسببات الأمراض القاتلة، لديه القدرة على تأمينها وربما القضاء عليها بأمان، حيث يشجع القرار 1540 على منح مساعدات من الدول المانحة تلبيةً لهذه المتطلبات¹.

2. تهديد الإرهاب البيولوجي الكيميائي للأمن الدولي

تعتبر الظاهرة الإرهابية من أخطر الظواهر التي يشهدها العالم اليوم، وهي مسألة على قدر كبير من الأهمية، لما لها من تأثير ليس فقط على الاستقرار المحلي والإقليمي، بل أيضاً على السلم والأمن الدوليين. ولكن ينبغي النظر إليها بنظرة الحذر، خاصة من حيث المفهوم الذي يبقى غامضاً وغير محدد، لم يرق إلى إجماع دولي حوله، بالرغم من الاتفاق على أن الظاهرة الإرهابية أضحت تشكل تهديداً حقيقياً على أمن الدول والمجتمعات، وهي بالتالي تمثل تحدياً وتهديداً أمنياً حقيقياً للعديد من الدول في العالم، مهما كان حجمها وقوتها في ميزان العلاقات الدولية. ولأن الظاهرة لا دين لها ولا جنسية، فهي تنشأ وتتمدد إذا ما وجدت البيئة التي تحتضنها وترعاها، خاصة في ظل

¹ مجموعة من الباحثين، فهم الأمن القومي العربي من مدخلي الأمن الوطني والدفاع الوطني (عمان: دار حامد للنشر والتوزيع، ط.1، 2015)، ص10.

العولمة التي اختصرت المسافات وألغت مفهوم الحدود من خلال التطورات التكنولوجية الهائلة التي نشهدها اليوم، حيث أصبحت التنظيمات الإرهابية تهيك وتندشط في فضاءات افتراضية يصعب مراقبتها.

وما دمنا نتحدث عن ظاهرة الإرهاب فهذا يعني أننا نتحدث عن مصدر من مصادر التهديدات الأمنية التي أضحت تشكل هاجساً مقلقاً لاستقرار وطمأنينة الأفراد والمجتمعات في بلدانهم، في ظل إسقاط نظرية الأمن المطلق بشكل كامل ونهائي، حتى بالنسبة للدول الكبرى أو العظمى كأمريكا، على الرغم من انفرادها بدور القوة الأولى الفاعلة في النظام الدولي، والمحركة لنشاطاته. وكذلك في ظل ازدياد أعداد، وتغير أنواع مصادر التهديدات والمشكلات الأمنية، لتشمل أيضاً الجماعات الصغيرة والأفراد الذين أصبحوا قادرين على خرق جدار الأمن وتهديده حتى بالنسبة للدول العظمى، إذا توفرت لهم القدرات اللازمة والظروف المناسبة. ضف إلى ذلك اتساع نطاق التهديدات الأمنية وارتفاع درجة خطورتها، بعد أن أصبحت أسلحة الدمار الشامل الكيميائية والبيولوجية، وربما النووية مستقبلاً، في متناول كل الراغبين في استخدامها. وعليه يمكن القول حسب الباحث توفيق هامل أن "المجموعات المسلحة تعتبر أعضاء حية، وليست هياكل ميكانيكية. فهي تتغير، وتتحول، وتعيد تشكيل نفسها. حيث تبقى في مسار تبديلي غير متناهي، مما يدفع بالاستراتيجيات والمفاهيم إلى التغير مع الوقت"⁽¹⁾

ومن هذا كله ينبغي إعادة تقييم مصادر التهديدات الأمنية على ضوء التحولات التي يشهدها العالم المعاصر، خاصة العولمة التي اصطبغت بمظاهرها العلاقات الدولية الراهنة، حيث يقول الأستاذ الدكتور وليد عبد الحي : إن مصادر التهديد يجب إعادة النظر فيها من ناحيتين: مصادر التهديد الموجهة (أي التي يعمل الأطراف الآخرون على بنائها وتنفيذها) ومصادر التهديد غير الموجهة (فاكتشاف بديل للبترول على سبيل المثال قد يزعزع أمن دول الخليج تماماً، دون أن يكون الاكتشاف العلمي في هذا المجال موجهاً ضد هذه الدول تحديداً. ويبدو أن مؤشرات تنامي الثانية نتيجة التماهي الذي أشرت له سابقاً تتزايد على حساب الأولى دون أن تلغها- على الأقل في الزمن المستقبلي المنظور، من ناحية أخرى لا بد من التفكير في مصادر التهديد المستقبلية سواء للدولة أو للنظم الدولية والإقليمية من ناحية أخرى، وتشكل التكنولوجيا المصدر الأكثر ضرورة لمراقبته من هذه الناحية، بخاصة من ناحيتين هما إيقاع التسارع المتزايد في التغير وهو ما يكشف المنحنى

¹ محمد سعادي، الإرهاب الدولي بين الغموض والتأويل (دار الجامعة الجديدة، 2009)، ص 71.

السوقي أولاً، ثم العجز عن التكيف مع هذا التسارع مما خلق فجوة بين البنية القائمة والبنية التي يفرضها التغير المتسارع¹.

إن الظاهرة الإرهابية اليوم لم تعد تقتصر على منطقة في العالم، بل زاد توسعها جغرافياً و انتشارها بشرياً، حيث أفراد الجماعات الإرهابية ينتمون إلى جنسيات مختلفة قد تختلف ظروف انخراطهم في هذه التنظيمات، وفي هذا الشأن يقول محمد لسير: "إن الربيع العربي أعطى للجهادية نفس جديد، فبعد حرب العراق 2003م، نشهد اليوم جهاد معولم، الذي يمتد إلى ما وراء المسارح التقليدية ليصل إلى المغرب العربي وأوروبا، إن التحالفات الإقليمية والغربية التي استفاد منها في بعض المراحل، على الجبهة السورية، سمحت له لتدعيم تواجدته في المشهد العالمي.

خاتمة

مما تقدم فإن دراسة الإرهاب والإرهاب البيولوجي الكيميائي بصورة خاصة لابد من توضيح ان الثورة البيولوجية خطيرة وهذه الخطورة لا تقتصر على جانب واحد من جوانب الحياة بل هي متعددة الجوانب والمحاور، فنجد أن لها انعكاسات على الطب والزراعة والعدالة وغيرها من نواحي الحياة المختلفة وأصبح الإنسان يستخدم هذه الثورة ليس فقط لغرض السلمية وإنما أصبح يهدد بها الحياة الخاصة بالشعوب من خلال إرهابهم بها، وهو الذي يسمى الإرهاب البيولوجي.

في إطار تطور الأسلحة البيولوجية والكيميائية وتنافس القوى العالمية على استخدامها باتت آثار هذا التنافس تنعكس على امن واستقرار البيئة وباتت تشكل هاجسا امنيا واقتصاديا واجتماعيا في ظل وجود أنظمة سياسية تحاول النهوض من جديد باستراتيجيات أكثر ملائمة ومواكبة مع الأخطار المحدقة بالمجتمع الدولي، حيث استهل القرن 21 بصرخة فزع ورعب لم تخمدتها قرارات الأمم المتحدة ولا الخطابات السياسية رغم أن البشرية تشهد تطوراً علمياً ملحوظاً في علوم البيولوجيا. والحديث عن مخاطر البيولوجيا التي أسئ فيها استخدام نتائج الثورة البيولوجية الحديثة فانتشرت الأمراض الفتاكة التي أهلك الإنسان والبيئة الحيوانية والنباتية وتعتبر حوادث انتشار الجمرة الخبيثة وغيرها في بعض مدن الولايات المتحدة الأمريكية بداية مرحلة جديدة تقوم على تهديد العوامل البيولوجية للصحة والسلامة العامة.

¹ مجموعة من الباحثين، فهم الأمن القومي العربي من مدخلي الأمن الوطني والدفاع الوطني، مرجع سابق، ص 18.

رغم إدانة استعمال الأسلحة البيولوجية على مستوى الاتفاقيات الدولية من قبل منظمة الأمم المتحدة إلى جانب الاتفاقيات الدولية الصادرة في هذا الشأن والتي جاءت في سياق منع إنتاج وتخزين وانتشار الأسلحة البيولوجية الكيميائية من جهة ومنع انتشار أسلحة الدمار الشامل بما أنها تشمل الأسلحة البيولوجية من جهة أخرى. ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع نود أن نبين بعض الاستنتاجات والتوصيات في هذا المجال وكالاتي:

- إن الإرهاب أياً كانت مظاهره وأسبابه فهو موقف إجرامي ضد القانون رافض للديمقراطية.
- المطالبة بعقد الاتفاقيات الخاصة بحظر وانتشار الأسلحة الجرثومية وتوقيعها من قبل الدول المعنية.
- التأكيد على ضرورة الكشف الدوري للدول المتوقع استخدامها للسلح البيولوجي.
- تكثيف الدراسات والأبحاث المتعلقة بجوانب الدفاع ضد الحرب البيولوجية والجرثومية لمعرفة الأسرار الغامضة عن تلك الأسلحة ومدى كفايتها وقدرتها على الإصابة وإحداث الدمار والهلاك.
- لابد من دراسة أسباب وعوامل الإرهاب ثم تهيئة المناخ المناسب لقتل جذوره ووضع معالجة فورية لأساليب التطرف الديني أو السياسي أو الاجتماعي وذلك من خلال حملة تشارك فيها جميع الجهات العالمية المعنية على المستوى التعليمي والتربوي والديني.

المراجع

- احمد محمد علي، الإرهاب البيولوجي خطريدهم البشرية (مصر: مكتبة نهضة، 2002).
- حسن محمد إبراهيم، الأسلحة الكيميائية والجرثومية والنووية (الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، 1986).
- جميل الليل السيد يوسف، أسلحة الدمار الشامل (مكتبة جبل المعرفة، 1424هـ).
- أمين فهمي حسن، الأسلحة الحيوية (الرياض: كلية الملك عبد العزيز الحربية، 1401هـ).
- جمال الليل يوسف، أسلحة الدمار الشامل (الرياض: مكتبة جبل المعرفة، 2002).
- جوار بشير محمود، تطوير الأسلحة البيولوجية (الرياض: مركز الدراسات والبحوث، 1426هـ).
- مصباح عبد الهادي، الأسلحة البيولوجية والكيميائية بين الحرب والمخابرات الإرهاب (الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2000).
- جرار بشير محمود، تطوير الأسلحة البيولوجية (الرياض: مركز الدراسات والبحوث، 2007).
- جولي مصطفى قرة، خفايا السلاح البيولوجي (دمشق، دار أرسلان، ط1، 2006).

وجدي عبد الفتاح سواحل، ثورة الهندسة الوراثية: حرب الجينات (مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، 1999).

محمود الصالح، الجريمة الدولية (الإسكندرية: دار الفكر الجامعي، 2003).

عامر محمود طراف، أقطار البيئة والنظام الدولي، ط1 (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1998).

خالد طعمة الشمري، القانون الجنائي الدولي (الكويت ط2، 2005).

عبد الرزاق المقري، مشكلات التنمية والبيئة والعلاقات الدولية (دار الخلدونية، ط1، 2008).

علي عباس مراد، الأمن والأمن القومي: مقاربات نظرية (الجزائر/بيروت: ابن النديم للنشر والتوزيع، ودار الروافد الثقافية-ناشرون، ط1، 2017).

مجموعة من الباحثين، فهم الأمن القومي العربي من مدخلي الأمن الوطني والدفاع الوطني (عمان: دار حامد للنشر والتوزيع، ط1، 2015).

محمد سعادى، الإرهاب الدولي بين الغموض والتأويل (دار الجامعة الجديدة، 2009).

أبعاد التهيئة النفسية المُعزّزة لممارسة السلوك الإرهابي

Dimensions of Psychological Preparation that Reinforce the Practice of Terrorist Behavior

Dr. Tahani Hashim Khalil Abdeen

د. تهناني هاشم خليل عابدين¹

أستاذ مساعد بقسم علم النفس، جامعة الخرطوم (السودان)

Assistant Professor, Department of Psychology, University of Khartoum

ملخص: يهدف هذا البحث إلى التعرف على أبعاد التهيئة النفسية المُعزّزة لممارسة السلوك الإرهابي. استخدم المنهج الاستقرائي الاستنباطي لإجراء البحث؛ والذي يصنف ضمن البحوث النفسية "الميكروسوسيولوجية". توصل البحث إلى أن أبعاد التهيئة النفسية المُعزّزة لممارسة السلوك الإرهابي يمكن تصنيفها إلى فئتين؛ فئة تمثلها "الأبعاد الذاتية" حيث يمارسها الفرد بشكل ذاتي؛ وتتمثل في البعد العقلي الفكري والبعد الوجداني الانفعالي والبعد النزوعي السلوكي وُبعد سمات الشخصية، والفئة الثانية تمثلها "الأبعاد الخارجية" التي تتمثل في البعد الاجتماعي الذي يفسر السلوك الإرهابي في سياقه الاجتماعي، والبعد الموقف الذي يضم كافة المواقف التي تشتمل على المثيرات والمؤثرات المقصودة التي تهدف إلى تعزيز السلوك الإرهابي. اختتم البحث بالتوصية بتصميم برامج إرشادية تهدف إلى رفع الكفاءة الذاتية لدى الأفراد لعدم ممارسة السلوك الإرهابي، والتوصية بتوظيف علم النفس في التخطيط الاستراتيجي لمحاربة السلوك الإرهابي؛ باعتباره علم دراسة السلوك البشري، بالإضافة إلى إجراء البحوث متعددة التخصصات لدراسة ظاهرة الإرهاب بما يتناسب مع تعقدها، واستهداف المتغيرات ذات الصلة بالسلوك الإرهابي كالتطرف والتعصب والتشدد الديني والأمن الفكري والوعي المعلوماتي بالبحث العلمي؛ للتحكم في ظاهرة الإرهاب استباقياً.

كلمات مفتاحية: التهيئة النفسية، السلوك الإرهابي، المقاومة النفسية، مكافحة الإرهاب.

Abstract: This research aims to identify the dimensions of psychological preparation that reinforce the practice of terrorist behavior. Use the inductive deductive method to conduct the research, which is classified under psychological research "microsociology". The research found that the dimensions of psychological preparation that reinforce terrorist behavior consist of subjective dimensions that the individual exercises subjectively

(intellectual dimension, emotional dimension, behavioral dimension, personality traits), and external dimensions (social dimension, attitudinal dimension). The research concluded with a set of recommendations, the most important of which is the recommendation to Design indicative programs aimed at raising the self-efficacy of individuals not to practice terrorist behavior, and employing psychology in strategic planning to combat terrorist behavior, as a science that studies human behavior, also conduct multidisciplinary research to study the phenomenon of terrorism in proportion to its complexity, also to target variables related to terrorist behavior such as extremism, fanaticism, religious extremism, intellectual security and information awareness of scientific research to control the phenomenon of terrorism proactively.

Keywords: psychological preparation, terrorist behavior, psychological resistance, counter-terrorism.

مقدّمة

يمثل الإرهاب مشكلة اجتماعية وسياسية وأمنية في كل المجتمعات؛ فأى مجتمع معاصر أصبح يوجد به شكل أو آخر من أشكال النشاط الإرهابي بدرجات كثافة متباينة، وفي الآونة الأخيرة لوحظ زيادة معدلات السلوك الإرهابي في عدد من المجتمعات العربية، ويعد الإرهاب مشكلة خطيرة جدية بأن نوجّه إليها الاهتمام والدراسة والبحث العلمي، وتبدو أهمية العلم والمنهج العلمي إذا علمنا أن الإرهابيين يستخدمون أساليب متطورة في ارتكاب جرائمهم، يُضاف إلى ذلك أن النشاط الأمني أصبح يعتمد على المناهج العلمية في ضبط الجريمة ومكافحتها¹.

يعتبر "علم النفس" من فروع العلم الحديثة وقد اقتضته ظروف الحياة المعاصرة وضغوطها²، ولا شك أن هناك ضرورة متزايدة لنشر الوعي السيكلوجي، كالضرورة التي ترتبط بنشر الوعي الأمني والسياسي والطبي؛ لمواجهة ما يتعرض له إنسان هذا العصر من التوترات والصراعات والتأزم والتنافس الحاد والبغيض³؛ فالوعي السيكلوجي أهمية متزايدة في ظل حضارة العصر التي تتسم بالتعقيد، كما يتعرض الفرد في سياقها لمشاعر القلق وال فشل والإحباط والحرمان والشعور بالنقص والدونية، إلى جانب ارتفاع مستوى الطموح بما يتجاوز مستوى الاقتدار والقدرات والإمكانات المتاحة⁴.

¹ عبد الرحمن العيسوي، الوعي السيكلوجي (بيروت: دار الراتب الجامعية، د.ت)، ص 56 – 57.

² المرجع نفسه، ص 10.

³ المرجع نفسه، ص 12.

⁴ المرجع نفسه، ص 16.

من المنظور العلمي فإن الإرهاب عبارة عن سلوك، وإذا كان سلوكاً فلا بد وفقاً لنظرية "الحتمية السلوكية" أن يكون له أسباباً تكمن وراءه وتدفع مرتكبيه لإتيانه؛ فالحتمية السلوكية أو السيكلوجية مؤداها أن لكل معلول علة بالضرورة؛ فالسلوك الإنساني مهما بدا بسيطاً أو تلقائياً لا بد وأنه تكمن وراءه مجموعة من الأسباب السابقة على السلوك¹، وعلم النفس هو المصدر الأساسي لدراسة أثر الدوافع النفسية على السلوك الاجتماعي للأفراد².

إن الإنسان في علاقاته الاجتماعية المسالمة والعدوانية هو مناط البحث في علم النفس الاجتماعي كفرع من فروع علم النفس المهمة؛ من خلال بحث ودراسة السلوك العدواني الفردي والجماعي، والكشف عن العوامل التي تؤدي إلى ظهوره أو اختفائه تمهيداً للتحكم فيه³، وعند الوضع في الاعتبار أن عمليات مكافحة الجريمة دائماً ما تسير في شقين هما الوقاية والعلاج⁴، واستصحاب أهمية إجراء البحوث الميكروسوسولوجية بهدف تحليل الظواهر النفسية والسلوكية في مجالها الاجتماعي؛ يأتي البحث الحالي لتوظيف علم النفس في تشخيص مشكلة الإرهاب بالتعرف على أبعاد التهيئة النفسية المُعزّزة لممارسة السلوك الإرهابي؛ للحد من انتشار ظاهرة الإرهاب وآثارها الكارثية وفق رؤية متعمقة للظاهرة.

يدل الإرهاب على الذعر الناشئ عن ممارسة الإرهاب؛ ما يسبب في الأفراد توقع الخطر في أية لحظة دون أي سبب؛ فالإرهاب ينتج شعوراً بعدم الأمان لأن أي فرد منا قد يمثل الضحية القادمة للإرهاب بلا أدنى مقدمات، وعند محاولة تحديد المشكلة البحثية لهذا البحث وفقاً لمبدأ الأولويات؛ يمكن القول بأن التعرف على أبعاد التهيئة النفسية المُعزّزة لممارسة السلوك الإرهابي تمثل الأولوية الأولى التي تتيح تشخيص أسباب المشكلة لا أعراضها. ومن الحثيات السابقة يمكن تحديد مشكلة هذا البحث في محاولة إيجاد إجابات علمية عن الأسئلة التالية: ما هي الأبعاد الذاتية للتهيئة النفسية المُعزّزة لممارسة السلوك الإرهابي؟ ما هي الأبعاد الخارجية للتهيئة النفسية المُعزّزة لممارسة السلوك الإرهابي؟

تكمن أهمية البحث في ما يلي:

¹ المرجع نفسه، ص 72.

² فؤاد البهي السيد، سعد عبد الرحمن، علم النفس الاجتماعي رؤية معاصرة (القاهرة: دار الفكر العربي، 1999)، ص 16.

³ المرجع نفسه، ص 21.

⁴ العيسوي، مرجع سابق، ص 57.

- توصف ظاهرة الإرهاب بأنها ذات آثار عامة وشاملة ومروعة؛ حيث يختلف الإرهاب عن الجريمة العادية لاتساع مدى آثاره المؤذية على الناس كافة أو على قطاع كبير منهم.
- يعتبر الإرهاب أكثر خطورة على حياة المجتمع أفراداً وجماعات عن "التطرف" الذي يأتي في المرتبة الثانية من حيث الخطورة يليه "العنف"؛ لتصبح الحاجة ماسة لكشف أسبابه وعلاجها.
- توظيف علم النفس في حل مشكلة الإرهاب؛ فالمؤشرات تؤكد اتجاهها للخروج عن السيطرة.
- يؤثر السلوك الإرهابي على الأمن العالمي بشكل عام؛ ما يحتم دراسة الإرهاب من منطلقات علمية بعيدة عن الآراء الارتجالية؛ للمساهمة بمعلومات تدعم التخطيط الاستراتيجي لإنهائه.
- دعم التراكم المعرفي في مجال "علم النفس السياسي"؛ حيث يعتبر من فروع علم النفس المهمة رغم أهميته وارتباطه بواقع حياة الناس في هذا القرن الحادي والعشرين.
- بناء على ذلك، يهدف البحث إلى تحديد الأبعاد الذاتية للتهيئة النفسية المعززة لممارسة السلوك الإرهابي؛ وكذلك التعرف على الأبعاد الخارجية للتهيئة النفسية المعززة لممارسة الإرهاب.
- يركز البحث على المفاهيم الأساسية الآتية:
- التهيئة النفسية: يُقصد بها كافة العمليات الذاتية والإجراءات الخارجية التي تحرك الفرد لممارسة شكل من أشكال السلوك البشري؛ سواء تمت بشكل واعي أو بشكل غير واعي.
- التعزيز: يحقق التعزيز تدعيماً للسلوك وزيادة لاحتمال تكراره مستقبلاً.
- السلوك: هو النشاط الذي يصدر عن الفرد نتيجة تفاعله مع البيئة (الذاتية والخارجية)، والاستجابات التي تصدر عنه كرد فعل للمؤثرات والمثيرات التي يتعرض لها.
- الإرهاب: تشتق كلمة الإرهاب من الفعل وتدل على إثارة الذعر والهلع والرعب في نفوس الناس الآمنين، وإزعاجهم وإثارة القلق في نفوسهم وزعزعة شعورهم بالأمن والأمان والاستقرار والثقة¹.
- السلوك الإرهابي: يسلك الإرهابيون بدافع من إثارة الرهبة في الآخرين وتوعددهم بالشر والأذى والانتقام بممارسة سلوك العنف في المجتمع، وذلك لتحقيق أهداف غير مشروعة في السياسة والاقتصاد والدين².

¹ العيسوي، مرجع سابق، ص 59.² المرجع نفسه، ص 60.

يتمثل منهج هذا البحث في "المنهج الاستقرائي الاستنباطي" والذي يتطلب باحثاً موضوعياً يمثل أداة بحثه الأساسية: لجمع البيانات من خلال الملاحظة المقننة والاستقصاء والقراءة النقدية للأدب النظري المتاح؛ لتحليل البيانات عقلياً، وتتحدد موثوقية البحث باستخدام مصادر متعددة لجمع البيانات؛ فموضوعية البحث الاستقرائي الاستنباطي تعتمد على تنوع المحركات المستخدمة في جمع البيانات وتحليلها.¹ والجدير بالذكر أن هذا البحث يتبع للبحوث "الميكروسوسيولوجية" التي تركز على موضوع محدد لتشخيصه بشكل دقيق ومتعمق.

أولاً: الأبعاد الذاتية للهيئة النفسية المعززة لممارسة السلوك الإرهابي

1. البعد الفكري

يمكن القول بأن البعد الفكري بما يتضمنه من عمليات عقلية معقدة ومتشابكة، ومن معارف يتعرض لها الفرد بشكل متصل عبر الزمن لتتمثل كمادة خام لتلك العمليات العقلية؛ يشكل بُعداً مهماً ضمن أبعاد التهيئة النفسية المعززة لممارسة السلوك الإرهابي؛ وتتعدد الأدلة لإثبات ذلك ابتداءً من الأفكار ذات الصلة بـ "التشدد الديني" وما ينتج عنها من سلوك إرهابي تختلف مستوياته لتصل أحياناً إلى مرحلة "القتل".

يعتقد الشخص الإرهابي -ضمن معتقداته الفكرية التي يؤمن بها - في استخدام العنف لتحقيق مآربه، وغالباً ما يكون ذلك في إطار إيديولوجية معينة²؛ فالإرهاب عادةً ما يرجع إلى وجود معتقدات خاطئة في ذهن مُرتكبيه؛ حيث أن الإرهابي ما لم يكن مأجوراً فلا بد أن ذهنه يمتلئ بالأفكار الخاطئة التي تدفعه لممارسة سلوكه الإرهابي³، وتجدر الإشارة إلى أن الإرهابي شخص يرى نفسه على الصواب وكل الآخرين على خطأ⁴. ويكمن منشأ السلوك الإرهابي المتطرف فيما يبلوره العقل من أفكار ومعتقدات بشكل لا يتسق مع الواقع ولا يتطابق مع حقيقته؛ من خلال "الإدراك الخاطئ"، وتمثل تلك الأفكار والمعتقدات "الحقيقة" فقط في ذهن الشخص المتطرف ومن يشاركه تلك الأفكار المتطرفة⁵، ومن جانب آخر فإن اختلاف البشر فيما يصطلح عليه علمياً بـ "أسلوب

¹ قمانى هاشم خليل عابدين، "التطرف ما بين الأسباب الكامنة والحلول الممكنة (رؤية نفسية)"، مجلة دراسات إسلامية، العدد 8 (ديسمبر 2016)، ص 206.

² العيسوي، مرجع سابق، ص 61.

³ المرجع نفسه، ص 62.

⁴ المرجع نفسه، ص 64.

⁵ عابدين، مرجع سابق، ص 221.

التفكير" يمكن أن يشكل سبباً في إحداث التطرف وما ينتج عنه من سلوك إرهابي¹، ولذلك كان من المتوقع وجود تعارض في اتجاهات أي جماعة حية نشطة، ولكن في ذات الوقت ليس من الطبيعي أبداً أن يحاول بعض هذه الاتجاهات قهر البعض الآخر من أجل تحقيق السيادة².

يؤدي "فقدان الثقة في التفكير الذاتي" إلى إحجام الفرد عن القيام بعملية التفكير خوفاً من عدم قبول رأيه؛ فيُفضّل الفرد هنا مسaire الآخرين بشكل أعمى³، كما تؤكد أنه عندما تكون المعلومات والمواقف المرتبطة بها ذات محتوى مركب ولا يتيسر استيعابها بسهولة؛ فغالباً ما ينتهي الشخص الذي ينتابه الإحساس بالنقص إلى فقدان ثقته في مدى قدرته على الفهم والاستيعاب وبالتالي يجد نفسه مدفوعاً للاقتناع بمن يعتقد أنه على دراية بالموضوع⁴، وتعتبر هذه السلبية التي ينظر من خلالها الفرد لقدراته العقلية والتفكيرية مدخلاً لاستغلاله ودفعه لممارسة السلوك الإرهابي؛ كنتيجة لاعتماده في اتخاذ قراراته على معلومات وقناعات جاهزة من إحدى الجماعات الإرهابية التي أصبح وجودها سائداً في المجتمع.

2. البعد الانفعالي

يمثل البعد الانفعالي بعداً ركيزياً في الذات البشرية ومُحرِّكاً أصيلاً للسلوك؛ فعلى سبيل المثال يعتبر "الاتجاه النفسي" أساساً مُوجِّهاً للسلوك البشري وهو تركيب عقلي انفعالي (وجداني) أحدثته الخبرة الحادة المتكررة، وهو تركيب يتميز بالثبات والاستقرار النسبي ويوجّه سلوك الأفراد قريباً أو بعيداً عن عنصر من عناصر البيئة؛ بهذا المعنى يصبح الاتجاه النفسي حالة عقلية انفعالية لها مقومات وخصائص تميزها؛ وهذه الحالة هي حالة (مع) أو (ضد) حالة (حب) أو (كراهية)⁵ توجّه سلوك الفرد نحو مسارات تتفق معها؛ فالاتجاه وفقاً لعلماء النفس يعبر عن وجود ميل إلى الشعور أو السلوك أو التفكير بطريقة محددة إزاء موضوع الاتجاه⁶، وبذلك ترتبط الانفعالات بشكل غير مباشر من خلال الاتجاهات النفسية لتعمل كمُحدِّد من محدِّدات السلوك الإرهابي.

¹ المرجع نفسه، ص 209.

² السيد، عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 51.

³ عابدين، مرجع سابق، ص 222.

⁴ عبد الستار إبراهيم، أسس علم النفس (الرياض: دار المريخ، 1988)، ص 201.

⁵ السيد وعبد الرحمن، مرجع سابق، ص 250 – 251.

⁶ إبراهيم، مرجع سابق، ص 190.

يعتبر "الانتماء" من الحاجات النفسية الأساسية في الذات البشرية¹، ويمكن القول بأن فشل الفرد في إشباع "حاجة الانتماء" يقوده إلى تكوين اتجاهات سلبية نحو الجماعة يمكن أن يترجم في شكل سلوكيات إرهابية للانتقام وإرضاء الحقد الذي ينتج عن عدم الانتماء، ويمكن أن يتسبب في ذلك أيضاً معاناة الأفراد من الشعور بالاغتراب أي البعد أو العزلة عن المجتمع وحتى عن ذواتهم، وهو حالة نفسية سلبية انفصالية²، ناهيك عن فقدان الشعور بالهوية الذي يرتبط بتفكك الشخصية واضطرابها³.

يمكن النظر للتطرف على أنه شحنات انفعالية تنشأ عن أفكار خاطئة⁴، وترى الباحثة أن السلوك الإرهابي يعتبر عملية "تفريغ سلوكي" لتلك الشحنات بشكل خاطئ، وفي سياق مختلف يمكن القول بأن مصطلح "المزاج" يطلق على الاستعدادات الوراثية المحددة للشخصية ومنها العوامل الفسيولوجية التي يولد بها الفرد؛ تلك الاستعدادات التي تحدد قابليتنا للاستثارة واتزاننا وهدوءنا، وعلى هذا يرتبط المزاج ارتباطاً وثيقاً بالاستعدادات الوراثية كما يرتبط بالجوانب الوجدانية التي تختلف من شخص لآخر⁵، ويُستنتج من ذلك تأثير "الاستعدادات المزاجية الموروثة" في تعزيز ممارسة السلوك الإرهابي؛ حيث يتفرد الإرهابي ببعض سمات الشخصية التي ترتبط بـ"المزاج" بشكل كبير؛ فنجد أنه يعاني من تقلبات المزاج وخلل في ضبط مزاجه وانفعالاته بشكل عام.

قد يكون السلوك الإرهابي تنفيساً مرضياً عن "مشاعر مكبوتة" نتيجة لأوضاع يعتقد الإرهابيون أنها موجودة وأنها خاطئة⁶، ويمكن القول بأن عدم فهم الواقع على حقيقته ناتج من عدم مزج حاجتنا العاطفية بالحقائق المتواجدة في عالمنا المترامي الأطراف، إنه التشويش الحاصل بفعل عدم الانسجام بين الذات والغير وهذا يعني فقدان الاتصال بالواقع⁷، وبطبيعة الحال فإن ذلك الانفصال عن الواقع هو ما يتيح للإرهاب والتطرف والتعصب الظهور والانتشار في الواقع الاجتماعي.

¹ عابدين، مرجع سابق، ص 220.

² العيسوي، مرجع سابق، ص 75.

³ توما جورج خوري، الشخصية: مفهومها، سلوكها وعلاقتها بالتعلم (بيروت: المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، 1996)، ص 93.

⁴ عابدين، مرجع سابق، ص 221.

⁵ الشيخ كامل محمد عويضة، علم النفس بين الشخصية والفكر (بيروت: دار الكتب العلمية، 1996)، ص 9.

⁶ العيسوي، مرجع سابق، ص 62.

⁷ خوري، مرجع سابق، ص 95.

يُشار إلى "التعصب" بأنه اتجاه سلبي عديم الأساس العقلي أو المنطقي أو الطبيعي، وفي الغالب يتضمن العدوان والتحيز¹؛ فالتعصب هو ميل انفعالي يؤدي إلى أن يفكر الفرد وينفعل ويسلك بطرق تتفق مع حكم بالتفضيل أو عدم التفضيل، ويكون هذا الحكم سابقاً على وجود دليل منطقي. وتماشياً مع ما تم ذكره تمثل "العقيدة" اتجاه نفسي يغلب على تكوينه العناصر المعرفية والفكرية التي تسمى أحياناً (إيديولوجيات) بالإضافة إلى المكون الانفعالي أو العاطفي الذي يميز الاتجاه النفسي، ولكنه يتخذ صورة أكثر عمقاً؛ إذ أن الانفعال المرتبط بفكر العقيدة يعطي نمطاً سلوكياً قد يصل إلى التطرف في بعض الأحيان²، ومن البديهي أن يسلك الفرد المتعصب والآخر المتطرف سلوكاً إجرامياً يمكن تصنيفه ضمن السلوك الإرهابي متسع الأسباب ومتعدد النتائج.

3. البعد السلوكي

يشير البعد السلوكي إلى "السلوك الظاهر" الذي يمكننا رؤيته على خلاف السلوك الفكري العقلي أو السلوك الانفعالي الوجداني، وتأسيساً على ذلك فإن "السلوك الإرهابي" يرتبط بالجانب الظاهر من السلوك البشري بشكل مباشر، وعلى المستوى النظري يمكن إنشاء مجموعة من العلاقات الارتباطية التي تعمل كمؤشرات تفسر السلوك الإرهابي بشكل كبير، ومن ذلك ما يعرف بـ "العدوانية المزاخنة" فعندما لا يستطيع الفرد المُحْبَط التعبير عن عدوانيته ضد مصادر الإحباط الحقيقية؛ في حال كان مصدر الإحباط مهم بحيث لا يدري الفرد من يهاجم وفي ذلك يشعر بالحنق ويبحث عن شئ آخر لمهاجمته، وفي بعض الأحيان يكون مصدر الإحباط جباراً أو ذو قوة قاهرة مما تصبح مهاجمته خطراً جسيماً، وعندما تحول الظروف – أي كانت – دون القدرة على مهاجمة مصدر الإحباط فإن العدوان سوف يتحول أو يُستبدل ومن ثم يُوجَّه نحو شخص برئ³.

يأتي العدوان كاستجابة تعقب الإحباط ويُراد بها إلحاق الأذى بفرد آخر أو حتى بالفرد نفسه⁴، واستناداً إلى ذلك يقوم الشخص الإرهابي بترويع الناس أو إكراههم على أمر ما بطريقة الإرهاب؛ أي إخضاع الناس لإرادة الإرهابي وهي إرادة شاذة منحرفة ولا شك، والإرهابي مجرم خارج على القانون وعلى الجماعة التي ينتمي إليها⁵، كما يمكن تفسير السلوك الإرهابي من خلال "السلوك

¹ العيسوي، مرجع سابق، ص 75.

² السيد وعبد الرحمن، مرجع سابق، ص 255.

³ فجر جودة النعيمي، علم النفس الاجتماعي: دراسة لخفايا الإنسان وقوى المجتمع (العراق: دار أوما، 2016)، ص 245.

⁴ السيد، عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 119.

⁵ العيسوي، مرجع سابق، ص 60.

السيكوباتي" والذي يعتبر انحرافاً خلقياً أو سلوكياً أو إجرامياً يدفع صاحبه للإتيان بالسلوك المضاد للمجتمع ويجعله يهدر القيم والمثل والمعايير ويميل إلى الكذب والغش والخداع، والنصب والاحتيال والابتزاز والجمود العاطفي والخيانة، ويسبب ضعف الضمير الخلقي فلا يشعر السيكوباتي بتأنيب الذات أو لومها أو تعنيفها، ولا يجدي معه العقاب ولا العلاج¹. وتوجد علاقة صريحة بين اتجاهات الفرد وسلوكه²، ومما لا شك فيه أن أخطر جوانب الاتجاه هو ذلك الجانب المتعلق بالسلوك؛ أي الوقوع والتورط في سلوك ظاهر نحو موضوع الاتجاه؛ ففي أحيان كثيرة لا يقتصر الاتجاه على الجانبين الشعوري والفكري بل قد يترجم إلى أفعال سلوكية نحو موضوع الاتجاه، وتصبح هذه الأفعال ذات خطر خاصة عندما يكون الاتجاه ذا محتوى سلبي كما في حالة الاتجاهات ذات المحتوى التسلطي أو التعصبي، وتتفاوت التعبير الظاهري في هذه الحالات من التعليقات اللفظية إلى الانغماس في عدوان جسدي فعلي نحو موضوعات التعصب³.

تشير الملاحظات إلى وجود نوعين من التقليد؛ الأول هو التقليد المُبصر والذي يمارسه الفرد على بصيرة ودراية، أما النوع الثاني فهو التقليد الأعمى والذي يتمثل في اعتناق فكر أو قبول رأي أو القيام بسلوك موافقةً ومسايرةً لفئة من الناس دون البحث عن دليل أو برهان يدل عليه ويؤيده⁴، كما يوجد نوعين من الاتجاهات؛ الاتجاه المعلن وهو ذلك الاتجاه الذي يسلك الفرد بمقتضاه في مواقف حياته دون حرج أو تحفظ وفي الغالب يكون متفقاً مع معايير الجماعة ونظمها وما يسودها من قيم وضغوط اجتماعية مختلفة، واتجاه سري يحرص الفرد على إخفائه في قرارة نفسه ويميل إلى إنكاره ظاهرياً⁵، استناداً لهاتين الملاحظتين يمكن القول بأن بعض السلوكيات الإرهابية تأتي نتيجة تفاعل بين التقليد الأعمى والاتجاه السري.

4. بُعد سمات الشخصية

تعتبر الشخصية بنية دينامية داخلية تنتظم فيها جميع الأجهزة العضوية والنفسية بحيث تحدد ما يميز الفرد من سلوك وأفكار⁶، ويمكن رصد العديد من النماذج التي تثبت دور متغيرات

¹ المرجع نفسه، ص 77.

² السيد، عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 250.

³ إبراهيم، مرجع سابق، ص 191-192.

⁴ عابدين، مرجع سابق، ص 219.

⁵ السيد، عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 259.

⁶ خوري، مرجع سابق، ص: 19.

الشخصية كمحددات لسلوك الفرد¹، وتعرف الشخصية بأنها ذلك التنظيم الفريد لاستعدادات الشخص للسلوك في المواقف المختلفة، كما أن السمات النفسية في الشخصية متصلة تماماً ولا تؤثر في السلوك منفردة، وإذا ما تفككت اضطربت الشخصية وأصبحت منحرفة²، كما يقال بأن السلوك المتطرف ينشأ عن قيم ومعايير وسمات الشخصية³، ولعله من المفيد أن نؤكد على وجود سمات وخصائص مميزة للشخصية الإرهابية، وأن كل إرهابي يحمل بصمته الشخصية الخاصة التي تتفاعل فيها بعض تلك السمات الشخصية التي ترتبط غالباً بممارسة السلوك الإرهابي.

يمكن سرد نماذج عديدة في هذا الإطار؛ كالشخصية التسلطية التي يتميز أصحابها بالتصلب والجمود واحتكار الضعاف وطاعة الأقوياء والإيمان الأعلى بالأفكار النابعة من الجماعات أو المذاهب الأخرى الخارجة عن جماعة الفرد⁴، والشخصية الإيحائية التي تتأثر بشدة بأساليب الإقناع التي يمثل الإيحاء بُعداً مهماً بها؛ حيث يمثل الإيحاء أداة مرنة من شأنها أن تجعل الحق باطل والباطل حقاً والحق باطل والباطل باطل على حد سواء⁵؛ حيث تعتبر الشخصية الإيحائية أكثر الشخصيات استهدافاً من قبل الجماعات الإرهابية لاستقطابها واستغلالها في تنفيذ العمليات الإرهابية؛ إنه نمط امتثالي يفعل ما يفعله الآخرون وما يقولون أنه ينبغي عليه أن يفعله؛ خلافاً للنمط العقلي ذو الضمير الحي الذي يمتلك معايير الخاصة الداخلية في الصواب والخطأ⁶، كما تبين الدراسات عموماً أن الذين يملكونهم الإحساس بالنقص وعدم الثقة والعجز عن تأكيد الذات غالباً ما يسهل تغيير اتجاهاتهم؛ خاصة إن كانوا أقل تأكيداً من صدق آرائهم السابقة؛ فالشخص الذي يقلل من شأن أفكاره غالباً ما يجد نفسه ميالاً للاقتناع بأحكام الآخرين خاصة إن كان هؤلاء ميالين للقطع واليقين في ما يقولونه⁷.

يتسم الشخص الإرهابي بأنه بعيد عن السواء والحكمة والاعتزان والتعقل وبعيد عن الالتزام واحترام القانون، وهو شخص أناني لا يقيم وزناً لحياة الناس الأبرياء، ويتميز بشعور بالنقص الداخلي يدفعه للإعلان عن نفسه ولفت الأنظار إليه، ولكن للأسف بصورة إجرامية وشاذة

¹ المرجع نفسه، ص 21.

² المرجع نفسه، ص 6.

³ عابدين، مرجع سابق، ص 221.

⁴ إبراهيم، مرجع سابق، ص 195.

⁵ عابدين، مرجع سابق، ص 220.

⁶ عبد الرحمن العيسوي، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية (الإسكندرية: دار الفكر الجامعي، 1985)، ص 149.

⁷ إبراهيم، مرجع سابق، ص 201.

ومنحرفة¹، وتضيف الباحثة مجموعة من السمات التي استنتجتها من قراءة الأدب النفسي واستنطاق الواقع الفعلي؛ تتمثل في المخادعة والتناقض الاجتماعي والمراوغة وضعف الضمير وسوء الظن والقسوة والعدوانية وكثرة الشك والتمرد والتشدد الديني والانطباعية والتهور والتجني الذاتي وضعف الإرادة والتهور وحب المغامرة والقلق والفشل والإحباط والحرمان والشعور بالنقص والدونية، إلى جانب العنصرية والقسوة واليأس والاستسلام للتهديد الخارجي وعدم الولاء وقلة التعاطف والغضب والاستهتار وروح الانتقام والسلبية والتشدد الديني والتعصب السلبي والمسايرة والجمود الفكري والتصلب الذهني والتبذل العاطفي وعدم تحمل المسؤولية وضعف الضمير واختفاء مشاعر الذنب والفشل في اكتساب الضوابط الداخلية وضعف النضج الانفعالي والأنانية وعدم الواقعية والقابلية للاستهواء والتسلط والتناقض، ولعل هذه السمة الأخيرة "التناقض" هي ما تبرر التناقض الفعلي للسمات المستنتجة حول "سمات الشخصية الإرهابية".

ثانياً: الأبعاد الخارجية للهيئة النفسية المعززة لممارسة السلوك الإرهابي

1. البعد الاجتماعي

معظم حالات الانحراف الفردي أو الجمعي أو حالات التمرد والعصيان أو حالات الرفض وعدم السواء؛ جاءت نتيجة لعدم تمكن الفرد من قبول مبدأ الضبط والتحكم الذي افترضته الجماعة لتقوم عليه العلاقة بينها وبين أفرادها²؛ فمفهوم الفرد عن الجماعة يؤثر في علاقته بها ويحدد درجة انتمائه إليها كما يحدد نوعية تفاعله معها بناءً على إدراكه لها³، ومن المتفق عليه تأثير "القيم الاجتماعية" التي تكمن خلف سلوك الفرد كما تتحول إلى وحدة عيارية على الضمير الاجتماعي للإنسان⁴، ولكن يجدر التساؤل حول الجماعة التي تمتلك خاصية التأثير في الفرد لتوجه سلوكه بشكل حقيقي؟ ربما تتحدد الإجابة عن هذا التساؤل بالتأكيد على الأثر الحاسم لطبيعة الانتماء تجاه كل جماعة من الجماعات الأساسية والفرعية التي ينتمي إليها الفرد؛ فالانتماء قد يكون "انتماء كامن" أو "انتماء فعال"، ومن البديهي أن يكون التأثير الكلي للجماعة – أو مجموع الجماعات – ذات "الانتماء الفعال" والتي يمكن تأكيد تأثيراتها البالغة لتوجيه الفرد نحو ممارسة السلوك الإرهابي من خلال آراء متعددة لعلماء النفس الاجتماعي وتجارب بحثية.

¹ العيسوي، مرجع سابق، ص 60.

² السيد، عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 40.

³ المرجع نفسه، ص 47.

⁴ المرجع نفسه، ص 48.

تؤكد نتائج تجربة "ميلجرام" أن طاعة السلطة والخضوع لمن هو أقوى خاصيتان يفرضهما الموقف الاجتماعي بكل ضغوطه على الفرد، فباسم طاعة السلطة قد نجد أنفسنا مرغمين على الدخول في جوانب مستهجنة وغير إنسانية من السلوك؛ كتعذيب الآخرين والتخطيط لهلاكهم وحرمانهم من احتياجاتهم البشرية، وهي جوانب من السلوك قد ينكر الفرد بينه وبين نفسه مقدرته على القيام بها¹، وتؤكد تجربة "آسن" على حقيقة الانصياع لضغوط الجماعة؛ فالفرد ينصاع للضغوط في غير من أحكامه لكي يقترب من حكم الجماعة²، كما يقول علماء النفس الاجتماعي أن القوى الاجتماعية ذات تأثير غامر على شخصية الفرد وأخلاقياته؛ ففي فترة وجيزة من الزمن قد ينقلب الشخص من إنسان طيب إلى مجرم نتيجة للضغوط الاجتماعية³، ولا مناص من القول بوجود مؤثرات اجتماعية لا نهائية من شأنها أن تجعل الفرد يتبنى كثيرا من الآراء والأحكام والميول الجديدة أو التغيير من أحكام وميول قديمة⁴.

يبدو أن من أسباب الانصياع لمعايير الجماعة هو تجنب العقوبات الخاصة التي تفرضها الجماعة على أفرادها والتي تتفاوت من القتل إلى رفض الجماعة للفرد والاستهجان. وتبين التجارب أن الانصياع يزداد إذا ما كانت الجماعة تشكل جاذبية معينة بحيث يود الفرد الانتماء لها، كما يزداد هذا الانصياع في الفترات التي لم تتقبل فيها الجماعة بعد هذا الشخص، وهو يزداد عندما يكون الموقف غامضاً، وعندما تكون فكرة الفرد عنه غير كاملة، وهذا ما يجيب عن التساؤل حول انصياع البعض للأحكام والمعايير بالرغم من معرفتهم بأنها خاطئة؟⁵ ومن زاوية أخرى يمكن أن تمثل "الإيحاءات الاجتماعية" مصدراً مُعزّزاً لممارسة السلوك الإرهابي؛ فانتشار الجرائم العامة أو قلة الاهتمام بالأمن العام كما ينبغي يصنف ضمن الأسباب الأمنية للإرهاب؛ فالسلوك الإجرامي كالمريض المعدي ينتقل عدواه من الأمن العام إلى الأمن السياسي⁶، ويمكن كذلك الإشارة إلى نظرية اكتساب العدوان عن طريق التعلم والتي تعتبر من النظريات الرائجة لتفسير السلوك العدواني⁷؛ فالواقع الاجتماعي يعتبر بيئة للتعلم من خلال "النماذج الاجتماعية" التي يتفاعل معها الفرد ويتأثر بها ويؤثر فيها.

¹ إبراهيم، مرجع سابق، ص 168.

² المرجع نفسه، ص 176.

³ المرجع نفسه، ص 170 – 171.

⁴ المرجع نفسه، ص 189.

⁵ المرجع نفسه، ص 177 – 178.

⁶ العيسوي، مرجع سابق، ص 76.

⁷ النعيمي، مرجع سابق، ص 248.

2. البعد الموقفى

يتعرض الفرد لمواقف لا نهائية تصدر عن بيئته الذاتية أو البيئة الخارجية لتشكيل شخصيته وتسهم في توجيه سلوكه؛ فليس المقصود بالبيئة النطاق الجغرافى، وإنما المقصود ذلك النتاج الكلى لجميع المؤثرات التى تؤثر فى الفرد من الحمل إلى الوفاة، فهى جميع العوامل المفروضة على الفرد من الخارج والتى تؤثر عليه من بدء نموه على جميع جوانب الشخصية، فإما أن توجهها نحو الخير أو نحو الشر، وإما أن ترقىها أو تعوقها عن النمو والارتقاء¹.

ينتج الإرهاب عن عدد كبير من العوامل المسببة؛ مما يتفق مع الاتجاه المتعدد فى تفسير السلوك الإجرامى أو المرضى، والذي يشير إلى تضافر مجموعة من العوامل – وليس عاملاً واحداً – فى إحداث المرض أو الانهيار أو الانحراف؛ والتى تعمل عبر عامل الزمن بمعنى تفاعلها عبر فترة معقولة من الزمن إذ لا يكفي وجودها بصورة وقتية عابرة أو عارضة، والجدير بالذكر أن هذه العوامل تسقط ضغطاً على الإنسان؛ فإذا زاد الضغط على مقدار مقاومة الفرد حدث الانهيار المرضى².

تعتبر "حرب المصطلحات" من الأساليب الإيحائية القوية التى انتشرت بشكل واسع لنشر أفكار غير مقبولة فى شكل مقبول، وتعتمد أساساً على اللعب بالمصطلحات وتمويه دلالاتها بطريقة تجعل المتلقى دون وعي منه معتقناً لهذه الأفكار وممارساً لها بل ومدافعاً عنها³، و"الحرب النفسية" التى من أهم خصائصها أنها تركز على القوة المعنوية والإرادة والتوجه واستغلال المشاعر والدوافع⁴، إن وسائل الحرب النفسية موجودة باستمرار؛ لكن وجودها وحده لا يؤثر وإنما الذى يؤثر هو استعدادنا لاستقبالها وقابليتنا للتأثر بها⁵.

إضافة إلى غسل الدماغ الذى يستهدف حمل الناس عنوةً وقسراً وكرهاً لتغيير اتجاهاتهم وعقائدهم وآرائهم ومواقفهم وسلوكهم، واستبدالها بغيرها من خلال ممارسة الضغوط البدنية والسيكولوجية والإيحاء⁶؛ إن غسل الدماغ عبارة عن عملية تطويع للمخ وإعادة تشكيل التفكير

¹ خوري، مرجع سابق، ص 10.

² العيسوي، مرجع سابق، ص 74.

³ عابدين، مرجع سابق، ص 14.

⁴ عابدين، مرجع سابق، ص 11.

⁵ المرجع نفسه، ص 12.

⁶ العيسوي، مرجع سابق، ص 76.

بالاعتماد على "إعادة التعلم"، حيث يستخدم فيها الإيحاء لغرس أفكار في عقلية الفرد بحيث لا تجد الفكرة الجديدة معارضة وانتقاد من الأفكار الأخرى القديمة¹؛ فكثير من المنبهات تفرض وجودها على الفرد بشكل غامر، وقد يصل تأثيرها عليه لدرجة أن يقبل ما يأتيه منها من آراء وأفكار وأحكام، ويتبناه لنفسه وتصبح كأنها من صنعه متناسياً مدى تأثيره بالمؤثرات الاجتماعية المختلفة، وحالما تتشكل تلك الاتجاهات تتحول إلى التأثير في السلوك ودفعه في وجهات متسقة مع محتوى تلك الاتجاهات².

تؤكد ذلك "نظرية الإيحاء اللاشعوري" التي تقوم على فكرة النشاط اللاشعوري عند الفرد وإمكانية استخدام هذا النشاط في تعديل الاتجاه النفسي وخاصة من حيث المكون الانفعالي، وما يحدث في هذه النظرية هو توجيه مجموعة من المثيرات الهامشية؛ أي التي تدور من بعيد حول هدف التعديل المطلوب، وتتصف هذه المثيرات بإحداث درجة عالية من الانفعال عند الفرد ومن ثم يحدث تعديل في المكون الانفعالي للفرد بالدرجة الأولى ويلي ذلك إحداث التعديل المطلوب في الاتجاه النفسي للفرد³، إضافة لما يعرف بـ "إدارة الانطباع والخداع" فعلى الرغم من أن الاتصالات غير اللفظية تحدث غالباً بطريقة أوتوماتيكية غير واعية، ونحن نسبياً لا ندرك أننا نفعلها؛ قد يكون لدينا بعض السيطرة والإدراك، ويمكن أن نستخدم بعض الإشارات غير اللفظية بتخطيط مسبق لنعطي انطباعاتاً لأنفسنا أو للتأثير على معتقدات الآخرين واتجاهاتهم وسلوكهم⁴.

تبين من خلال دراسات علماء النفس الاجتماعي أن الرسالة الواحدة يختلف تأثيرها باختلاف قائلها، كما بينت الدراسات أنه ليس من الضروري دائماً أن يكون المتكلم خبيراً حتى يحظى بتأييد المتلقين، بل يكفي أن يتصور المتلقي ذلك، وتجدر الإشارة إلى أن التأثير على المتلقين يتطلب قدراً كبيراً من التلاعب في انفعالاتهم ومشاعرهم⁵، وقد أكدت نتائج تجربة "ميلجرام" الشهيرة أن ما يقرب من ثلثي عينة التجربة (1000 شخص) تخضع لأوامر السلطة رغم عدم إنسانيتها⁶، وربما من الغرابة أن تثبت بعض الدراسات أن التسليطين يقتنعون بسهولة إذا كانت الرسالة صادرة من

¹ عابدين، مرجع سابق، ص 18.

² إبراهيم، مرجع سابق، ص 189-190.

³ السيد، عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 263.

⁴ النعيمي، مرجع سابق، ص 316.

⁵ إبراهيم، مرجع سابق، ص 199.

⁶ المرجع نفسه، ص 171.

مصدر مرتفع في القوة أو المركز¹، ولكن في الوقت ذاته يمكن أن تفسر تلك النتائج غير المتوقعة ظاهرة الإرهاب؛ حيث يعتبر "التسلط" من السمات الشخصية الأصلية ضمن مجموعة السمات المرصودة حول الشخصية الإرهابية.

وربما يشكل "التلاعب النفسي" أكثر الأساليب المستخدمة خطورة؛ حيث يقع ضحيته كل فرد لأن كثرة الشك متعبة والتيقُّظ الدائم مستحيل، كما تعد العزلة سبباً رئيسياً من أسباب نشأة السلوك العدواني، وتدل نتائج دراسة هارتوب (Hartup) وهيمنو (Himeno) التي نشرها سنة 1959 على السلوك العدواني للإنسان بعد عزله عن الآخرين لمدة زمنية طويلة، ويفسر الباحثون ظاهرة العدوان بعد العزلة بأن العزلة تؤدي للإحباط والإحباط يقود للعدوان²، ومن الجدير ذكره أن بعض الحالات الإرهابية تؤكد أنها عديمة الفكر وأن إجرامها عبارة عن طيش مدفوع بالأجر وليس وراثية إيديولوجية فكرية مفهومة³.

خاتمة

خلص البحث بعد جمع البيانات وتحليلها بهدف التعرف على أبعاد التهيئة النفسية المعززة لممارسة السلوك الإرهابي؛ إلى أن تلك الأبعاد على اتساعها يمكن تصنيفها إلى أبعاد ذاتية وأبعاد الخارجية، وتوصل البحث إلى أن الأبعاد الذاتية يُرى من خلالها الفرد ذاته لممارسة السلوك العدواني، وتتمثل في البعد الفكري بما يتضمنه من عمليات عقلية وأفكار ومعارف ومعتقدات، والبعد الانفعالي الوجداني، والبعد السلوكي الذي يتحدد بحدود السلوك البشري الظاهر الذي يمكن قياسه وملاحظته، وأخيراً بُعد السمات الشخصية، أما الأبعاد الخارجية للهيئة النفسية المعززة لممارسة السلوك الإرهابي؛ فتشتمل على البعد الاجتماعي وما يرتبط به من ضغوط اجتماعية وإيحاء اجتماعي، والبعد الموقفي الذي يشير إلى "مواقف التعلم" المخطط لها بواسطة جهات وجماعات إرهابية؛ بهدف تعزيز ممارسة السلوك الإرهابي لدى المستهدفين، وبناءً على نتائج البحث تأتي أهمية التوصية بتصميم برامج إرشادية تهدف إلى رفع الكفاءة الذاتية لدى الأفراد لعدم ممارسة السلوك الإرهابي، وتوظيف علم النفس في التخطيط الاستراتيجي لمحاربة السلوك الإرهابي؛ باعتباره علم دراسة السلوك البشري، كما تبرز أهمية اقتراح إجراء البحوث متعددة

¹ المرجع نفسه، ص 202.

² السيد، عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 123 – 124.

³ العيسوي، مرجع سابق، ص 61.

التخصصات لدراسة ظاهرة الإرهاب بما يتناسب مع تعقدها، واستهداف المتغيرات ذات الصلة بالسلوك الإرهابي بالبحث العلمي للتحكم في ظاهرة الإرهاب استباقياً.

المراجع

- عبد الرحمن العيسوي، الوعي السيכולوجي (بيروت: دار الراتب الجامعية، د.ت).
- فؤاد البهي السيد، سعد عبد الرحمن، علم النفس الاجتماعي رؤية معاصرة (القاهرة: دار الفكر العربي، 1999).
- عبد الستار إبراهيم، أسس علم النفس (الرياض: دار المريخ، 1988).
- توما جورج خوري، الشخصية: مفهومها، سلوكها وعلاقتها بالتعلم (بيروت: المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، 1996).
- الشيخ كامل محمد عويضة، علم النفس بين الشخصية والفكر (بيروت: دار الكتب العلمية، 1996).
- فجر جودة النعيمي، علم النفس الاجتماعي: دراسة لخفايا الإنسان وقوى المجتمع (العراق: دار أوما، 2016).
- عبد الرحمن العيسوي، سيכולوجية التنشئة الاجتماعية (الإسكندرية: دار الفكر الجامعي، 1985).
- تهاني هاشم خليل عابدين، "التطرف ما بين الأسباب الكامنة والحلول الممكنة (رؤية نفسية)"، مجلة دراسات إسلامية، العدد 8 (ديسمبر 2016).

دلالات ومضامين التطرف في خطاب تنظيم الدولة الإسلامية "داعش": تحليل مضمون
لمجلة دابق

*Indications and implications of extremism in the discourse of the
Islamic State "ISIS" Content analysis of Dabiq magazine*

Ashraf Ismail Ibrahim Shalaby

أشرف إسماعيل إبراهيم شلبي¹

كلية الآداب، جامعة دمنهور (مصر)

Faculty of Arts, Damanhour University (Egypt)

ملخص: تؤكد دراسات الفكر المتطرف أن الذهنية المتطرفة هي ذهنية تنحرف عن الإطار الطبيعي للحياة، وهي غير قادرة على التكيف مع محيطها الاجتماعي، ولا تتنافس داخله على أسس عادلة، ومن ثم فإنها لا تقبل النقد ولا تتسع للحوار، وتميل إلى رفض الآخر، ونفيه وعدم الاعتراف به، وتميل إلى رفض العقل، وتتحصن بالغريزة، وترتب على هذا الفكر المتطرف مواجهة العالم العربي بعد ثورات عام 2011 موجه من الحوادث الإرهابية المتطرفة، والتي أثرت بالسلب على الأوضاع الاجتماعية والوجود الإنساني، وكان الخطاب الديني المتطرف جزءاً لا يتجزأ من الأسباب الأساسية لهذه الأحداث الإرهابية، فهو يمثل من وجهة نظر أصحابه الإقناع والحجة والمنطق في تناول القضايا، ولذلك تسعى الدراسة الراهنة إلى تحليل الخطاب الديني لتنظيم داعش الوارد في مجلة دابق، والوقوف على مضامين ودلالات التطرف الواردة فيه من خلال الاعتماد على طريقة تحليل المضمون، في ضوء مدخل تحليل الخطاب المعرفي لميشيل فوكو كمدخل نظري.

كلمات مفتاحية: الخطاب الديني، التطرف، داعش، تحليل المضمون.

Abstract: Extremist thought studies confirm that the extremist mentality is a mentality that deviates from the natural framework of life, and is unable to adapt to its social environment, and does not compete within it on fair bases, and therefore it does not accept criticism and does not accommodate dialogue, and tends to reject, deny and not recognize the other. And it tends to reject reason, and is entrenched in instinct, and this extremist thought resulted in confronting the Arab world after the revolutions of 2011, a wave of extremist terrorist incidents, which negatively affected social conditions and

human existence. Extremist religious discourse was an integral part of the basic causes of these terrorist events. From the point of view of its companions, it represents persuasion, argument and logic in dealing with issues. Therefore, the current study seeks to analyze the religious discourse of ISIS contained in Dabiq magazine, and to identify the implications and implications of extremism contained in it by relying on the method of content analysis, in light of the cognitive discourse analysis approach by Michel. Foucault as a theoretical input.

Keywords: Religious discourse, extremism, ISIS, content analysis.

مقدّمة

انتشر في العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين استخدام المنظمات الجهادية للإنترنت لنشر قصصها من أجل كسب قلوب وعقول أتباعها وإخافة أعدائهم. إن تنظيم القاعدة في أفغانستان وداعش في العراق والشام يدركون تمامًا قوة استخدام الإنترنت ووسائل الاتصال والتواصل الاجتماعي في نشر خطابهم الديني وأيديولوجيتهم التي يعتقدون أنها هي الإيديولوجيا المنتقاة. ولهذا السبب، تقوم المنظمات بنشر مجلات على شبكة الإنترنت ذات مظهر احترافي تعرض فيها رؤيتهما للعالم وترسم صور مثالية لنفسها في سعي منها لمحاولة إقناع قرائها بأفكارها. فأصبحت تلك المجلات المصدر الأساسي التي تعبر من خلالها هذه التنظيمات عن خطابها ورؤيتها للآخر، وأهم المعتقدات التي تتبناها، ولذلك فإن دراسة وتحليل هذه المجلات يعد مصدراً ثرياً بالمعلومات حول أفكار وتوجهات تلك المنظمات، ووفقاً لما تتبناه الدراسة الراهنة من تحليل مضمون الخطاب الديني لتنظيم الدولة الإسلامية "داعش" كنموذج ممثل لهذا الخطاب، والذي يبرز بوضوح في المجلة التي تصدر عن التنظيم ذاته، والتي تعد المنارة التعليمية والتوعوية الأولى لدى التنظيم لنشر أفكاره ومعتقداته ومنهجه في التعامل مع الطوائف المتعددة من المسلمين وغير المسلمين، وتصدر هذه المجلة باللغة الإنجليزية وتعرف باسم دابق "Dabiq"، كما صدر أول عدد لها في يوليو عام 2014 - في شهر رمضان بالتقويم الهجري- وتتوالى أعدادها بصفة شبه دورية

وبالتالي فإن منهجية هذا البحث تتمحور حول الاستعانة بتحليل المضمون وإحصاء موضوعات الخطاب الديني الأساسية في مجلة دابق، واستخلاص المفاهيم والدلالات والقضايا الفكرية التي تعبر عن تطرف هذا الخطاب والمتضمنة في موضوعات النصوص، بالإضافة إلى المصادر المستقى منها هذه المفاهيم ومن ثم، نوعية الاستشهاد والتدليل على تلك المصادر، هذا فضلاً عن الشكل التي عرضت به هذه المفاهيم ودور فئة الصور وأنواعها المختلفة. وقبلولوج في

ذلك لا بد من مراجعة التراث النظري حول الموضوع للوقوف على آخر النتائج البحثية فيه واستكمال مسيرة البحث حول النقاط المهمة في الدراسات السابقة على النحو التالي:

أولاً: مراجعة التراث والدراسات السابقة

قام الباحث بعملية مسح للتراث لموضوع الدراسة، للتعرف على الدراسات السابقة التي تمت حول موضوع الدراسة، وذلك من أجل الاستفادة من النتائج التي توصلت إليها، وبعد الاطلاع على الدراسات السابقة وجدنا أن هناك عدد محدود من الدراسات السابقة التي تركز على تناول الخطاب الديني لتنظيم الدولة الإسلامية داعش وهي على النحو التالي:

دراسة "Haroro J. Ingram" بعنوان "تحليل لمجلة دابق بالدولة الإسلامية" (2016)¹ والتي تهدف إلى تحليل مجلة الدابق لاستكشاف المنطق الاستراتيجي لدعوات تنظيم الدولة الإسلامية داعش للمسلمين الناطقين باللغة الإنجليزية. ويقدم الباحث إطاراً مفاهيمياً يمكن من خلاله تحليل إستراتيجية الاتصالات الخاصة بداعش ودراسة تجريبية من أعلى إلى أسفل لمحتويات مجلة دابق. وتوصلت الدراسة إلى أن مجلة دابق تعطي الأولوية لرسائل تعزيز الانقسامات بين المجتمع الغربي والمجتمع المسلم وبين المجتمع المسلم وذاته في نفس الوقت، من خلال عرض الأزمات وطرح الحلول من قبل الدولة الإسلامية داعش. كما تؤكد الدراسة أن داعش تسعى إلى تحقيق أقصى قدر من صدى رسالتها من خلال عرض إطار منهجي لقراءتها ليهتدوا به نحو أيديولوجيتها عن طريق عرض الصراع بينها وبين أعدائها وإظهار انتصاراتها على أنها دعم من الله باعتبار أن داعش تسير على النهج الصحيح. كما تؤكد الدراسة على أن مجلة دابق لها صدى على بعض المسلمين الغربيين، مما دفع إلى تدفق أعداد كبيرة منهم إلى الدولة الإسلامية بسوريا والعراق.

بينما دراسة Bahar Satar Pour Kolahi بعنوان "ما الذي يريده داعش معرفته؟ دراسة لدعاية داعش من خلال مجلة دابق" (2016)² حيث تهدف هذه الدراسة إلى تحليل مجلة دابق ودراساتها لفهم وتأطير حججهم ولفهم دعاياتهم لأن الإطار يؤثر على الدعاية وقدرتها على الوصول إلى جمهورها. وبالتالي تسعى الدراسة لإظهار العلاقة بين محتوى مجلة دابق وإطارها وكيف يؤثر هذا الإطار على الدعاية، من أجل فهم رسالة وأهداف داعش. واعتمدت الدراسة على نظرية

¹ Haroro J. Ingram, «An analysis of Islamic State's Dabiq magazine,» *Australian Journal of Political Science* (2016).

² Bahar Satar Pour Kolahi, *what does Daesh want you to know? A study of Daesh's propaganda through their online: magazine Dabiq* (Lund University: Center for Middle Eastern Studies, 2016).

الدعاية كمدخل نظري بالإضافة إلى نظرية التأطير، واستعانت بمنهج تحليل الخطاب النقدي كمنهج للدراسة ساهم في تحليل المجلة برؤية نقدية. وتوصلت الدراسة إلى أن داعش تصمم مجلة دابق بطريقة تحتوي على معلومات ومناقشات حول تفسيرهم للإسلام - وهي وجهة نظر صارمة للغاية وخاصة بداعش فقط - ولكن يسهل تصويرها واستقطابها للإسلام. من خلال استخدام الأحداث والمناقشات الجارية، وتحديد المشاكل، وتلبية احتياجات الجمهور من خلال الزمالة والوحدة، بالإضافة إلى التعبير عن حلول للمشاكل المتأثرة بكيفية تعامل بعض الدول الغربية مع المسلمين، وعلى هذا النحو يقوم تنظيم داعش ببناء رسالته، وبهذه الطريقة يؤثر إطار دابق على محتوى الدعاية.

أما دراسة H.A.H. Langemeijer بعنوان "لا تسمع عنا، اسمع منا: دور داعش ومجلة دابق على الإنترنت في تشكيل الدوافع للمقاتلين الأجانب (2016)"¹ فتهدف هذه الدراسة إلى تجاوز التفسيرات التقليدية. حول الزيادة غير العادية في أعداد المقاتلين الذين انضموا إلى تنظيم الدولة الإسلامية داعش بعد إعلان ما يسمى بالخلافة ملء هذا الفراغ من خلال تقديم تحليل متعمق لمجلة "دابق" الصادرة عن التنظيم من أجل تحديد كيفية قيام داعش ببناء رسالة استطرادية تهدف إلى تشكيل دوافع المقاتلين الأجانب. واستعان الباحث لصياغة إجابة على هذا التساؤل البحثي بمدخل العمل الجماعي كمدخل نظري للدراسة. وتوصلت الدراسة إلى أن المقاتلين الأجانب تحركهم حوافز لا تعد ولا تحصى، وغالباً ما تكون شخصية للغاية. وبناءً على مجموعة متنوعة من التحليلات المتعمقة، خلص الباحث إلى أن هذه المحفزات ذات صلة بالبحث عن تلبية الاحتياجات غير المستوفاة، لذلك صنف المقاتلين الأجانب وفقاً لذلك باعتبارهم "باحثين عن الانتقام والثأر" و"طالبين المركز والسلطة" و"الباحثين عن الإثارة الجنسية" و"طالبين الهوية".

ودراسة Douglas Wilbur بعنوان "مكان الدعاية في الاتصالات الإستراتيجية: دراسة حالة لمجلة دابق الداعشية" (2017).² تهدف إلى استكشاف الكيفية التي تستخدم بها الجماعات المتطرفة الدعاية كشكل من أشكال التواصل الاستراتيجي. وكان الأساس النظري المستخدم الذي انطلقت منه هذه الدراسة هو نظرية المؤسسات الجديدة من أجل التواصل الاستراتيجي. كانت

¹ H.A.H. Langemeijer, « Don't Hear about Us, Hear from Us » The role of ISIS' online magazine Dabiq in shaping foreign fighter motivations, » (Utrecht University, degree of Master of Arts in Conflict Studies & Human Rights, 2016).

² Douglas Wilbur, « Propaganda's Place in Strategic Communication: The Case of ISIL's Dabiq Magazine, » *International Journal of Strategic Communication*, Routledge (May 2017).

العينة عبارة عن مجلة دابق لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش). وكانت الطريقة النوعية المستخدمة هي تحليل المحتوى الاثنوجرافي. وتوصلت الدراسة إلأن داعش تستخدم دابق كشكل من أشكال التواصل الاستراتيجي لتحقيق الأهداف التنظيمية وفقا للنظرية المؤسسات الجديدة. كما استخدم تنظيم الدولة الإسلامية الاتصالات الإستراتيجية بطريقة مماثلة للجماعات غير المتطرفة. سعت إلى تعزيز منظمتها بأنها تتفوق على المنافسين.

ثانياً: الإجراءات المنهجية للدراسة

1. مشكلة الدراسة

جاءت مشكلة الدراسة نتيجة لتواتر العديد من التساؤلات في ذهن الباحث حول أبرز الجماعات الدينية التي تتبنى الخطاب المتطرف؟ وما هي أيديولوجيتها الفكرية؟ وكيف نشأت؟ وما هي المصادر التي تستقي منها الخطاب؟ وما هي مصادر بث ونشر هذا الخطاب وما هي دلالات تطرفه؟ وما هي أهم المفاهيم والمصطلحات التي تعبر عن تطرفه؟، وكيف يدعم داعش خطابه ليصبح مصدر جذب للآخر؟ مما أشعر الباحث بفجوة معرفية حول الخطاب الديني المتطرف والجماعات التي تحمله كأيديولوجيا. ومن ثم تبلور مشكلة الدراسة الراهنة في دراسة وتحليل مضمون الخطاب الديني لتنظيم الدولة الإسلامية داعش الممثل في مجلة دابق لمعرفة أهم الموضوعات التي يدور حولها، المفاهيم التي تعكس تطرفه، وكيف نجحت داعش في تسويقها؟ وأهم الوسائل التي استعانت بها؟ ما هي أهم الموضوعات التي يقوم عليها خطاب داعش وما هي أهم دلالاتها؟ ما هي أهم المفاهيم التي يتناولها خطاب داعش وما هي مصادرها؟ كيف يدعم داعش خطابه وما هي دلالات هذا الخطاب؟

2. أهمية الدراسة وأهدافها

ترجع أهمية الدراسة الراهنة إلى تناول أحد الموضوعات التي شغلت أذهان علماء ومفكري المجتمع العالمي وما تمثله من خطر على المجتمعات العربية والغربية. كما تكمن أهمية هذه الدراسة أيضاً في طرح تحليل مضمون خطاب تنظيم الدولة الإسلامية داعش والذي يعد من أوائل الدراسات في هذا الشأن على المستوى العربي. وبذلك تسعى إلى تحقيق عدة أهداف وهي:

- تحليل مضمون الخطاب الديني لتنظيم داعش في مجلة دابق لتحديد أهم موضوعاته.
- الوقوف على أهم المفاهيم والمصطلحات التي تعكس تطرف خطاب داعش الديني

- التعرف على أهم المصادر التي يستقي منها تنظيم داعش المفاهيم والاستشهادات التي يستند إليها في خطابه.
- فهم وتحليل المعاني والدلالات التي يحملها خطاب داعش، والتعرف على الكيفية التي يدعم بها التنظيم خطابه.

3. التوجه النظري للدراسة

تعتمد هذه الدراسة على مدخل تحليل الخطاب المعرفي عند "ميشيل فوكو"، حيث حاول فوكو بكل ما أوتي من علم أن يحفر لمفهوم الخطاب سياقاً دلاليّاً واصطلاحياً مميزاً عبر التنظير والتطبيق، لذا فإنه يُقدم عدة تعريفات لهذا المصطلح، فهو يعني عنده "مجموعة من الأدلة من حيث هي عبارات.. والتي تنتسب إلى نفس نظام التكون".¹ وهو "مجموعة من العبارات بوصفها تنتمي إلى ذات التشكيلة الخطابية"، فهو ليس وحده بلاغية أو صورية قابلة لأن تتكرر إلى ما لانهاية يمكن الوقوف على ظهورها واستعمالها خلال التاريخ مع تفسيره إذا اقتضى الحال، بل هو عبارة عن "عدد محصور من العبارات التي نستطيع تحديد شروط وجودها".² ولذلك يرى الباحث أن هذا المدخل النظري لتحليل الخطاب عند فوكو يتمتع بالكفاءة المنهجية لكونه الأنسب لتحليل مضمون الخطاب الديني عند تنظيم الدولة الإسلامية داعش معتمداً على قضايا فوكو النظرية في عملية التحليل.

ثالثاً: قراءة توضيحية لطبيعة موضوعات مجلة دابق

تبين من خلال الاطلاع على مجلة دابق بأعدادها الخمسة عشر، أن عنوان العدد والصورة على الغلاف تمثل الموضوع الرئيسي لكل عدد، والتي يتم تناولها في مقالة مميزة، حيث يتضمن الغلاف عنوان المشكلة، والذي يقدم الموضوع الرئيسي لهذه المشكلة، وفي معظم الحالات، يكون مؤشر إلى مقالة مميزة ترتبط مباشرة بالعنوان. وتشمل الأغلفة صورة تتعلق بصريا بالموضوع الرئيسي للمجلة. كما أن اختيار الموضوعات الرئيسية في مجلة دابق يتغير مع مرور الوقت.

وبالنظر إلى الأعداد الثلاثة الأولى من مجلة دابق نجد أنها صدرت خلال فترة توسع داعش الكبرى. ففي العدد الأول، يكون الموضوع الرئيسي هو إعلان الخلافة، والنغمة واحدة من

¹ ميشيل فوكو، *حفرات المعرفة*، ترجمة: سالم يفوت، ط. 2 (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1987)، ص 100.

² المرجع السابق، ص 108.

الابتهاج. والمواضيع الثانوية، التي لا تزال مستمرة في كل عدد من المجلة، هي نهاية العالم القادمة وعرض داعش العالمي المتعصب والعدائي. وفي العدد الثاني والثالث طرح الدعوة للهجرة. إنهم يقدمون الهجرة كواجب، ويحذرون من عواقب عدم الانتماء إلى ما يسمى بالدولة الإسلامية. وصورة غلاف العدد الثاني تستخدم مقالة مميزة؛ حيث تنبع من الغلاف قصة نوح والفيضان لتطويع الحجة بأن الولاء لداعش هو الطريقة الوحيدة لتجنب الإبادة. وفي العدد الثالث، تبرز مقالة مطوّلة واحدة عن فضائل الموحدين الذين يهاجرون إلى ما يشير إليه داعش بأرض الملاحم (الجهاد) للانضمام إلى الجهاد، في حين تتبنى مقالة أخرى، "الهجرة من النفاق إلى الإخلاص"، وهذه نبرة أكثر خطورة. ويتنبأ موضوع العدد الرابع بالنصر لداعش ونهاية العالم المرتقبة.

تركز الأعداد من الخامس إلى الثامن على الوحدة والتفرقة بين الجماعات الجهادية وانحراف أولئك غير المتحالفين مع داعش - العدو القريب - على سبيل المثال، يتباهى العدد الخامس بوجود عدد متزايد من الجماعات الجهادية التي تتعهد بالولاء إلى داعش بينما يركز العدد السادس على تشويه سمعة الجماعات الجهادية التي لم تنحاز إلى داعش. ويحوّل العدد السابع الانتباه إلى "المؤامرة" بين العدو القريب والبعيد. والعدد الثامن يحاول الضرب على وتر الشريعة وتوحيد المسلمين في كل مكان للجهاد، بينما العددان التاسع والعاشر كلاهما لهما تركيز ديني ومذهبي قوي من معاداة القوانين والمعاهدات الدولية ومعاداة القومية والشعارات الحديثة. وبدءًا من الإصدار الحادي عشر فصاعدًا، ينصب التركيز بشدة على أعداء داعش، القريبين والبعيدتين. حيث يشير عنوان العدد إلى معركة الأحزاب، فتستخدم معارك التاريخ قياسًا على الصراع الحالي بين داعش وائتلاف من "الأعداء". والعدد الثاني عشر يعرض هجمات باريس في 13 نوفمبر 2015. ويركز العدد الثالث عشر على "الأعداء" الأقرب إلى الوطن وهو هجوم على المسلمين الشيعة، مرة أخرى باستخدام الحسابات التاريخية والقرآن. والعدد الرابع عشر، يهاجم "العدو القريب"، مرة أخرى باستخدام الحجج التاريخية والكتابية لتأكيد ردة القادة العرب الذين لا ينسجمون مع داعش كجماعة الإخوان المسلمين. والعدد الخامس عشر، "كسر الصليب"، ينقل الهجوم مرة أخرى إلى العدو البعيد بتهمة الضرب على المسيحية.

ومن ثم، يتم التعرف على العقيدة الإيديولوجية المركزية لداعش في تأطيرها للإسلام كمرشد كامل لكل جوانب الحياة، والجهاد كالتزام مسلم به، ووسيلة لدفع الإسلام "الحقيقي" وحماية الأمة،

ومنهجها كتكرار لنبوة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) والسلف التي تشير إلى أن النجاحات السياسية العسكرية لداعش على سبيل المثال هي نتاج ذلك الإخلاص، وتبنى داعش إيديولوجيا على تراث الإيديولوجيين الإسلاميين المعاصرين، مثل سيد قطب وعبد الله عزام الذي يظهر تأثيره بشكل واسع في اعتقاد داعش بأن الإسلام هو دليل مثالي خالص للحياة الفردية والجماعية لا يجب المساس به من قبل الإنسان - وهو كذلك - كما دفع هذا التأثير العقيدة الداعشية ترديد هذه الكلمات، كما ردها عزام "الجهاد في الدفاع عن الأراضي الإسلامية واجب وفرض" (فرض عين على جميع المسلمين القادرين). وانعكاساً لما يقوله قطب، تتبنى داعش مصطلح الجاهلية الذي يصف مجتمع ما قبل الإسلام لوصف العالم الحديث. والواقع أن الجاهلية والهجرة والجهاد والعدو هي المفاهيم المهمة في نظرة داعش إلى العالم، حيث استحوذت الأولى على عمق الأزمة التي يعاني منها جميع المسلمين "الحقيقيين" بينما يتمثل الحل لتلك الأزمة. في الإلحاح الذي تجبر فيه داعش مؤيديها على مواجهة الجاهلية المعاصرة والجهاد ضد كل من يظل في تلك الجاهلية، وإن كان من المسلمين، والهجرة هي الخلاص من ديار الكفر إلى ديار الإيمان، وكأن العالم منقسم إلى شقين داعش وأتباعهم وكل الآخر يعيش في ديار الكفر.

قبل الانتقال إلى تحليل مضمون خطاب داعش الوارد في المجلة لابد من تحديد بعض النصوص والتعبيرات والقضايا التي سوف ينصب عليها التحليل، وذلك من خلال الوقوف على النصوص الأكثر تكراراً في المجلة، حيث يوضح لنا تحليل المضمون أن هناك مفاهيم وقضايا رئيسة تدور حولها مجلة دابق ستبينها الإجراءات المنهجية المتبعة في طريقة تحليل المضمون.

رابعاً: الإجراءات المنهجية لتحليل المضمون

تعتمد الدراسة الراهنة في رصد مفاهيم وقضايا خطاب داعش الأساسية على طريقة تحليل المضمون وهي وسيلة لتحليل مضمون الرسائل الإعلامية والخطابات والمجلات باستخدام المنهج العلمي القائم على الموضوعية والبعد عن الذاتية سواء من حيث المضمون أو الشكل؛ بما يتيح الثقة في النتائج التي يتوصل إليها، ومن ثم، تقوم هذه الطريقة على مجموعة من الخطوات الأساسية في التحليل وهي على النحو التالي: اختيار المادة عينة الدراسة؛ تحديد وحدات التحليل؛ تحديد فئات التحليل؛ صياغة صحيفة التحليل والتحقق من صدقها وثباتها؛ تصميم جداول التفريغ وتفرغ الصحيفة؛ معالجة البيانات إحصائياً؛ عرض ومناقشة نتائج الدراسة. ووفقاً لهذه الإجراءات تم اختيار المادة محل الدراسة وهي خمسة عشر عدداً من مجلة دابق، وتم ترجمتها إلى العربية (حيث

إن المجلة تصدر باللغة الإنجليزية) وقراءتها قراءة تفصيلية لأكثر من مرة. ولذلك نقوم بالإجراء الثاني من إجراءات تحليل المضمون وهو تحديد ووحدات وفئات التحليل:

1. وحدة التحليل

يتضح في تراث تحليل المضمون خمس وحدات لتحليل الرموز اللفظية وهي (وحدة الكلمة – وحدة الموضوع – وحدة الشخصية – وحدة مقاييس المساحة والزمن- وحدة المفردة)، ومن ثم، يجد الباحث أن وحدة الموضوع ووحدة الكلمة أكثر الوحدات انسجاماً مع أهداف الدراسة لأنها أكثر ملائمة لتحديد الكلمات والموضوعات والمفاهيم التي يعتمد عليها تحليل الخطاب لتوضيح دلالاتها اللفظية.

2. فئات التحليل

حاول الباحث اختيار الفئات المناسبة لموضوع الدراسة علماً بأن استخدام فئات كثيرة ومتنوعة قد تؤدي إلى تشابك الموضوع وتداخله، وصعوبة قراءة النتائج، لذلك اختار الباحث الفئات التي تناسب موضوع الدراسة وهي على النحو التالي:

– فئة ماذا قيل؟ وتتضمن فئة الموضوع حيث تعد من أهم الفئات التي تندرج تحت فئة ماذا قيل، حيث تجيب على سؤال علام يدور موضوع المحتوى، كما تفيد في الكشف عن مراكز الاهتمام في المحتوى، ويندرج تحت هذه الفئة مجموعة من الفئات الفرعية وفقاً لموضوع البحث وهي: فئة العدو القريب والبعيد، فئة الجهاد، فئة الهجرة. أما الفئة الثانية هي فئة تحديد المفاهيم والتي تفيد الدراسة الراهنة في الوقوف على أهم المفاهيم التي تشكل الخطاب الديني لتنظيم الدولة الإسلامية داعش. ويقع تحت هذه الفئة مجموعة من المفاهيم والمصطلحات التي تعبر عن مدى خروج هذا الخطاب عن نص الخطاب الديني المعتدل، ومن ثم نعرض لهذه المفاهيم في الجدول رقم (1). وتعد فئة المصدر الفئة الثالثة من فئات ماذا قيل ويقصد بها تحديد الشخص أو الجماعة التي تساق على لسانها الألفاظ والتعبيرات أو المصدر الذي يعود إليه اللفظ أو التعبير، ويتفرع من هذه الفئة فئات فرعية وفق طبيعة الدراسة وهي: فئة القرآن والسنة، فئة قادة التنظيم، فئة أعداء التنظيم، فئة أعضاء التنظيم، مصادر غير معروفة.

الجدول رقم (1): فئة تحديد المفاهيم

الله	الطاغوت / طواغيت	العدو
هم	الشام	العلماء
معهم	جنود	الشرك - المشركين
الإسلامية	صلى الله عليه وسلم	الإمام
الدولة	مرتد - مرتدين	بالقاعدة
سوف	الفصائل	سوريا
المسلمون - المسلمون	العراق	الشيخ
ضد	الشريعة	الأمة
رسول - النبي - محمد	حلفاء	المؤمنين
كفر - كفار - كفير - تكفير	الإخوة	أحمد
دين الإسلام	أراضي	الظواهري
الجهاد	ولاية - ولاية	منحرف
الصليبيين - الصليبيين	القرآن الكريم - الحديث	المنافقين
الخلافة	الهجرة	خليفة
القتال - القتال	النظام الحاكم	إخوان
المرتد - المرتدون / الردة	الصحوة [فصيل سني عراقي]	النصارى -: النصرانيون
دين	السنة [دروس من محمد]	صحيح
مجاهد مجاهدة	سوري	التوحيد
الرافدين	من	

- فئة كيف قيل؟ وتتضمن الفئات التالية: فئة شكل ونوع المادة والتي تحدد الشكل الظاهري للمادة سواء على صورة مقال أو تقرير أو غير ذلك، ويندرج تحت هذه الفئة جملة من الفئات الفرعية وهي: (مقالات، تقارير، إعلانات وصو، حكمة، رسالة، مقابلات، غلاف، تصدير، محتويات). تدعى الفئة الثانية التي اعتمد عليها الباحث في هذه الدراسة هي فئة طريقة العرض التي تظهر الوسائل التي استعان بها صاحب الخطاب ليبرهن على صحته ويقنع به الآخر، ومن أهم فئاتها الفرعية الآتي: الاستشهاد الديني، الاستشهاد التاريخي، الاستشهاد الواقعي، بلا استشهاد. أما الفئة الأخيرة من فئات كيف قيل هي فئة الصورة: فهل هي صور موضوعية تعبر عن حقائق أم غير ذلك ومن أهم فئاتها الفرعية الآتي: أ) الصورة التفسيرية: وهي التي تقوم بوظيفة شرح المعنى بشكل مستقل دون الحاجة إلى نص لفظي مصاحب، سوى التعليق الذي يقوم

بدور تابع في تنفيذ وظيفة الشرح والتفسير.¹ (ب) الصورة الشخصية: وهي التي تمثل الشخصية فيها محور الموضوع، وتروى تفاصيل هذه الصورة ملامح الشخصية سواء كانت هذه الشخصية مهمة أم لا، وغالباً ما تنشر هذا لصور على عمود واحد.² (ج) الصورة الموضوعية: وهي الصور التي تهدف إلى نقل أو توصيل صور أو تفاصيل عن أحداث ووقائع أقل سرعة، بحيث تنتشر في أي وقت مع موضوعها، لأنها لا ترتبط بتوقيت أو حدث إخباري عاجل.³ (د) الصورة الإخبارية: هي تلك الصورة المستقلة بنفسها كموضوع كامل، وتروي بتفصيلاتها، وبما يصاحبها من سطور قليلة خبراً أو حدثاً عاماً، وتكون هذه الصورة بحجم كبير، وتوضع في صدر الصفحة وتتسم هذه الصور بالجدة والحالية أو الوقتية.⁴

3. إجراءات الصدق والثبات

- اختبار الصدق: يرتبط الصدق بالإجراءات المتخذة في التحليل، كاختيار العينة، ووضع الفئات وتحديداتها تحديداً واضحاً ودقيقاً⁵، وفي ضوء ذلك قام الباحث بتحديد وحدات وفئات تحليل المضمون، ووضع التعريفات الإجرائية لفئات التحليل، وللتأكد من صدق استمارة تحليل المضمون؛ فقد عُرضت على مجموعة من الأساتذة في مجال علم الاجتماع والإعلام، وذلك للتأكد من دقة ووضوح وحدات وفئات التحليل وإمكانية تحقيقه الأهداف الدراسة، وفي ضوء آراء المحكمين، أجرى الباحث بعض التعديلات على الاستمارة حتى أصبحت في الشكل النهائي.
- اختبار الثبات: يقصد بالثبات قياس مدى استقلالية المعلومات عن أدوات القياس ذاتها؛ أي مع توافر نفس الظروف والفئات والوحدات التحليلية والعينة الزمنية، حيث إنه من الضروري الحصول على نفس النتائج مهما اختلف القائمون بالتحليل أو وقت التحليل.⁶ وقد قام الباحث بتطبيق صحيفة تحليل المضمون على عينة قوامها 10% من أعداد المجلة ثم استعان الباحث بباحث آخر وقام بتطبيق الاستمارة نفسها على المضمون نفسه بعد فترة زمنية تقترب من

¹ محمد عبد الحميد، السيد بهنسي، تأثيرات الصورة الصحفية: النظرية والتطبيق (القاهرة: عالم الكتب، 2004)، ص 150.

² شريف درويش اللبان، فن الإخراج الصحفي، ط.1 (القاهرة: دار العربي للنشر، 1995)، ص 137.

³ محمود علم الدين، الصحافة في عصر المعلومات (القاهرة: دار العربي للطباعة والنشر، 2000)، ص 152.

⁴ المرجع نفسه، ص 151.

⁵ وليد عبد الفتاح عبد الفتاح النجار، دعاء فتحي سالم، "معالجة الصحف الإلكترونية والورقية للأحداث الصحفية الجارية: دراسة تحليلية مقارنة"، المؤتمر العربي السنوي الخامس، "الاتجاهات الحديثة في تطوير الأداء المؤسسي والأكاديمي في مؤسسات التعليم العالي في مصر والعالم العربي" (جامعة المنصورة، كلية التربية النوعية 14-15 أبريل 2010)، ص 804.

⁶ عاطف عدلي العبد، نهى عاطف العبد، استطلاعات وبحوث الإعلام والرأي العام: تصميمها وتنفيذها، ط.6 (القاهرة: دار الفكر العربي، 2009)، ص 61.

الشهر، ثم قام الباحث بحساب الاتساق بين التطبيق في المرة الأولى والثانية باستخدام معادلة هولستي Holsti، فكتشفت النتائج عن معامل ثبات بلغ 91 أي أن التحليلين يتفقان معاً بنسبة 90 بالمائة.

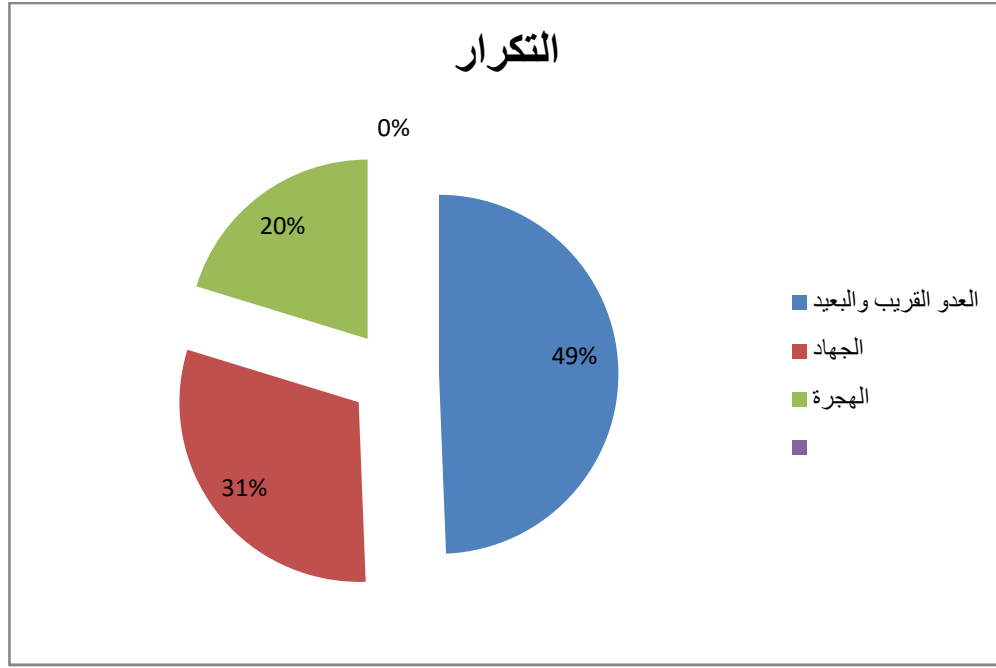
خامساً: نتائج الدراسة التحليلية لصحيفة تحليل المضمون

1. فئة الموضوع

يوضح الجدول (2) ورسمه البياني الموضوعات الأساسية التي تدور حولها مجلة دابق حيث جاء موضوع العدو القريب والعدو البعيد على رأس تلك الموضوعات بنسبة (49%) مما يؤكد على عدائية داعش في خطابها للمجتمع حيث أن كل من يختلف معها تصنفه في خانة الأعداء، ويأتي بعد ذلك في المرتبة الثانية موضوع الجهاد بنسبة (30%) وهذه نتيجة طبيعية للموضوع الأول حيث أن هناك أعداء فلا بد من الجهاد والقتال ضد هؤلاء الأعداء، وجاءت المرتبة الثالثة للموضوعات التي تحوذ على خطاب داعش هي الهجرة إلى الدولة الإسلامية والخلافة بنسبة (20%)، وهذا يدل على إعلان داعش عدائها للمجتمع ككل ومن ثم تعلن القتال ضده وتدعو حلفاءها للهجرة لدعم قضيتهم بدعوى الدين الإسلامي والدفاع عن الهوية الإسلامية وهذا ما يخالف خطاب الدين الإسلامي المعتدل.

جدول رقم (2): تكرارات الموضوعات الرئيسة لأعداد مجلة دابق

النسبة المئوية	التكرار	فئة الموضوع (الموضوعات الرئيسة)
49%	39	العدو القريب والبعيد
30%	24	الجهاد
20%	16	الهجرة
100%	79	المجموع



2. فئة المفاهيم

يبرز الجدول (3) أهم المصطلحات التي ورد تكرارها في مجلة دابق مرتبة من الأكثر تكراراً إلى الأقل تكراراً حيث نجد أعلى معدل تكرار لكلمة الله بنسبة (10.2%)، وأقل الكلمات تكراراً كلمة التوحيد بنسبة (0.3%)، وبالنظر إلى المصطلحات الأخرى نجد أن مصطلحات مثل هم (8.8) ومعهم (6.8)، وضد (3.8)، والكفار (2.8)، والجهاد (2.1) والصليبيين (2.0) والخلافة (2.0) والقتال (1.9) والمتردين (107) تحتل أعلى التكرارات مما يكون له العديد من الدلالات منها الطابع العدواني في الخطاب من خلال تسمية البشر المختلفين مع داعش في الديانة بل وفي طريقة التفكير بالكفار والمتردين والطواغيت، وهي كلها كلمات تعود إلى عصر الجاهلية الأولى قبل الإسلام، وهذا ما يثبت الدلالة الثانية وهي تعامل داعش في خطابها في العصر الحالي بلغة وطرق ماضوية تعود إلى الرعيل الأول من الإسلام، ووصفهم للإنسانية الحديثة بأنها غارقة في الجاهلية، كما أن كثرة هذه الألفاظ المنحرفة عن سياق الخطاب المعتدل تعد دليلاً قاطعاً على تطرف خطاب تنظيم الدولة الإسلامية داعش، حيث يوضح الجدول التالي المفاهيم الأكثر تكراراً في المجلة مرتبة ترتيباً تنازلياً.

جدول رقم (3): المصطلحات الأكثر تكراراً في مجلة دابق

الترتبة	الكلمة الواردة في المجلة بالإنجليزية	الكلمة بالعربية	التكرار	النسبة المئوية
1	Allah	الله	3153	10.2%
2	Their	هم	2709	8.8%
3	Them	معهم	2109	6.8%

4	Islamic	الإسلامية	1550	5.0%
5	State	الدولة	1536	5.0%
6	Will	سوف	1528	4.9%
7	Muslims – Muslim	المسلمون – المسلمون	1337	4.3%
8	Against	ضد	1174	3.8%
9	Messenger- Prophet – Muhammad	رسول – النبي – محمد	1044	3.4%
10	Kufr – Kuffar – Kafir – Takfir	كفر - كفار – كفير – تكفير	864	2.8%
11	Islam	دين الإسلام	682	2.2%
12	Jihad	الجهاد	661	2.1%
13	Crusaders – Crusader	الصلبيين – الصليبيين	629	2.0%
14	Khilafah	الخلافة	579	1.9%
15	Fight – Fighting	القتال – القتال	578	1.9%
16	Apostate – Apostates – Apostasy	المرتد – المرتدون / الردة	531	1.7%
17	Religion	دين	521	1.7%
18	Mujahid- Mujahidin	مجاهد مجاهدة	508	1.6%
19	Rafidah – RafidT	الرافدين	489	1.6%
20	Tāghūt – Tawāghīt	الطاغوت / طاغيت	447	1.4%
21	Sham	الشام	437	1.4%
22	Soldiers	جنود	426	1.4%
23	Sallallahu 'Alayhi wa Sallam	صلى الله عليه وسلم	380	1.2%
24	Murtadd – Murtaddīn	مرتد - مرتدين	373	1.2%
25	Factions	الفصائل	347	1.1%
26	Iraq	العراق	335	1.1%
27	Shari'ah	الشريعة	298	1.0%
28	Allies	حلفاء	293	0.9%
29	Brothers	الإخوة	283	0.9%
30	Lands	أراضي	274	0.9%
31	Wilayat – Wilayah	ولاية – ولاية	261	0.8%
32	Qur'an – Hadith	القرآن الكريم – الحديث	258	0.8%
33	Hijrah	الهجرة	246	0.8%
34	Regime	النظام الحاكم	245	0.8%
35	Sahwah [Iraqi Sunni faction]	الصحوة [فصيل سني عراقي]	244	0.8%
36	Sunnah [lessons from Muhammad]	السنة [دروس من محمد]	244	0.8%

37	Syrian	سوري	244	0.8%
38	Whoever	من	237	0.8%
39	Enemy	العدو	232	0.8%
40	Scholars	العلماء	230	0.7%
41	Shirk – Mushrikīn	الشرك – المشركين	229	0.7%
42	Imam	الإمام	221	0.7%
43	Al Qa’Idah	بالقاعدة	207	0.7%
44	Syria	سوريا	205	0.7%
45	Shaykh	الشيخ	194	0.6%
46	Ummah	الأمة	184	0.6%
47	Believers	المؤمنين	140	0.5%
48	Ahmad	أحمد	128	0.4%
49	Dhawahiri	الظواهري	121	0.4%
50	Deviant	منحرف	121	0.4%
51	Hypocrites	المنافقين	117	0.4%
52	Khalīfah	خليفة	113	0.4%
53	Ikhwan	إخوان	109	0.4%
54	Nusayri	النصارى:- النصرانيون	108	0.3%
55	Sahih	صحيح	105	0.3%
56	Tawhid	التوحيد	105	0.3%
المجموع			30923	99.9%

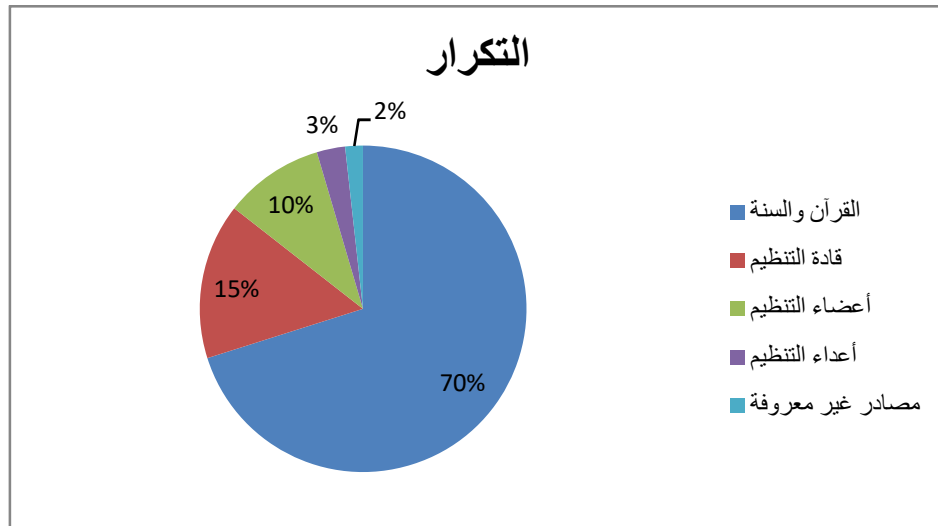
3. فئة المصدر

تشير إلى المصادر التي تستقي منها داعش خطابها وعن لسان من تنقله يوضح الجدول (4) والرسم البياني أن المصدر الأساسي الذي يعتمد عليه خطاب تنظيم الدولة الإسلامية هو القرآن والسنة النبوية بنسبة (70.1%) مما يؤكد محاولة تنظيم الدولة الإسلامية إقناع متلقي الخطاب بأنه مقتبس عن الله وعن رسول الله، مما يدفع القارئ إلى التسليم بصدق الخطاب ومحاولة الالتزام به، مما يفسر لغز توافد آلاف الشباب إلى التنظيم والالتزام بما يملئ عليهم دون محاولة حتى للتفكير فيما يقوموا به لمجرد أنهم يتلقوا خطاب يسمعون فيه قال الله وقال رسول الله، ونحن هنا لا نتألا على كلام الله ورسوله، ولكن نحن بصدد الوقوف على أصول هذا الخطاب المقتبس من القرآن والسنة ووضعه في موضعه الصحيح وفي سياقه وفي الظروف التي جاء من أجلها ولا نحاول أن نلوي عنق النص ليناسب كل حديث وكل حوار.

بينما يأتي المصدر الثاني لخطاب داعش مقتبس عن أقوال قادة التنظيم مثل البغدادي والعدناني والزرقاوي وغيرهم بنسبة (15.4%)، أما المصدر الثالث لخطاب داعش يأتي من مجموعة من أعضاء التنظيم النشطاء والمتعاونون مع مركز الحياة الإعلامي المنظم لإصدار المجلة بنسبة (9.9%)، بالإضافة إلى الاعتماد على كلمات وخطب قادة التنظيم وعلى وجه الخصوص أبو مصعب الزرقاوي المتوفي الآن ومحمد العدناني والمتوفي أيضاً، حيث يعتمد التنظيم على أقوالهم باعتبارهم من الأولياء والصالحين دون تعقل لخطابهم، وتحريضه المستمر على القتال ومعاداة الآخر والتعصب للفكر المتطرف، كما يعتمد أيضاً خطاب داعش على بعض أقوال الأعداء بنسبة (2.8%) وذلك لمحاولة تعقب أخطاء العدو وسردها لجمهوره كمحاولة إظهار محاسن التنظيم بأخطاء غيره، من خلال الشيء ونقيضه. وفي النهاية بعض المصادر مجهولة الهوية والتي جاءت بنسبة (1.8)

جدول رقم (4): المصدر الذي اعتمدت عليه المجلة في طرح خطابها

النسبة المئوية	التكرار	فئة المصدر
70.1%	1428	القرآن والسنة
15.4%	314	قادة التنظيم
9.9%	201	أعضاء التنظيم
2.8%	57	أعداء التنظيم
1.8%	36	مصادر غير معروفة
100%	2036	المجموع



4. فئة شكل ونوع المادة

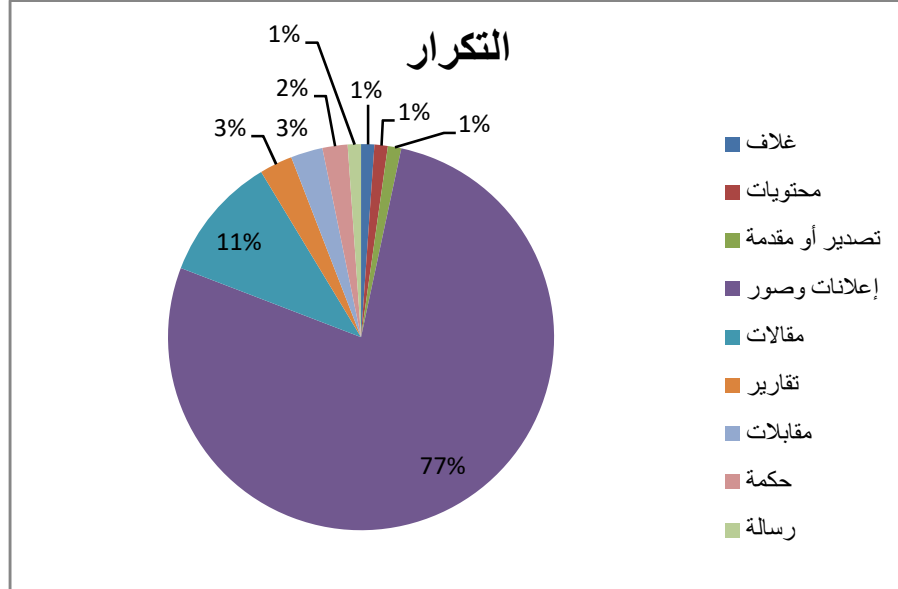
يظهر الجدول (5) والرسم البياني اعتماد مجلة دابق على الصور بشكل أساسي حيث مثلت نسبة تكرار الصور (77%) من نسبة تكرارات المحتويات السابقة مما يبين أن داعش تعتمد على الصورة لتؤكد مجموعة من النقاط: أولاً) تعتمد على الصورة لتبرز قوتها وانتصاراتها على من تطلق عليهم الأعداء مما يكون له صدى عند كل من يفكر في إتباع تنظيم داعش. ثانياً) تعتمد على الصورة لترهيب العالم من النظم الغربية والصهيونية من خلال نشر الأعمال الإجرامية وجرائم الحروب التي نتجت عن الحرب الدائرة بين فلسطين وإسرائيل، وبين الحرب الدائرة بين داعش وحلف الناتو، وبين داعش وبعض النظم العربية التي تسيطر عليها داعش. ثالثاً) تستخدم داعش الصورة لترهيب وتخويف النظم التي تعادي داعش؛ بعرض العواقب التي تقيمها داعش على رعايا هذه النظم في أماكن مختلفة؛ مثل ما حدث للمسيحيين المصريين في ليبيا، ثم يأتي بعد ذلك في الشكل الأكثر تكراراً فئة المقالات بأشكال وأسماء متعددة تحتل (11%) من تكرارات المحتوى، حيث مثلت المقالات من حيث الحجم الفئة الأكبر في المجلة لتناقش قضايا متعددة بينت من خلالها الأيديولوجية المتطرفة التي يتبناها تنظيم داعش، وتوالت المحتويات بعد ذلك في شكل تقارير (3%)، ثم مقابلات (3%)، ثم الحكمة (2%) والمحتويات (1%) والتصدير (1%) والغلاف (1%) وكما أن الغلاف يحمل عنوان المجلة التي تتبناه مقالة مطولة بداخل المجلة لتبين الغرض من العنوان. يبين الشكل التالي شكل المحتويات التي وردت في المجلة وتكراراتها ونسب التكرارات المئوية:

جدول رقم (5): يوضح شكل المحتويات التي وردت في المجلة وتكراراتها

شكل ونوع المحتوى	التكرار	النسبة المئوية
غلاف	15	1.1%
محتويات	15	1.1%
تصدير أو مقدمة	15	1.1%
إعلانات وصور	1039	77.5%
مقالات	141	10.5%
تقارير	37	2.8%
مقابلات	36	2.7%

* يجب التأكيد على أن التكرارات في الجدول السابق تعبر عن تكرارات المحتويات السابقة في المجلة ولا تعبر عن حجمها في المجلة حيث نجد تكرار خمس صور في صفحة واحدة فيكون عددهما خمس بينما المقال الواحد قد يأخذ حيز خمس صفحات وهنا هو مقال واحد فقط، ولذلك فهذا تكرار لكل فئة بغض النظر عن الحيز التي تشغله.

حكمة	28	%2.1
رسالة	15	%1.1
المجموع	1341	%100



يبين الجزء المظلل في الجدول (6) تكرار توزيع تلك المحتويات داخل كل عدد في المجلة:

جدول رقم (6): يوضح تكرارات المحتويات الداخلية في كل عدد من المجلة

الأعداد	المحتويات	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15
الغلاف																
جدول المحتويات																
رسالة الصفحة الأخيرة																
تصدير																
الحكمة (الحكمة)																
من المؤمنين رجال																
من / إلى أخواتنا / للنساء																
من صفحات التاريخ																
مقابلات																
قضايا العدو القريب																
على حد قول العدو																
مقالات																
العدو البعيد الأسرى																
جون كانتلي (الصحفي)																

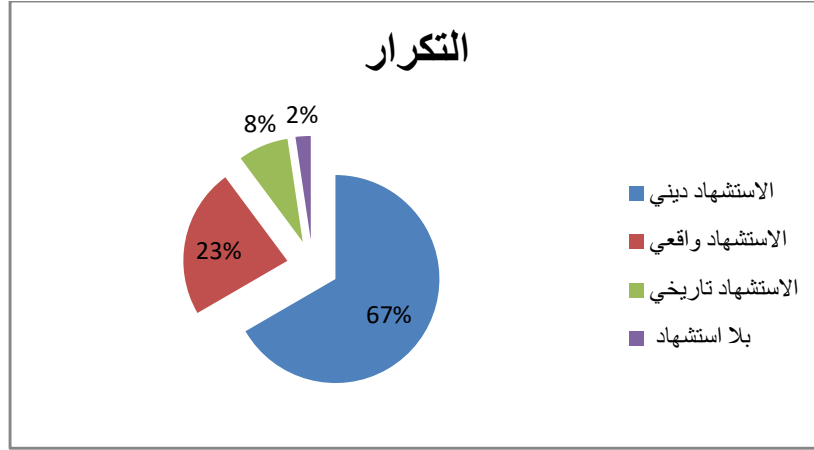
[illegible]

5. فئة طريقة العرض أو الوسيلة

والتي تبين الوسيلة التي يتبعها مضمون الخطاب من استشهاد أو تعميم من مصادر مختلفة لمحاولة إقناع القارئ وإثبات صدق الخطاب. يوضح الجدول (7) شكل الاقتباسات والاستشهاد الذي يستعين به داعش في مجلة دابق حيث يمثل الاستشهاد الديني من القرآن والسنة والأحداث الدينية المصدر الرئيس لداعش بنسبة (66.6%) فلا تخلو صفحة واحدة من حديث أو آية قرآنية أو مقولة مقتبسة عن السلف وفي ذلك دلالة إقناع للقارئ أن هذا الخطاب ليس خطاب داعش ولكنه خطاب الدين الإسلامي ومن يخالفه كمن خالف الله ورسوله، وتأتي المرتبة الثانية للاستشهاد من الواقع المعاش بنسبة (23%) والتي كانت واضحة في مقالات تحت عنوان "على حد قول العدو" وفي المقالات الرئيسية في المجلة ودلالاتها أيضاً وضع القارئ في مقارنة بين واقع العالم الإسلامي المتريدي وواقع الدول الغربية المتقدم لإثارته ضد تلك المجتمعات. بينما يأتي الاستشهاد التاريخي في المرتبة الثالثة بنسبة (7.8%) ومعظم الاستشهاد التاريخية جاءت حول انتصارات الإسلام في فترات معينة من التاريخ وحول الأزمات التاريخية التي افتعلها الغرب في العالم الإسلامي، ويأتي في المرتبة الأخيرة بعض الكتابات داخل المجلة والتي لم يتضح لها استشهاد بنسبة (2.3%).

جدول رقم (7): يوضح تكرارات وسيلة الاستشهاد لدعم الخطاب

النسبة المئوية	التكرار	فئة طريقة العرض أو الوسيلة
66.6%	1962	الاستشهاد ديني
23.2%	684	الاستشهاد واقعي
7.8%	230	الاستشهاد تاريخي
2.3%	69	بلا استشهاد
99.9%	2945	المجموع



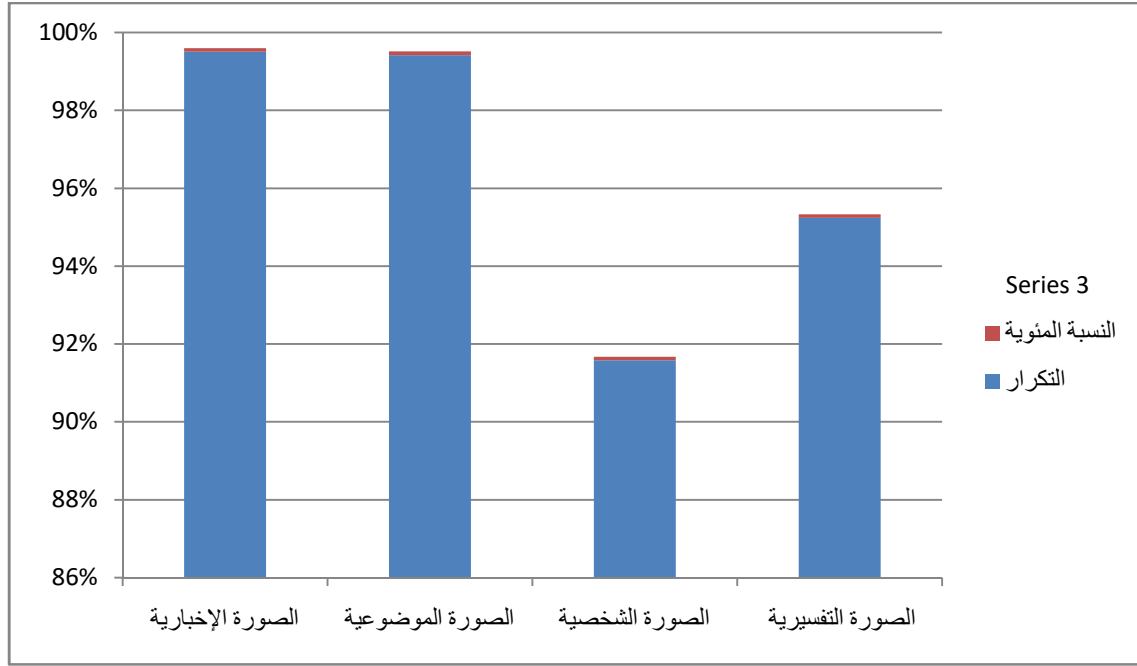
وقد ننتمي هنا إلى أن تنظيم "داعش" يستند إلى نصوص القرآن والسنة والنصوص التاريخية للسلف، حيث ليس من الضروري إنشاء رموز أو طقوس مثل الأنظمة العلمانية في القرن العشرين. بيد أن النصوص والتاريخ الذي تستخدمه داعش في بناء روايتها يمكن رؤيتها بالطريقة نفسها التي تستخدم بها الأساطير والطقوس التي استخدمتها النظم السابقة. حيث إن الأسطورة تلعب دوراً مركزياً في الدعاية لأنها توفر أساس الانتماء المشترك الذي يلاحظ أساس ما يستخدمه داعش لتبرير شرعية سلطتها وأيديولوجيتها ككل، كما أن الأساطير المبنية يمكن أن توفر فهماً وإجابات مشتركة للجذور والأهداف وتحديد الأعداء، فإن داعش يروي قصة بين المسلمين والآخر تربطهم صلات بالأحداث التاريخية الرئيسية للمسلمين الأوائل. ومن ثم يُفهم ذلك من خلال استخدام الأساطير والطقوس لإعطاء معنى ودقة لأحداث اليوم، وتستخدم داعش نبوءات دينية ومناسبات دينية. بهذه الطريقة، تقوم داعش ببناء مفهوم للعالم مبني على تعليم القرآن والأحاديث.

6. فئة الصورة

من حيث كونها صورة تبلغ خبر أو تشير إلى شخص أو تؤكد فكرة.

جدول رقم (8): يوضح تكرارات فئة الصورة ونوعيتها

النسبة المئوية	التكرار	فئة الصورة
47.7%	496	الصورة الإخبارية
39.3%	408	الصورة الموضوعية
3.2%	33	الصورة الشخصية
9.8%	102	الصورة التفسيرية
100%	1039	المجموع



من خلال عرض الجدول (8) يتبين أن مصممو مجلة دابق يعتمدون على الصورة الإخبارية بشكل أساسي بنسبة (47%) حيث تروي الصورة الإخبارية بتفصيلاتها، وبما يصاحبها من سطور قليلة خبراً أو حدثاً عاماً، وتكون هذه الصورة بحجم كبير، وتوضع في صدر الصفحة وتتسم هذه الصور بالجدة، مما يجعلها أكثر جاذبية لعين القارئ، وكانت داعش تعتمد على هذه الصورة في الصفحات الأولى للمجلة بشكل دائم، بينما كانت الفئة الثانية من فئة الصورة هي الصورة الموضوعية بنسبة (39%) والتي تهدف إلى نقل أو توصيل صور أو تفاصيل عن أحداث ووقائع أقل سرعة، بحيث تنتشر في أي وقت مع موضوعها، وكانت داعش تستخدمها دائماً في عرض صور القتلى وضحايا القذف في سوريا وليبيا وفلسطين، أما الفئة الثالثة هي فئة الصورة التفسيرية بنسبة (9.8%) وهي الصورة التي تقوم بوظيفة شرح المعنى بشكل مستقل دون الحاجة إلى نص لفظي مصاحب، وجاءت الصورة الشخصية في الفئة الأخيرة بنسبة (3%).

خاتمة

توصلت الدراسة إلى أن هناك ثلاث موضوعات أساسية استحوذت على أعلى تكرارات في مجلة دابق وهي العدو القريب والعدو البعيد والجهاد والهجرة، ويدل ذلك على الإيديولوجيا التي تتبناها داعش في التفكير في قضايا ماضوية ارتبطت بظروف خاصة في عصر صدر الإسلام ولا تمت للواقع الحالي بأي صلة. وهذا ما يحقق هدف الدراسة الأول حول تحليل الخطاب الديني لتنظيم داعش في مجلة دابق لتحديد أهم موضوعاته. كما تؤكد الدراسة على أن المفاهيم والمصطلحات

التي حصلت على أعلى التكرارات في مجلة دابق كانت في معظمها تدعو إلى العنف والقتل ونبذ الآخر ونعته بالفاظ لم تكن تتداول إلا في عصر الجاهلية الأولى وبدء نزول الإسلام ومن أهم هذه الألفاظ والمصطلحات لفظ القتل والمرتد والكافر والصليبيين والأعداء وهلم جرة. ومن ثم، تحقق هذه النتيجة هدف الدراسة الثاني حول الوقوف على أهم المفاهيم والمصطلحات التي تعكس تطرف خطاب داعش الديني. كما تبرز الدراسة أن تنظيم داعش يعتمد في خطابه على مصادر مختلفة على رأسها القرآن والسنة كاستشهاد رئيس، وهذا يدعم خطاب التنظيم ليحوز على قدرة عالية في الإقناع ولكن هذا النقل عن القرآن والسنة يكون بإخراج النص عن سياقه ولي عنقه ليناسب الحدث الذي يدعو إليه التنظيم، فيقوم بالقتل باسم الدين والسرقة باسم الدين. هذا فضلاً عن استغلال واقع العالم الإسلامي المتروكي والاستشهاد بوقائع تساهم في إقناع القارئ وجذبه للتنظيم. وبالتالي قد تحقق هذه النتيجة هدف الدراسة الرابع حول التعرف على أهم المصادر التي يستقي منها تنظيم داعش المفاهيم والاستشهادات التي يستند إليها في خطابه.

وتؤكد الدراسة على أن الصورة تلعب دور محوري في مجلة دابق حيث تعكس الكثير من الأمور التي تريد أن تريها داعش للعالم، فالصورة تعبر عنها بشكل واضح، وتساهم في استمالة القارئ واستعطافه، وتحاول إقناعه بإنجازات داعش وانتصاراته مقابل أعمال الغرب الإجرامية في بلاد الإسلام. ولذلك يمثل استخدام الصورة جزء من آليات تنظيم داعش لدعم خطابه الديني، وقبوله لدى العديد من الفئات، وهذا قد يحقق جزء من الهدف الرابع للدراسة حول التعرف على الكيفية التي يدعم بها تنظيم الدولة الإسلامية داعش خطابه. وتؤكد الدراسة فيما يخص العدو على أن داعش تقسم العالم إلى معسكرين الأول معسكر الإيمان والثاني معسكر الكفر ولا ثالث هناك، ومن ثم، فهناك معركة بين قوتين في العالم: بين المسلمين وكل الآخرين، ولا يوجد فضاء بينك وبين الآخر، وبالتالي أنت إما مع داعش أو أنت لست كذلك، وإذا كنت مع أعداء داعش. يصور الأعداء على أنهم أعداء لأنهم يتبعون قيماً لا تتوافق مع الإسلام، قيماً مثل القومية والعنصرية والديمقراطية وحرية الاختيار. بالإضافة إلى ذلك، هم أيضا العدو لأنهم يريدون التأثير على الإسلام والمسلمين من خلال تغيير معنى الإسلام إلى دين السلام (السلمية) وفقط. وعندها المسلمون مرحب بهم في الغرب. كما تسليط الضوء على جانب واحد فقط من الحجة من خلال حجب المعلومات التي قد تؤثر على آراء الجمهور وهي طريقة تجعل داعش تتفاعل مع جمهورها بالطريقة المرغوبة. من خلال القول بأن هذه هي المشاكل في الغرب وأنهم يسعون إلى قيم لا تتوافق

مع الله والإسلام، فإنهم يخلقون فرصة للدفع بأن لديهم الحل، كوسيلة لتجنب هذه المشاكل من خلال التحول إلى الخلافة. وهذا يمكن القيام به بسبب المشاكل التي تعالجها دولة الخلافة وقدرتها على مواجهة هذا، وتذكر أنه في الخلافة لا ينقسم أحد على أساس عرقي أو طبقي (معالجة مشكلة القومية)، وقوانين الإنسان ليست ما يحكم الناس بل هي شريعة الله (معالجة لمشكلة الديمقراطية).

كما تؤكد الدراسة على أن الهجرة بالنسبة لداعش مرتبطة بشكل كبير بتصورهم عن الخطايا. وهم يجادلون، من خلال مجلة دابق، أنه لكي يكون المرء مسلماً جيداً ولا يخطئ، يجب عليه مغادرة وطنه في الغرب والقيام بالهجرة إلى أرض الإسلام - الخلافة. هذه هي حجته الرئيسية فيما يتعلق بالهجرة ويتم ذلك عن طريق تسليط الضوء على جوانب مختلفة من حجته؛ فيقولون إن أرض الإسلام هي لكل شخص، حيث يتحد الجميع من قبل الإسلام والآن بعد أن وجدت دولة إسلامية فالجميع يجب أن يجعل الهجرة إلى هذه الدولة. إذا لم يغادر المرء، فإنه خيار نشط لدعم الغرب. هناك جانب آخر مهم في إطار حجته هو كيف تستخدم داعش السبب الرئيسي الذي يجعل الناس يعتقدون أن البعض يغادرون إلى الخلافة، ليصنعوا وجهة نظرهم الخاصة. يجادل داعش بأن بعض النساء على الرغم من ثروتهن تركن حياتهن الفاخرة من أجل حياة في الخلافة بسبب حب الله وليس بسبب تهميشهن ومشاكلهن الاقتصادية. هذا الاستخدام للرأي السائد الذي يجادل به العديد من الغربيين هو السبب وراء مغادرة الناس، ويبين كيف تستخدم داعش الأحداث والمعلومات الحالية لجعل وجهة نظرهم صحيحة، كما يستخدم مصطلح "دارول" أرض الإسلام وعلى التوالي أرض الكفر والذي يظهر أنه ليس فقط أفعالك التي تهمك، بل أيضاً الأرض التي تعيش فيها وما تمثله. وقد تم تسليط الضوء على هذا الجانب لإدانة الهجرة الأخرى - من أرض الإسلام إلى أرض كفر ليجادل بأن من ترك أرض الإسلام ترك الإسلام.

توصلت الدراسة إلى أن داعش يستخدم الكثير من الحجج من أجل جعل المسلمين يشعرون بالذنب لعدم الجهاد كما يقول داعش. وتستخدم هذه الحجج أيضاً لتبرير تفسيرهم للجهاد. تركيزهم على الجهاد لأنه من واجب جميع المسلمين تجاه دينهم وأمتهم. ومن ثم فمفتاح الدين بالنسبة لداعش هو الجهاد الذي يعني أن الرجال والنساء يؤدون واجبه كمسلمين وواجبهم تجاه الإسلام عن طريق الجهاد. إذا كنت لا تفعل الجهاد، لا يهم كم كنت تصلي أو تقضي الكثير من الوقت في المساجد، لأنك أهملت الأساس في الدين وهو الجهاد.

المراجع

باللغة العربية

ميشيل فوكو، *حفريات المعرفة*، ترجمة: سالم يفوت، ط.2 (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1987).

محمد عبد الحميد، السيد بهنسي، *تأثيرات الصورة الصحفية: النظرية والتطبيق* (القاهرة: عالم الكتب، 2004).

شريف درويش اللبان، *فن الإخراج الصحفي*، ط.1 (القاهرة: دار العربي للنشر، 1995).

محمود علم الدين، *الصحافة في عصر المعلومات* (القاهرة: دار العربي للطباعة والنشر، 2000).

عاطف عدلي العبد، نهى عاطف العبد، *استطلاعات وبحوث الإعلام والرأي العام: تصميمها وتنفيذها*، ط.6 (القاهرة: دار الفكر العربي، 2009).

وليد عبد الفتاح عبد الفتاح النجار، دعاء فتحي سالم، "معالجة الصحف الإلكترونية والورقية للأحداث الصحفية الجارية: دراسة تحليلية مقارنة"، المؤتمر العربي السنوي الخامس، "الاتجاهات الحديثة في تطوير الأداء المؤسسي والأكاديمي في مؤسسات التعليم العالي في مصر والعالم العربي" (جامعة المنصورة، كلية التربية النوعية 14-15 أبريل 2010).

باللغة الأجنبية

Haroro J. Ingram, «An analysis of Islamic State's Dabiq magazine,» *Australian Journal of Political Science* (2016).

Bahar Satar Pour Kolahi, *what does Daesh want you to know? A study of Daesh's propaganda through their online: magazine Dabiq* (Lund University: Center for Middle Eastern Studies, 2016).

H.A.H. Langemeijer, « Don't Hear about Us, Hear from Us» The role of ISIS' online magazine Dabiq in shaping foreign fighter motivations, » (Utrecht University, degree of Master of Arts in Conflict Studies & Human Rights, 2016).

Douglas Wilbur, « Propaganda's Place in Strategic Communication: The Case of ISIL's Dabiq Magazine, » *International Journal of Strategic Communication*, Routledge (May 2017).

المحكمة الجنائية الدولية والإرهاب: ولاية مشروعة أم تطاول سياسي؟

The International Criminal Court and Terrorism: Legitimate mandate or political arrogance?

Dr. Haoumalik Mohamed

د. حومالك محمد¹

جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية (فاس، المغرب)
University of Sidi Mohamed Ben Abdallah Faculty of Legal, Economic and Social Sciences (Fez, Morocco)

ملخص: تستهدف هذه الدراسة تحليل أهم الإشكالات المتصلة بالمحكمة الجنائية الدولية وعلاقتها بالإرهاب وذلك من خلال محاولة فهم طبيعة هذه العلاقة وإمكانية المحكمة النظر في الجرائم الإرهابية في ظل غياب أي نص قانوني صريح يفيد باختصاص المحكمة في إحدى هذه الجرائم، في ظل للمحاولات الرامية لجعل الإرهاب ضمن الجرائم التي تنظر فيها المحكمة سواء من خلال إعادة صياغة نظام روما من منطلق كون الإرهاب وممارسته يعد جرما من الجرائم التي لا تختلف كثيرا عن جرائم الحرب وجرائم ضد الإنسانية، مع التطرق لتداعيات عدم إدراج الإرهاب ضمن الجرائم التي تختص المحكمة للنظر فيها، لاسيما وأن الأمر يتجاوز إلى أبعد الحدود مسألة الاختصاص الموضوعي، ليطال مجالات أخرى تتسم بالتعقيد وهي مسألة تسييس المحكمة الجنائية الدولية، وهو ما يجسد حالة من الغموض ترتبط أساسا بمسألة الإفلات من العقاب وعدم نجاعة عمل المحكمة مما يعيق تحقيق العدالة الجنائية الدولية.

كلمات مفتاحية: المحكمة الجنائية الدولية، الإرهاب، الجرائم الإرهابية، الإفلات من العقاب.

Abstract: This study aims to analyze the most important problems related to the International Criminal Court and its relationship to terrorism by trying to understand the nature of this relationship and the court's ability to consider terrorist crimes in the absence of any explicit legal text stating the jurisdiction of the court in one of these crimes, in light of the attempts to make terrorism among the crimes that The Court will consider it, whether by reformulating the Rome Statute on the grounds that terrorism and its practice are considered a crime that is not very different from war crimes and crimes against

humanity, repercussions of not including terrorism among the crimes that the court is competent to consider, especially since the matter goes far beyond the issue of substantive jurisdiction, to other areas of complexity, namely the issue of politicization of the International Criminal Court, which embodies a state of ambiguity mainly related to the issue of impunity And the ineffectiveness of the court's work, which hinders the achievement of international criminal justice.

Keywords: International Criminal Court, terrorism, terrorist crimes, impunity.

مقدمة

تعرف العلاقات الدولية المعاصرة تطورات وتغييرات على مختلف المناحي، هذه التغييرات أسهمت فيها العديد من العوامل من أحداث وأزمات تتجاوز حدود الدولة الواحدة، مما يدفع المفسرين والمهتمين بالشأن الدولي لرصد تحليلات وتفسيرات لما يحدث في العالم، ومن بين هذه الأحداث والأزمات التي تعرفها العلاقات الدولية تلك المتعلقة بالإرهاب والتوجهات المختلفة بشأن ماهيته.

هذا الواقع جعل من الإرهاب موضوعاً للدراسات والأبحاث والمناقشات بين قادة العالم، للنظر في التهديد الذي أضحى يفرضه على السلم والأمن الدوليين، حيث ساهم تنامي وتزايد بوتيرة سريعة وبأساليب متنوعة إلى خلق حالة من الهلع في العالم، جعلت مكونات هذا الأخير ترصد له العديد من الإمكانيات والوسائل للحد من مخاطره، هذه الوسائل تمثلت في سن اتفاقيات دولية ومؤسسات تعنى بصفة خاصة بمكافحة الإرهاب بالإضافة إلى الجهود المحلية.

فيما يتعلق بالجانب المؤسسي لمكافحة الإرهاب عمل المجتمع الدولي إلى جعل مكافحة الإرهاب ضمن أولويات المؤسسات الدولية والإقليمية، إلا أن هذا الرصد تخللته العديد من الإشكالات القانونية والسياسية التي تتميز بها الظاهرة الإرهابية، وحتى لا تكون الدراسة شاملة لهذه المعوقات تم التركيز على إشكالية ذات صلة بالمحكمة الجنائية الدولية وعلاقتها بالإرهاب باعتبارها جهاز قضائي دولي أحدث لغرض تحقيق العدالة الدولية، هذه الإشكالية هي بمثابة محاولة لكشف بعض المعوقات التي تحد من تحقيق المحكمة الجنائية الدولية لأهدافها، لاسيما عندما يتعلق الأمر بعدم اختصاصها في قضايا الإرهاب، حيث أن جعل هذا الأخير خارج اختصاصاتها أمر يطرح أكثر من نقاش. ففكرة إنشاء قضاء جنائي دولي تستمد مشروعيتها من الرغبة في تحقيق العدالة الدولية، في زمن كثرت فيه الجرائم الدولية وتعددت أشكالها وصورها لدرجة أن أصبح الأمر يقتضي وجود نظام جنائي خاص دولي يستند في إحدى مقوماته على مبدأ عدم الإفلات من العقاب،

فوجود قضاء دولي جنائي مستقل ومحايّد يمارس اختصاصاته على جميع الأشخاص دون تمييز لتحقيق العدالة الدولية أمر في غاية الأهمية، من هنا جاءت فكرة إنشاء محكمة جنائية دولية بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 46/50 بتاريخ 11 ديسمبر 1995 ليتم الاتفاق على إنشائها بموجب اتفاقية روما (نظام روما) الذي تم اعتماده بتاريخ 17 يوليو 1998 ودخلت حيز التنفيذ في يوليو 2002، وأنيطت بها مهمة ملاحقة ومحاكمة الأشخاص المتورطين في جرائم ضد الإنسانية، والعمل على منع أي إفلات من المتابعة القضائية تحت أي غطاء أو ذريعة من خلال النظر في أكثر الجرائم خطورة على أمن وسلامة الإنسانية، من خلال الحرص على معاقبة كل مرتكبي الجرائم المنصوص عليها في النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، التي جاءت لتوحيجاً للتجارب السابقة لمحكمتي يوغوسلافيا ورواندا لسنتي 1993-1994 على التوالي. فالمحكمة الجنائية الدولية تمثل قضاء دولياً تركز ولايته على أساس إرادة الدول الموقعة منها والمنشئة للمحكمة، ويعد اختصاصها مكملًا للقضاء الداخلي وليس بديلاً عنه، هذا ويقتصر اختصاص المحكمة وفق نص المادة الخامسة من النظام الأساسي على جرائم الحرب، والجرائم ضد الإنسانية وجرائم إبادة الجنس البشري وجريمة العدوان¹.

ومنه يمكن صياغة إشكالية محورية للبحث تتمثل في مدى تأثر العدالة الجنائية الدولية بتواصل الإرهاب في ظل غياب أي تحديد لمهيمته وفي ظل غياب نص قانوني صريح يدرج جرائم الإرهاب ضمن اختصاصات المحكمة الجنائية الدولية؟ وعليه فربط المحكمة الجنائية الدولية بالإرهاب يروم الكشف عن إشكالية محورية ذات بعدين بعد له ارتباط بظاهرة الإرهاب وبعد آخر بالمحكمة الجنائية الدولية، بمعنى أدق هي إشكالية تروم البحث حول أسباب عدم إدراج جرائم الإرهاب ضمن اختصاصات المحكمة وحول ما إذا كان التوظيف السياسي للإرهاب وغياب تعريف محدد له أحد العوائق التي تحول دون إدراجه ضمن اختصاصات المحكمة الأمر الذي يؤثر سلباً على نجاعتها في تحقيق العدالة الجنائية الدولية؟

بغرض الإجابة على الإشكالية والتساؤلات الفرعية تطلب الأمر اعتماد الفرضيات التالية:

- عدم إدراج جرائم الإرهاب ضمن اختصاصات المحكمة الجنائية الدولية له بعد سياسي أكثر مما هو مشكل قانوني له صلة بتعريف الإرهاب؛

¹ إدريس لكربي، "المحكمة الجنائية .. الرهانات والمعوقات"، السياسة الدولية، العدد 176 (أبريل 2009)، ص 53.

- المحاولات الرامية لتأويل الأحداث الدولية ذات الصلة بالإرهاب على أنها إحدى الجرائم المقررة في النظام الأساسي لروما هي محاولات بمثابة تطاول سياسي لا أقل ولا أكثر؛
 - النظر في جرائم الإرهاب من طرف المحكمة الجنائية الدولية له ارتباط برغبة المجتمع الدولي في الحد من خطر الظاهرة الإرهابية التي تتخذ طابعا سياسيا حتى في تنامي مخاطرها.
- وعليه تحاول الدراسة الإجابة عن الإشكالية الرئيسية والتساؤلات الضمنية من خلال محورين: يتعلق المحور الأول بالمحكمة الجنائية الدولية والإرهاب: الاختصاص المفقود، والمحور الثاني بآثار عدم إدراج جرائم الإرهاب ضمن اختصاصات المحكمة الجنائية الدولية. ونظرا لعدم وجود منهج واحد في التحليل العلمي الأكاديمي اعتمدنا المنهج الاستدلالي والاستقرائي نظرا لما لهما من أهمية بالغة في تحقيق البحث لأهدافه العلمية.

أولاً: المحكمة الجنائية الدولية والإرهاب (الاختصاص المفقود)

مما لا شك فيه أن الحديث عن المحكمة الجنائية الدولية في ظل التطورات التي تعرفها العلاقات الدولية من أحداث متسارعة في ظل حركة مستمرة للمجتمع الدولي، يجعل من الجهاز القضائي عرضة للتحديات لاسيما في ظل بيئة دولية تتسم بالتعقيد، حيث أن الأمر لا يرتبط فقط بالمحكمة كجهاز قضائي مختص في عدد من الجرائم التي تهدد كيان المجتمع الدولي وسلامته، بل له ارتباط بطبيعة عمل هذا الجهاز القضائي والوقوف حول مدى نجاعته، حيث أن الأمر له علاقة بتهديد مستمر للسلم والأمن الدولي له علاقة أيضا بمعاقبة مرتكبي الجرائم الإرهابية التي تعد ودون أدنى خرقا سافرا للقواعد والمبادئ الدولية. وبالتالي فالانطلاق من منطق التحليل لرصد وتقييم إشكالية الاختصاص بالنسبة للمحكمة الجنائية الدولية، ينطلق من فكرة مفادها أن النظر في قضايا الإرهاب سوف يساهم بشكل أو بآخر في تحقيق مكافحة فعالة للظاهرة، غير أن هذا الأمر يظل مستبعدا لعدة اعتبارات أبرزها طبيعة الظاهرة الإرهابية التي تتسم بالغموض ويرتبط أيضا بغياب أي نص قانوني صريح يدرج الإرهاب ضمن اختصاصات المحكمة الجنائية الدولية.

ومن خلال المقتضيات القانونية المقررة في المادة الخامسة من نظام روما الأساسي، يلاحظ أن اختصاصات المحكمة محددا سلفا، وأي اختصاص خارج عن تلك الجرائم المقررة في نظامها الأساسي لا يدخل ضمن ولايتها القضائية، وهو ما ينطبق على قضايا الإرهاب فهي لا تدخل ضمن اختصاصات المحكمة، إلا أن جانب من الفقه كان له رأي آخر بالتأكيد أنه بالرغم من أن الإرهاب

لم يدرج ضمن الجرائم التي تدخل في اختصاص المحكمة إلا أن بعض الفقهاء يجادل في إمكانية امتداد اختصاص المحكمة ليشمل مرتكبي الجرائم الإرهابية، وحجتهم في ذلك أن المحكمة الجنائية الدولية تختص بأشد الجرائم خطورة موضع اهتمام المجتمع الدولي بأسره، وهذا ما ينطبق على الإرهاب، وبما أن جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية تدخل في نطاق الاختصاص النوعي للمحكمة، فإنه يمكن تكييف بعض الجرائم الإرهابية بأنها جرائم حرب أو جرائم ضد الإنسانية¹.

وتجدر الإشارة في هذا الصدد، أنه كانت اقتراحات عدة تقدمت بها بعض الدول، لإدراج جريمة الإرهاب في دائرة اختصاص المحكمة الجنائية الدولية قائمة، غير أن هذه الاقتراحات لم تحظ بموافقة جميع الدول إذ اعترض بعضها على ذلك، مدليا بأسباب متنوعة؛ فالإرهاب برأيه ليس معرف تاما، ومن شأن إدراجه ضمن لائحة الجرائم التي تختص المحكمة بملاحقتها أن يتسبب بتسييس المحكمة، وأن أعمال الإرهاب ليست كلها من الأهمية والخطورة التي تستوجب ملاحقتها أمام القضاء الدولي، وتبقى المحاكم الوطنية أقدر على مكافحتها بفعالية أكبر، إلا أن المحكمة الجنائية الدولية قد تلاحق مرتكبي بعض جرائم الإرهاب، ويكون ذلك في حالة ما إذا كانت هذه الجرائم، إضافة إلى كونها جرائم إرهابية، تدخل تحت توصيف قانوني آخر يشمل اختصاص المحكمة حسب بعض الاتجاهات الفقهية².

ولهذا، فالإرهاب الذي تغيب كل المحاولات لتحديد ماهيته، تظل إمكانية ملاحقة بعض مرتكبي الجرائم الإرهابية من طرف المحكمة الجنائية الدولية قائمة، شريطة أن تكون الأعمال المرتكبة إحدى الجرائم المنصوص عليها في المادة الخامسة من نظام روما، فهي تلاحقه تحت هذا التوصيف، فعلى سبيل المثال إذا قام عملاء رسميين لنظام حاكم في دولة ما باستهداف جماعة اثنية بالقتل بقصد إبادة جزئية وذلك لبث الرعب في صفوف باقي أعضاء الجماعة وحملهم على وقف معارضتهم للنظام، فهذا العمل هو جريمة إرهابية لأنه تعمد بث الذعر بين عامة الجمهور تحقيقا لأهداف سياسية، وهو في نفس الوقت جريمة إبادة تدخل في اختصاص المحكمة الجنائية الدولية، ذلك أن القتل استهدف جماعة اثنية بقصد إبادة جزئية وبذلك فمسألة التجريم يجب أن لا تختلط بمسألة الاختصاص والعقوبات فكون الإرهاب لا يدخل في اختصاص المحكمة الجنائية الدولية، لا يجب أن يفيد بأنه ليس جريمة دولية أو أن القانون الدولي لا يوفر آليات قضائية

¹ براء منذر كمال عبد اللطيف، "الإرهاب والمحكمة الجنائية الدولية"، مقال مأخوذ بتاريخ 25 ديسمبر 2017 من الموقع الإلكتروني الآتي: <http://www.droit-dz.com/forum/threads/9978/>

² أحمد حسين سويدان، الإرهاب الدولي في ظل المتغيرات الدولية (بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية، ط. 2، 2009)، ص 98.

لملاحقة مرتكبيه، وإنما فقط أن القانون الدولي في حال تطوره الراهنة لا يتيح في ملاحقة جريمة " الإرهاب الدولي" إلا للمحاكم لوطنية، هذا مع الإشارة إلى أن الملاحقة أمام القضاء الدولي في حال وجودها كانت لتساهم في تعزيز العدالة الجنائية في موضوع الإرهاب البالغ الحساسية، لما تمثله ميزة العالمية في هذا القضاء من حياد وموضوعية تسهمان في وضع الأمور في نصابها الصحيح¹.

ولعل من بين أسباب عدم إدراج قضايا الإرهاب ضمن اختصاص المحكمة الجنائية الدولية هو غياب تعريف محدد ومتفق عليه لمفهوم الإرهاب وهذا أمر واقعي إن صح التعبير لأنه مخرج للتصدي لأية محاولة تروم تأويل المصطلح ليخدم أجندة سياسية بعيدة عن المبادئ المتعلقة بالعدالة، وإن كان جانباً من الفقه يرى بأن عدم إدراج جرائم الإرهاب ضمن اختصاصات المحكمة لعدم وجود تعريف محدد للإرهاب هو مضيعة للوقت لأن حل مشكل المصطلح محكوم عليها بالفشل لعدم وجود محتوى قانوني محدد لمفهوم الإرهاب وتنوع السلوك المرتبط بالإرهاب واتساع مفهومه الغامض ليشمل نطاقاً واسعاً من الأعمال والأشخاص².

أضف إلى ذلك أن البعض يرى أن جرائم الإرهاب وإن كانت تستحق القمع والإدانة إلا أنها لا تنتهك بنفس الطريقة والدرجة والسلم وأمن البشرية جمعاء إذا ما قورنت بالجرائم المنصوص عليها في المادة الخامسة في نظام روما، ومن جانب آخر يرى المؤيدون لإدراج جرائم الإرهاب ضمن اختصاصات المحكمة أن غياب تعريف متفق عليه للإرهاب على المستوى الدولي يجب أن لا يشكل عائقاً لإدراجه ضمن الجرائم التي تختص المحكمة الجنائية الدولية بمتابعتها، فيرى البعض أن عدم إدراج جرائم الإرهاب ضمن الاختصاص الموضوعي للمحكمة على أساس أنه لم تعريف الجريمة الإرهابية، لكون الدول قد تنازلت على الأقل مؤقتاً لإنشاء استجابة عالمية لمكافحة الإرهاب³.

ومنه، فأى تأويل لنصوص ميثاق روما للاختصاص في قضايا الإرهاب الدولي سيكون خروجاً على النص وتجاوزاً سياسي لا أقل ولا أكثر في ظل غياب أي تعديل قائم، وبذلك فالأمر يتطلب توسيع نطاق اختصاص المحكمة الجنائية الدولية ليشمل الإرهاب، وهذا ما تعكف عليه بعض الدول الأطراف حالياً، كما أن ممارسة المحكمة اختصاصها على الجرائم الإرهابية سيتطلب

¹ المرجع نفسه، ص 100.

² علي يوسف الشكري، الإرهاب الدولي (عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2008)، ص 22.

³ نسيب نجيب، "حول استبعاد جرائم الإرهاب الدولي من الاختصاص الموضوعي للمحكمة الجنائية الدولية"، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 30، عدد 2، ديسمبر 2019، ص 202.

بالضرورة وضع تعريف للإرهاب، وبما أنه لا يوجد لحد الآن تعريف للإرهاب مقبول على صعيد دولي فإن طرح هذه الإشكالية سيؤدي إلى إثارة جدل كبير بين مختلف التوجهات والمواقف السياسية للفاعلين الدوليين.

وعليه، فالآلية التي يمكن بموجبها إدراج جريمة الإرهاب في اختصاص المحكمة الجنائية الدولية تتمثل في التعديلات التي يمكن أن يشملها نظامها الأساسي من خلال المؤتمرات الاستعراضية التي تعقد لذلك بعد كل سبع سنوات من بدء نفاذ المحكمة الجنائية الدولية وفقاً للمادة 123 من نظام روما الأساسي، وقد انعقد هذا المؤتمر في "كمبالا" بأوغندا في الفترة ما بين 31 ماي إلى 11 يونيو 2010 ولم يقدّم بوضع تعريف لجريمة الإرهاب، كما أنه لم يشر إلى اختصاص المحكمة الجنائية الدولية. ولكن هذا لا يمنع من إعادة النظر في هذه المسألة في المؤتمرات الدولية مستقبلاً، وإدخال جريمة الإرهاب في اختصاص المحكمة الجنائية الدولية. وتجدر الإشارة إلى أن حقيقة استبعاد الجرائم الإرهابية من اختصاص المحكمة الجنائية الدولية يرجع إلى الرفض المطلق من الدول المؤثرة في القرار الدولي لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية خوفاً منها من محاكمة قادتها وجنودها أمام المحكمة الجنائية الدولية¹. وهو ما يزيد من تعقيد الإشكالات المرتبطة بالإرهاب بمختلف صوره، فكيف يمكن الحديث عن العدالة الدولية ومرتكبي الجرائم الإرهابية في منأى عن اختصاص المحكمة الجنائية الدولية، وأنه أقر أحد أهم المبادئ المقررة في تحقيق العدالة الجنائية الدولية وهو مبدأ عدم الإفلات من العقاب².

ثانياً: آثار عدم إدراج جرائم الإرهاب ضمن اختصاصات المحكمة الجنائية الدولية

إذا كانت المحكمة الجنائية الدولية تعتبر تطوراً كبيراً في طريق السعي نحو تكريس العدالة الجنائية الدولية، فإن مسألة حصر الاختصاص في بعض الجرائم الأشد خطورة على الصعيد الدولي دون غيرها كالجرائم الناجمة عن الأعمال الإرهابية وتداخل الأجهزة السياسية الدولية في عملها كمجلس الأمن الدولي، يجعل من المهمة التي أسندت إليها محط تساؤل كبير يتعلق أبرزه في المعوقات التي تحول دون تحقيق العدالة الجنائية أو بالأحرى البحث عن الأسباب الرئيسية التي

¹ صديقي سامية، "إمكانية اختصاص المحكمة الجنائية الدولية بجرائم الإرهاب"، مأخوذ من الموقع الإلكتروني الآتي:

<http://www.alkhaleej.ae/portal> بتاريخ 21 مارس 2019

² بسملة الزعزاع، "مظاهر احترام القانون الدولي الإنساني في إطار: الحرب ضد الإرهاب"، (أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون العام، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، الرباط، 2009)، ص 237.

تجعل من المحكمة الجنائية الدولية، مجرد جهاز قضائي يسعى إلى تحقيق الأهداف التي أنشئ من أجلها دون أن تجد لذلك تطبيقاً فعلياً على مستوى الممارسة العملية.

ولهذا، فغياب أية صلاحية للمحكمة الجنائية الدولية للنظر في الجرائم الإرهابية يؤثر حتماً على مسار المحكمة وتحول دون معاقبة وردع الجناة وهو ما يجعل منها جهازاً قضائياً ذو فاعلية محدودة في معاقبة مرتكبي الجرائم الدولية، إفلات مرتكبي الجرائم الدولية من العقاب، ومن بينهم مرتكبي جرائم الإرهاب، كما أن إشكالية تسييس المحكمة تعد من الإشكالات القائمة التي تعترى عمل المحكمة خصوصاً في علاقتها بمجلس الأمن الدولي، الذي أعطيت له صلاحية إحالة حالة تعد جريمة من الجرائم التي تدخل في اختصاص المحكمة، وهو بذلك تكون له صلاحية تحريك اختصاص المحكمة أو إرجائه، فمنح مجلس الأمن الدولي سلطة الإحالة لم تخل من الدافع السياسي، فقد أثبت الواقع العملي الدافع السياسي في أكثر من مناسبة، وبذلك فإعطاء مجلس الأمن هكذا سلطات يؤدي إلى تقويض العدالة الجنائية¹.

ويطرح للنقاش مسألة تسييس عمل المحكمة وجعلها أداة في يد الدول وخصوصاً الدول ذات العضوية الدائمة في مجلس الأمن، تسييرها وفق ما يخدم مصالحها، فطالما تم استعمال هذه الصلاحيات بتحايل شديد من أجل تحصين مواطنيها من أية متابعة قضائية تدخل ضمن اختصاص المحكمة، وهكذا أصدر مجلس الأمن قراره رقم 1422 بتاريخ 21 يوليو 2002 بعد مرور قرابة أسبوع من دخول نظام المحكمة حيز التنفيذ، قضى فيه بضرورة امتناع المحكمة لمدة اثني عشر شهراً عن مباشرة أية إجراءات للتحقيق أو المقاضاة، في حالة إثارة قضية تشمل مسؤولين أو موظفين حاليين أو سابقين تابعين لدولة مساهمة في أعمال الأمم المتحدة أو التي تأذن بها، كما أعرب فيه عن اعتزامه تمديد هذا الطلب بالشروط نفسها لفترة اثني عشر شهراً جديدة، وألزم من خلاله جميع الدول أعضاء الأمم المتحدة بعدم التعاون مع المحكمة الجنائية الدولية، إذا ما قررت المضي قدماً بمثل هذه التحقيقات أو المحاكمات، وهو ما أثار ردود فعل دولية واسعة أكدت في مجملها على رفضها لهذا القرار، باعتباره يعرقل تحقيق العدالة الدولية، والحقيقة أنه قرار يشكل اعتداءً على اختصاص المحكمة، ويقوض سلطاتها في تطبيق العدالة الدولية من خلال رهن تحقيق هذه الأخيرة بالإرادة السياسية لمجلس الأمن الدولي، ويسعى لمنح حصانة دائمة لمواطنين تابعين

¹ عبدالحليم بن مشري، محمد جغام، "عولمة النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية: اختصاص مبتور وعقبات تزيد القصور، اتجاهات سياسية، العدد 9 (نوفمبر 2019)، ص 12.

لدول غير موقعة على النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية في مواجهتها بخصوص جرائم تدخل ضمن اختصاصاتها¹.

ومن المعوقات أيضا التي تحد من فاعلية المحكمة الجنائية الدولية في تحقيق العدالة الدولية، نبرز دور الولايات المتحدة الأمريكية في هذا الصدد، حيث لطالما استخدمت القوة بشتى أنواعها في سبيل تحقيق ما تدعيه "عدالة دولية" في مناطق عدة من العالم، وهي الدولة الوحيدة التي أبدت معارضة كبيرة وصارمة على إنشاء المحكمة منذ بداية الأشغال التحضيرية لها.

خاتمة:

يتضح مما سبق بأن ربط المحكمة الجنائية الدولية بالإرهاب يستند في إحدى مقوماته على ضرورة تفعيل عمل المحكمة الجنائية الدولية لمواجهة مختلف المخاطر المهددة لأمن وسلامة البشرية، من خلال معاقبة مرتكبي أشد الجرائم خطورة والمنصوص عليها في النظام الأساسي للمحكمة. وبالتالي إن كان التنصيص في نظام روما على أشد خطورة على أمن وسلامة البشرية يعد مدخلا لتحقيق العدالة الجنائية الدولية، إلا أن ورود وبروز مخاطر أخرى يجعل من تحقيق هذا الغرض أمرا في غاية الصعوبة، لاسيما في ظل ما نشهده اليوم من توالي أحداث عدائية ضد مدنيين عزل وفي مناطق مختلفة من العالم تمارس من قبل أشخاص لهم انتماءات لا صلة لها بالتوجه الإنساني القائم على زرع السلام والأمن بين بني البشر، ولعل الإرهاب أحد أبرز هذه الأعمال، الأمر الذي يطرح أكثر من تساؤل حول عدم الحد من مخاطره وحول عدم التوافق على تحقيق ماهيته، وحول عدم إدراجه ضمن اختصاصات المحكمة الجنائية الدولية.

وإن كان الأمر يجعل من مختلف التوجهات والتصورات والآراء قائمة، فالولاية المشروعة للمحكمة في قضايا الإرهاب تظل غير واردة في ظل غياب أي نص قانوني يؤكد أحقية المحكمة للنظر في جرائم الإرهاب، هذا الوضع يزيد من عدم فاعلية الجهود الدولية للحد من مخاطر الإرهاب ويزيد من توالي مسألة الإفلات من العقاب التي تجعل عمل المحكمة على المحك، خصوصا إذا ما علمنا بأن الأجهزة القضائية لها دور كبير في الحد من الجريمة عن طريق معاقبة كل شخص عمد على ارتكاب جرائم مهددة لأمن وسلامة المجتمعات. ومن جهة أخرى يبقى تأويل الأحداث التي تقع في مختلف بقاع العالم لاسيما تلك التي يمارسها أشخاص لهم توجهات متطرفة، على أنها أحداث لا

¹ إدريس لكربني، مرجع سابق، ص 56.

ارتباط بإحدى الجرائم المقررة في نظام روما، سيكون تطاولاً سياسياً لا أقل ولا أكثر وخروجاً عن النص من الناحية القانونية، وإفلات مرتكبي الجرائم الإرهابية خطأ تشريعي فادح وتوجه غير أخلاقي من أجل حماية كرامة الكائن البشري، إذن هي تناقضات تتجاوز البعد السياسي والقانوني، هي مسألة لها ارتباط بالشخص الإنساني وكيانه.

المراجع

أحمد حسين سويدان، الإرهاب الدولي في ظل المتغيرات الدولية (بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية، ط.2، 2009).

علي يوسف الشكري، الإرهاب الدولي (عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2008).

إدريس لكريني، "المحكمة الجنائية .. الرهانات والمعوقات"، السياسة الدولية، العدد 176 (أبريل 2009).

نسيب نجيب، "حول استبعاد جرائم الإرهاب الدولي من الاختصاص الموضوعي للمحكمة الجنائية الدولية"، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 30، عدد 2 (ديسمبر 2019).

عبد الحليم بن مشري، محمد جغام، "عولمة النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية: اختصاص مبتور وعقبات تزيد القصور، اتجاهات سياسية، العدد 9 (نوفمبر 2019).

بسمة الزعزاع، "مظاهر احترام القانون الدولي الإنساني في إطار: الحرب ضد الإرهاب"، (أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون العام، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، الرباط، 2009).

الكشف عن العنف البشري في الفلسفة السياسية لاريك فايل

Eric Weil's political philosophy revelation of human violence

Dr. Kamal El-Ammari

د. كمال العماري¹

مخبر البحث العلمي، الجامعة الدولية (الدار البيضاء، المغرب)

Scientific Research Laboratory, International University (Casablanca, Morocco)

ملخص: تتحول الفلسفة السياسية مع اريك فايل إلى عين تفضح واقعية الدولة والتي رغم جبروتها تتحول عند التحليل والمقاربة الصارمة إلى صرح زجاجي و السيادة من بسات قوي تحكم به الدولة الجميع إلى سيادة غير ناقصة ومتفاوض عليها وإذا كان هناك من مجال للمناقشة الهادفة فهي تلك التي تجعل من التعايش بين الاختلافات داخل المجتمع البشري أمرا ممكنا وعليه يقدم لنا فايل إمكانية ممارسة الحوار كبديل عن العنف وهذا سيكون هدف الدولة الحديثة المعقولة في نظر فايل هو ضمان إمكانية وجود حياة ذات معنى للجميع وفهمها على هذا النحو من قبل الجميع. الدولة ليست هي المعنى ولكنها المعقولة بامتياز و العالم الموجود لا يتطابق في حد ذاته مع العقل وعلى المجتمعات بأن لا تضيق فرصتها وأن تغتنم الوعي لتتمكن من فهم مشاكلها وبالتالي تجاوز أخطائها وعلى رأسها الحرب والعنف والتقتيل، فرغم أن القوانين محكومة بالثغرات والأخطاء لحظة التطبيق إلا أنها تبقى ضرورية لوحدة المجموعة وتماسكها واندماجها في العالمية وعدم طاعتها هو إعادة لفرض مبدأ العنف وهو الفعل اللاأخلاقي بامتياز، غير أن الفيلسوف لا يحترم أي قانون كيفما كان، بل هو يحترم القانون الذي يمنح المساواة للجميع لأن أي قانون غير عادل سيؤدي إلى مزيد التناقضات وبالتالي السقوط في فخ العنف.

كلمات مفتاحية: العنف، الفلسفة السياسية، اريك فايل، الدولة، المجتمع.

Abstract: Political philosophy, with Eric Weil, turns into an eye that exposes the reality of the state, which despite its tyranny turns into an edifice of glass and sovereignty from a solid carpet through which the state governs all. world in incomplete and negotiated sovereignty. If there is room for thoughtful discussion, it is one that makes possible the coexistence of differences within human society, and therefore Weill offers us the possibility of practicing dialogue as an alternative. to violence. the objective of a

reasonable modern state would therefore be to ensure that a meaningful life can exist for all and be understood as such by all. The State is not meaning, but it is the reasonable par excellence, and the existing world does not in itself coincide with reason. societies must not waste their chances and seize the conscience in order to be able to understand their problems and thus overcome their mistakes, in particular war, violence and murder. Although the laws are governed by loopholes and errors at the time of application, they remain necessary for the unity of the group, its cohesion and its integration into the world, and disobedience to it is the principle of violence, which is the immoral act par excellence. However, the philosopher does not respect any law whatsoever. On the contrary, he respects the law which grants equality to all because any unjust law will lead to more contradictions and thus fall into the trap of violence.

Key words: Violence, political philosophy, Eric Weil, the state, society.

مقدّمة

العنف هو مشكلة الفلسفة، أنه عنصر تأسيسي لها، مستمر فيها وتجاوز العنف هو الجانب الأخلاقي المشرق في فلسفة اريك فايل السياسية، فمستقبل الفلسفة صار أكثر من أي وقت مضى محكوماً بضرورة المواجهة مع العنف ولعلها الإشكالية الوجودية الأولى في نظر اريك فايل من حيث ترتيب الأولويات بالنسبة للفكر السياسي الفلسفي المعاصر، ففي مقابل الحقيقة لا يوجد قطعياً الخطأ بل توجد حقيقة من نوع آخر حقيقة يمكن أن يعبر عنها بالعنف وتفسرها القوة من حيث أنهما يقدمان نفسيهما كرفض غير مشروط لكل شروط الانسجام و لكل منطق عقلائي ينشد التماسك والوحدة. تتجلى الطبيعة السالبة للعنف وتتبدى بعض من ملامحه من خلال تحليلات إيريك فايل النقدية والتي تتغذى على ينباع فلسفية ضاربة في التجدر كالهيجلية والماركسية وغيرها، طريق شاق يحاول هذا الفيلسوف أن يشقه متسلحاً بمفاهيم قدر لها أن تتعامل مع العنف كاختيار ومع لغته المفككة والصاخبة كفعل سالب وما يصعب المهمة أكثر هو أن العنف يدور في دائرة الإنسان بل ويتحول إلى سياسة وكل تفكير في السياسة هو في حد ذاته فلسفة بنظر فايل، تفكير يصدر عن الإنسان الذي تجتمع فيه المتناقضات وعلى ساحته تنتعش المتعارضات.

استشكال العنف يتماس مع مستويات من الخطاب واللغة والعقل والأخلاق والدولة وغيرها وكلها مفاهيم ثقيلة تتوزع قسراً وتنتشر وفق خطوط يطبعها الاشتباك واللعب على إيقاع حيل السلطة. هي مجموعة متنوعة ومتشابكة من التقاطعات والمداخل تحتم على الفلسفة السياسية لاريك فايل البحث فيها عن مكان يؤهلها لتأخذ موقعها ضمن تاريخ الفلسفة، وعي يؤهلها لتكتسب درجة من المعقولية ويمنحها أصالة التحري الفلسفي في درجات احتكامه للواقعية والفاعلية.

مستويات مختلفة، أحيانا متباينة وفيها يكاد يأخذ العنف معناه ضمن واقع يتكلم داخل الإنسان ويوجهه إلى حيث مستويات خطيرة من القتل وطاقت كبيرة من الدمار و من التهيب حتى بلوغ درجات العبث بجوهر الحياة و الكرامة الإنسانية.

كيف السبيل إلى التوفيق بداخل نفس الكائن بين محبة الحكمة وذلك الميل الطبيعي للعنف؟ هل حالة التعايش الساكن و والهادئ هي مجرد ظرفية عابرة في التاريخ الوجودي للكائن؟ هل الفلسفة السياسية لفيل تعبير عن موقف من الأحداث القائمة أم هي تأسيس لفلسفة سياسية حقيقية تضع الواقع والفعل ضمن أولوياتها وتترك ما دونهما للآخرين؟ هل هناك إمكانية لفتح حوار مع العنف ومع الحداثة؟ هل انغراس الفرد في الكوني والقانوني والأخلاقي هو اختيار أم ضرورة؟ هل هو من صميم حريته أم أنه شيء حتي فرضته علاقاته التاريخية والاجتماعية والسياسية؟

يمكن القول أنه إذا كان هناك من مسار حاول اريك فايل رسمه للإنسان وفلسفته على وجه الخصوص فهو ترك كل معرفة تقتبس من توجهات النخب وعواطفهم جانبا من المنفعة والمصلحة الآنية وهو توجه أخلاقي صرف تبتعد فيه الفلسفة عن الخوض في أدوار السلطة وأخلاق الحكام بل وكل تلك الغايات المتوارية في ثنايا اللغة والخطابات المعرفية و النظرية التجريدية التي تروم توجيه النخب نحو أهداف حزبية أو فئوية تخدم مصالح اقتصادية أو إيديولوجية وهنا يفكر الفيلسوف فيما هو أكبر بكثير، في الدولة و الفرد و الحرية وعلاقة كل ذلك بالعنف.

ينطلق إريك فايل من شعور شامل يضع الواقع السياسي ضمن الأفق العام للواقع الإنساني ومن تم ففلسفته السياسية لا تقدم نفسها كمعارف نظرية أو تقنيات لفهم الظواهر السياسية بل تساؤلات تتوجه إلى نوع من المعرفة السياسية من حيث أنها تستوجب إطارا من التكامل والانتظام والنسقية وإلى التعامل مع شروط واقعية تتماهى داخل نظام فلسفي منسجم و موحد و بذلك يحيل النسق الفلسفي في كليته على منطق خاص تبحث فيه الفلسفة لنفسها عن مسار موجه يمتد من القرار إلى الفعل وينتهي بتلك المصالحة بين الفكر وحياة جميع العقلاء مرورا بكل الفئات التي تظهر وكأنها محددات خاصة للحرية في صلتها بالخطاب وفي حوارها مع الحداثة ومع العنف، هنا بالذات يصبح الحوار العقلاني والحر بمثابة الطريق الممكن لتفكير ايجابي يتناول راهنية التاريخ ويعبر عن عصر يعيش على إيقاع أزمة في المعنى، أزمة كتب لها أن تطال وتؤثر على مستويات من التعليم والبيداغوجيا و استشكالات تلقي المعرفة.

تكثيف البحث في الإشكاليات التي تقارنها الفلسفة السياسية لاريك فايل يعني التواجد في مستويات التماس مع فكرة العنف والحرية والعقل باعتبارها حدود أساسية ومهمة لفهم الإنسان، فطرائق العقل والخطاب المعقول تقود كلها نحو تلبية الرغبة في فهم كل شيء ، في رسم طريق منفتح على الواقع و البحث في المعنى هو ما يدفع إلى اختيار الخطاب الفلسفي كنسق منفتح على نفسه وعلى الواقع في تعقيداته غير أن الانفتاح على العقل بالنسبة لفايل هو أيضا في جانب منه انفتاح على اللاعقل أي الجانب الآخر في الكائن والمتمثل في العنف.

تتعاطى الفلسفة الأخلاقية لاريك فايل مع السياسي وتتأمله بإمعان في ترابطه مع الحداثة والعنف والزمن والمجتمع والتاريخ، كما أنها أيضا في انسيابها وتقدمها من موضوعة العنف والسياسة لا تنسى ماضيها وتعترف بذلك الدين التاريخي الذي عكسته قراءات أرسطو وهيغل وكانط للسياسي بمفاهيم واكبت العصور لتتحول لما يشبه الثوب الذي يرتديه فايل في مناسبات عدة رغم أنه في كل مرة يكون اللباس بشكل مميز يطبعه التجديد و يعكسه حوار متناسق مع الحداثة كواقع ومع العنف كحضور من دون أن يكون هناك مجال للاختزال بحيث ينطلق التأمل الفلسفي عفويا واعيا بالوضعية الأخلاقية متسائلا : هل يمكن للضمير الأخلاقي أن يظهر منسجما مع مفهوم العقل نفسه؟ هل تفشي العنف يكتسي طابعا عقلانيا؟ هل هو ضروري من منظور العالمي؟ يتناول اريك فايل الحقيقة السياسية في كليتها ويعين لها موقعا ضمن الواقع في شموليته، فالواقع السياسي هنا لا يقتصر فقط على عرض نظريات أو تقنيات بل يحتاج إلى أبعد من ذلك، إلى حد إنتاج نوع من الفهم الأصيل يسد عند الإمكان ذلك الفراغ الرهيب الحاصل في الفهم المنسق الذي تحتاجه المقاربات السياسية في المرحلة ويتطلبه العصر، فهل إريك فايل بصدد تقديم وعرض نفس إشكاليات هيغل بلغة القرن العشرين وإحداثياته؟ هل ثمة نوع من المعارضة أو المراجعة لبعض الأفكار الهيكلية؟ هل تتضمن الفلسفة السياسية لفايل رؤية نقدية لعلاقة السياسي بالأخلاقي؟ هل نكون أمام مشروع تحديثي للمفاهيم الهيكلية؟ كيف تصبح الدولة موضوعا حيا للتفكير في العنف انطلاقا من التاريخ والسياسة والفلسفة؟

أولا: الإطار الزمني لفلسفة اريك فايل السياسية

بعد الخروج من الحرب لم تكن ألمانيا بالنسبة لفايل سوى مصطلح جغرافي فهي ليست بالدولة ولا هي بالمجتمع. لقد اكتسبت وجمعت كل مقومات الضعف على غرار النظام القديم الذي كان سائدا بفرنسا أضيفت إلى كل ذلك نتائج العجز في تشكيل الوحدة فهي لم تعد موضوعا

تاريخيا أو سياسيا يستحق التفكير. في نظر فايل يعد العنف المفتاح الخفي لفهم قضية الإنسان والسياسة، ففي كتابه الفلسفة السياسية الصادر عام 1956 ضمن منشورات فران الباريزية يمكن أن نعثر على تحليلات تغذي قضية العنف بعناصر جديدة ربما سنجدها متفرقة في كتابات أخرى لفايل أو لدى مفسريه أو دارسيه أو محاوريه من أمثال شيرولو Schirollo أو بول ريكور Ricoeur أو كانيفيز Canivez أو كيرشر Kirscher وغيرهم.

من منظور تأسيسي يمكن القول أن الوقائع الكبيرة هي ما أنعش إلى حد كبير الفلسفة السياسية حيث يعود بنا فايل إلى فترة منتصف العشرينات و أيضا أزمنة إعادة الاعمار التي أعقبت نهاية الحرب الكونية الثانية وانهيار النظام النازي ، مرحلة وجدت فيها الشعوب الأوروبية نفسها مجبرة على أن تقاوم كل آثار العنف والدمار لكي تتخلص نهائيا من وصاية الاستعمار الألماني وحتى تخلق هذه الديمقراطيات الأوروبية السعادة لشعوبها وتبعثها من مقابر العنف والعدم إلى دائرة الإنتاج الموسع، حاولت خلق نوع من التوافق في الآراء بين سياسات الأحزاب البرجوازية والأحزاب العمالية (شيوعية أو اشتراكية). ونحن نبحت عن الوقائع الفاعلة في الفلسفة السياسية لاريك فايل لا يسعنا إلا وأن نفهمها ضمن سياقها العام و الخاص، ظرفية اشتدت فيها المنافسة الفكرية والمعارك الإيديولوجية بين مجموعة من الدول كانت محسوبة على ما يعرف بالمعسكر الغربي وأخرى تبنت نظرية شيوعية تؤمن بالثورة وبأفكار ماركس ولينين الداعمة للبروليتاريا.

نذكر بأنه بعد وفاة ستالين عاش العالم على إيقاع الأيام الجميلة للحرب الباردة الممزوجة بشحنة زائدة من التوتر والتوجس واللذان رغم أنهما كانا أمرا واقعا إلا أنهما لم يعززا بأية حال من الأحوال استمرار الحرب وبخاصة بين التحالفات المختلفة عقائديا وايدولوجيا واقتصاديا. لقد أسس هذا الوضع المضطرب لما يشبه حالة من التعايش السلمي والتوازن البناء القائم على استثمار المعلومات الاستخباراتية والعسكرية والتي كانت توجي لمعسكري المواجهة بأن قيام الحرب الوشيك لن يكون في صالحهما سواء على المدى المتوسط أو البعيد وفي خضم هذه الأوضاع تأسست منظمة سميت بالأمم المتحدة أريد لها آنذاك أن تلعب دور حكم يدير مشكلة النزاعات الدولية والصراعات الإقليمية والتي تأثر بها الجميع وخصوصا فئة المثقفين. لعلها سياقات تؤرخ لتعاقب سلسلة من الظواهر السياسية تنم عن قراءات لمختلف النوايا التوسعية والامبريالية والتي كان من نتائجها بروز نقاشات على الساحة الفكرية تناولت المجال الاجتماعي والسياسي والثقافي زاد من تأجيجه ضجيج إعلامي واكبته تغطية وإعلانات من داخل الصالونات الفكرية والجامعات والساحات وغيرها.

لقد كتب إيريك فايل فلسفته السياسية في شروط مفعمة بالقلق الإنساني العميق من سيادة الشر ، وهي الفلسفة التي لم يكن يريد لها أن تكون نظرية علمية حول السياسة أو موقفا فكريا منها ولم يسعى لأن يجعلها قبضا على مجريات الأحداث من سياسات الحكومات أو قوانين التصويت أو غيرها من القضايا الرائجة التي كانت تثير اشمئزازه بل كانت كما تصورها نقدا عميقا للعنف الذي يسود العصر والذي وصفه بالغول المتسيد على العالم تحت مسميات مختلفة.

لقد توصل فايل عن قناعة اليأس إلى أن المهتمين بالسياسة هم أنفسهم من صاغوا مذاهب ونظريات حولها والعيب ظل يكمن في نظره في كون هذه الصياغة تغذت على الذاتية واستمرت متحيزة حتى تحولت بفعل التواطؤ إلى حقائق مطلقة من غير التفكير في نسبية المواضيع المطروحة للنقاش ولا ربط المجالات المختلفة من التفكير مع مستويات الواقع في دينامكيته وتعدديته والتي تستلزم تعاملًا مختلفًا وعميقًا وفي هذا الصدد اعتبر إيريك فايل أن العلوم الاجتماعية من جهتها تتعامل مع الواقع إلا أنه تعامل لا يتجاوز مستوى الوصف والملاحظة الميدانية لمجموعة من الظواهر ذات الطبيعة الاجتماعية والاقتصادية ويكاد نفس الأمر يسري على نظريات الدولة التي اعتادت أن تتخذ من السلطة والمصلحة العامة مواضيع لها في حين يختار علماء السياسة من هذا الواقع مهمة تقتصر على تحليل دوافع المواطنين ونتائج ذلك على مسلسل التصويت وكل ما له صلة بالشأن الحزبي أو الانتخابي. وبهذا نجد اريك فايل يرفض بشكل منهجي هذا السياق الذي يغذي سلسلة من الأحداث النظرية غير المنسجمة والمتسمة بتجزئ بـراغماتي للواقع، فبالنسبة إليه ما شهده الفضاء العام من اضطراب فكري و صراع إيديولوجي أدى إلى سياسة فاسدة صارت معها كل مجموعة تسعى إلى منح أعضائها عاطفة جياشة بحيث تستطيع المرور إلى مستويات من انفعالاتهم وعاطفتهم وتوجيهها ضمن تخطيط يضمن موقعا مريحا لها في حلبة الصراع الحزبي بغض النظر عن الأخلاق والقيم الإنسانية.

ثانيا: تقليد فلسفي يستمد أصالته من النسق الهيجلي

بالرجوع إلى كتاب اريك فايل "منطق الفلسفة" المنشور سنة 1950، يمكن أن نتلمس نوعا من الخصوصية يتحول معها الفكر الفلسفي لخطاب عقلائي يميل أساسا لمناقشة إشكاليات السياسة ويكاد يشكل نسقا متكاملا و مستقلا بذاته ، فإذا كان الواقع هو الموضوع الذي يثير اهتمام الأنساق الفلسفية بنظر فايل فالمطلوب هو إعادة صياغته على شكل تساؤل فلسفي وقضية سياسية كبرى وهذه الصياغة تتحول معها المهمة الفلسفية إلى شيء آخر يتجاوز نظرية الكينونة

الأفلاطونية أو علم الوجود المتعالي إلى نوع من الفحص وإعادة الفحص لكل ما تضمنته الخطابات النظرية المنمطة حول السياسة العامة للدولة. يعرض فايل في مؤلفه لأهم الأسباب التي سمحت له بتطوير مشروعه الفلسفي ومن ذلك إلحاحه على أن الغاية من الفلسفة المعاصرة لا تكمن في تطوير نظرية حول الكائن على غرار ما فعل الفلاسفة الأولون كأفلاطون أو أرسطو أو فلاسفة القرون الوسطى ولا حتى أنطولوجيا متعالية على غرار نموذج إيمانويل كانط.

تكمن مشكلة الفلسفة السياسية الأساسية في فهم العنف المبرر بالسياسة باعتبارها لحظة تسمح بتأسيس فلسفة نقدية بحلة جديدة هي بمثابة الوريث الشرعي والمباشر للأنساق الفلسفية السابقة التي طالما غرقت في التجريد وتناست البحث في جوهر القضية الإنسانية وهو العنف. ويحوي منطق الفلسفة مع إريك فايل كل التوترات والتعبيرات العاطفية العفوية التي تحفل بها اللغة والتي يمكن أن تتجسد في حدود الخطاب بوصفه إعداد واعي ومنطقي للفكر، فكأننا بإريك فايل يتتبع مسار الفلسفة في تطوره الاستطراذي باعتباره خطابا متماسكا يروم تحصيل كل تلك الشروط القمينة بإنتاج انتقادات توجه سهامها للفلسفة من داخل الفلسفة بغاية تطويرها وتصحيح مسارها والدفع بها إلى الأمام لتأسيس ضمير يأخذ على محمل الجد مشروع سياسي للإنسان منغرس في التاريخ الوجودي الإنساني والفلسفي ومستمر لغاية حدود نهاية التاريخ.

ينبغي أن تهتم الفلسفة السياسية بالإنسان في علاقته بالحرية وهنا يكتسب كل توجه معناه انطلاقا من الخيار الأخلاقي الأولي والمتجلي في مكافحة العنف في العالم وبذلك تتحول الفلسفة نفسها إلى مشروع نضال يجمع النظرية بالممارسة وتتحول بذلك الأفكار الفلسفية إلى أفكار مناهضة للعنف و فاضحة له باعتباره ظاهرة جديدة بالتتابع الفلسفي وهنا تجدر الإشارة إلى أن إريك فايل يعرض لفكره السياسي الفلسفي باعتباره رحلة فينومينولوجية في الظواهر بداية من تأسيس الوعي وتطوره إلى غاية انتشاره في تاريخ الوجود الإنساني، فالوصول إلى الحقيقي إنما يتم بواسطة حركة الوعي وهو وصول بالضرورة يقود الفيلسوف الناقد إلى الواقعي الملموس لأن الحقيقي هو الأكثر واقعية و الطابع الفينومينولوجي يتجلى خاصة في التركيز على الوعي سواء بالانطلاق منه أو العودة إليه وهذا الوعي هو أساسا وعي بظاهرة العنف ووعي بوهم السلم. فمن حيث الإمكان، يتحقق الواقعي ضمن وعي يأخذ مسارا محددا مفتحا على كل الاحتمالات وفي هذا الصدد يؤكد فايل على أننا لسنا بصدد تطوير وجهة نظر تتفوق على الأخلاق أو خارجة عنها ولا تتجاوز المجتمع إلى الدولة بل على العكس من كل ذلك يقول فايل إننا حاولنا أن نأخذ حرفيا و بجدية ما يعلنه الضمير

الأخلاقي باعتباره ضمير المجتمع و ضمير الدولة في الآن نفسه بل ويمكن أن نتبع هذه الخطابات إلى حيث يمكنها أن تقودنا.

ينطلق فايل من الضمير الأخلاقي الذي يدفع بالإنسان إلى إثارة السؤال عن معنى الحياة وأهمية شرط الكرامة بالنسبة للبشر ليتحرك تدريجيا نحو موقف الرجل المثالي الواقعي الذي يريد أن يفهم جيدا بنيات الواقع لكي يتصرف بطريقة معقولة وسديدة.¹ ويبحث فايل من خلال هذه المقاربة المتعددة الأوجه والزوايا عن إنتاج فلسفة سياسية أكثر شمولية تتجه أكثر لتقدم لنا نفسها في صورة نسق متكامل يعبر عن مشروع فلسفي طموح يصور المجال الفلسفي كمسرحية يتواجه فيها اللاعبون والممثلون كل في نطاقه من أجل كسب دخول آمن لشبكة فلسفية يتم فيها الانتقال من البسيط إلى المعقد بكيفية جدلية و على المنوال الذي يرتئيه فايل ممكنا بحيث يصبح النص الفلسفي بمثابة أصوات تتعالى لتتجاوز فكرة اختصارها في تلخيص معين أو نتائج محددة وجاهزة.

وهذا تكمن أصالة فايل في نقله بصدق وبأمانة للمعنى السياسي الذي أراد هيجل أن يوصله فلسفيا وهذا يتحول هيجل إلى بعدين: بعد يرى بتفاؤل نهاية للتاريخ في تعميم مبادئ الثورة النابوليونية والذي يدرك الفئة الفلسفية تحت عنوان المطلق (تفسير: كوجيف Kojeve) ثم بعد ثاني يعتبر الفرق غير قابل للاختزال بين الواقع (Wirklichkeit) و الوجود التجريبي (Dasein). يمكن أن نؤشر على هذا الإخلاص المتفاني من إريك فايل للعقيدة الهيجلية من خلال إعادة فهم هيجل فهما مغايرا ربما أفضل مما كان ينشده هو نفسه بحيث تصبح الأصالة عنوانا للفهم الصادق لما رغب أن يقوله الأستاذ الأعظم هيجل وهنا يمكن أن يتكشف البناء الفلسفي الذي يطور جذريا تاريخ الفلسفة على غرار أصالة أرسطو لمعلمه أفلاطون ورغبته في أن يفهمه بل ويفهمه أحسن مما فهم هو نفسه وكيف فهم سبينوزا أن الأصالة تكمن في فهم أستاذه و ملهمه ديكرت ونفس الشيء يقال عن فيشت Fichte الذي كرر فلسفة كانط بشكل منهجي وأصيل بل أكثر إشراقا ، فأعمال الفلاسفة القدامى ملهمة للفهم ودافعة للإنتاج.

ثالثا: الشأن العام من منظور أخلاقي عالمي

نستشف من خلال تنظيرات فايل الفلسفية للدولة و للشأن العام أن الاهتمام بالأخلاق هو أيضا اهتمام بسيرورة العلاقات الدولية في حالي الحرب والسلام. وهنا نجد فايل وقد حاول إعادة

¹ Eric weil, *Philosophie politique* (Paris: Ed J Vrin, 1996), p.11.

النظر في وظائف الدولة و تفسير المجتمع الحديث ولكن هل تجرد اريك فايل فعلا من هيجل عند مستويات معينة من التفسير والتأويل؟ هل تم فهم هيجل بدون تحيز عقائدي معين؟ فإذا كانت السياسة تعد مشكلا فهي أيضا إشكالية بنظر فايل: "ندسى أن السياسة ككل يمكن أن تصبح مشكلة ويمكن حتى مشكلة للإنسان، دون أن يلعن نفسه بشكل مسبق، أن يتجاهل السياسة ويرفضها وأن بوذا أو أبيقور أو المسيح ليسوا شخصيات مهمة".¹

الحكم على المجال السياسي يتم بالرجوع إلى قيم إنسانية عالمية من قبيل الحرية والعدالة والسلام والكرامة وهنا يبدو أن فايل يقدم نسقا فلسفيا هو بمثابة استمرار للفلسفات السياسية التقليدية من أفلاطون إلى هيجل حيث التركيز على الجانب الأخلاقي يجد صده في كون أي تصور للواقع السياسي لا يكون إلا بالعلاقة مع الأخلاقي لتصير السياسة في النهاية مجرد تقنية تتوجه للاستيلاء على السلطة أو للحفاظ عليها أو حتى لعبة لامتية من الصراع على المصالح الحيوية للكائن. في مقالته: "ماكيافيلي اليوم" يرفض فايل النتيجة المتسعة والقاضية بإبعاد ماكيافيلي عن القيم والأخلاق حيث يقر أن ماكيافيلي يوجه نصائحه الواقعية إلى البطل مؤسس الدولة، فالدولة بمجرد نشأتها تترك المجال للقوانين والأخلاق لكي تسود؛ في حين تصور السياسة خالصة وأنها لا تحتل تدخل أية نزعة أخلاقية يمكن أن نصادفه بحسب فايل عند كارل شميت Carl Schmitt أو جوليان فروند Julien Freund ويعتبر فايل كل فكرة تجعل من ماكيافيلي لا أخلاقي في شروحه السياسية مسألة نسبية غير مستندة على حجة دامغة.

وهكذا فالخوض في السياسة الخالصة مع فايل يسمح بفهم القوى السياسية وطريقة اشتغالها: التوازن، النضال من أجل السلطة، الشرف، القوة، الخ. فالسياسة ستبقى موجودة حتى لو وضعت الأخلاق جانبا أو تم إلغاؤها، فهذا لا يمكنه أن يحجب كون العلاقة مع الأخلاق كانت وما تزال متوترة لأن السياسة ليست دائما أخلاقية غير أنها تحتاج إلى الأخلاق لكي تخاطبنا ولكي تظهر نقاوتها التي تخول لها أن تكسب ود الجماهير وهذه المسألة تطرح في عمقها كون السياسة غير مفهومة، غامضة وظالمة فالتفكير في العالم إنما يكون بواسطة العقل والعقل يرتبط بالضمير الأخلاقي غير أن التاريخ يفترض انهيار التقاليد واليقين الواعي لصالح نوايا الفرد وقراراته المحكومة بالرغبة والمصلحة والخوف من العنف القادم من خارج الذات. فالفرد وفق هذا التصور مقسما بين الخصوصية والتجريبية: المصالح الأنانية و القلق العالمي كمطلب أخلاقي يؤثر العلاقة مع القانون

¹ Ibid., p.9.

بحيث نكون أمام نوع من التحول من موقف مبدئي فردي إلى قانون طبيعي عالمي. بالنسبة لفايل يحتاج الفرد إلى قرار التفكير في الأفعال والنوايا من منظور العالمي أي ما هو صالح لجميع الناس ومن ثم كان للضمير الخلقى أهميته وجدواه لأنه يحيل على عناصر خارجية تحدد شروط ظهوره غير أنه في مستوى ثاني من التحليل يفترض مسبقا وجوده.

هناك قدر من المراهنة على عدم ثبات القانون الطبيعي أي التسليم بحدوث تغير مستمر في المحتوى وهذا القانون بنظر فايل يقول ما يبدو طبيعيا في وقت معين ويعبر عن الشعور بالعدالة في التاريخ، فبالنسبة لكانط يمكن أن نقيم العنف بالنظر إلى أصل الواجب على اعتبار أن هذا الواجب متجدر من قانون أخلاقي تحدده الإرادة الطيبة الحرة والتي تتحرك فينا بعيدة عن الدوافع الحسية وعن المصلحة إنها صوت الضمير وسلطته فينا فعندما نكون عنيفين فلأننا لم نستمع جيدا إلى ضميرنا أو بالأحرى إلى الجزء الطيب فينا ولأننا آثرنا الانسياق وراء صوت الغريزة والمصلحة فينا.

هناك علاقة لا تقل أهمية ينتبه إليها فايل وهي تلك التي تربط بين التعليم والسياسة فنجدده يستدعي نماذج فلسفية قديمة نسبيا يستحضر من خلالها مثلا جمهورية أفلاطون أو فلاسفة القرن الثامن عشر الذين فكروا في السياسة من نموذج تعليمي (روسو، ليسينغ، كانط)، وفي هذا الشأن يؤكد فايل أن الاهتمام بالتجريب بعد التأمل يصبح أمرا لامناص منه و بالتالي كان هناك ضرورة لنزول الفيلسوف إلى الكهف كانتقال إلى نوع من التحليل التجريبي للواقع من أجل تحويله إلى فكرة خيرة وفي مقابلها يوجد قطعا العنف الذي هو عنف الطبيعة وهو تقليديا كفاح ودفاع وقتال مستمر في صناعة و تشكيل العالم الحديث بشكل حيوي وفعال ولنا في هذا النموذج الاقتصادي الجديد الذي يسيء إلى الأرض بطريقة ثورية قائمة على العلم إشارات تدل على بروز قيم جديدة ترتبط بشكل قوي بالعقلانية والتعامل مع مصادر الطبيعة وهذا النموذج يميل إلى أن يكون عاما بحيث يبلغ مفعوله لجميع الدول تحت قواعد تقوم على التنافس واستخدام أفضل للمواد الخام، فالتصنيع المكثف هو ما يجنب الدول في نظر فايل الهبوط إلى فئة غير مستساغة من الشعوب المتخلفة المهيمن عليها ومن ثم كان هناك داع لتعاون اقتصادي حثيث بين الشعوب وفق تقاليد موضوعة ومبتكرة من طرف القوى الفاعلة في التاريخ وهي أفكار تعكس الوازع الأخلاقي في التنظير الفلسفي للسياسة والاقتصاد لدى اريك فايل خصوصا وأن قواعدهما متشابكة ويصعب الفصل فيما بينهما.

هكذا ومن أجل ضمان الإنتاج وحيوية التصنيع على الإنسان أن يميل للتعاون لا إلى الحروب ومع ذلك لا يستمر فايل دائما في تفاؤله ، فالمجتمع الحديث يعيش في تناقضات جوهرية، فمن جهة، هناك تنافس من أجل المساواة غير أنه تنافس محدود بالنظر إلى أن نشأة سلسلة الامتيازات فالمجتمعات الليبرالية اكتسبت تجدرا عبر التاريخ بسبب تراكم الثروة لتقوم فيها مؤسسة سياسية مهيمنة استفادت من القوة الاقتصادية لتعيد إنتاج نفسها في دورة تزكي الصراع والعنف بين الجماعات الاجتماعية يوازيه أيضا صراع طبقي من أجل السلطة، مرتبط بالمصالح ومرتهن في النهاية بقضية تقسيم الثروة.

يبدو من خلال جملة التحليلات التي يقدمها فايل خاصة ما تعلق منها بصراع الطبقات أن مواقفه الفلسفية هي قريبة نوعا ما من الماركسية غير أنه يرفض هذا الانتساب مطلقا كما لا يقبل هو نفسه الذوبان تماما في المفاهيم والعقيدة الماركسية لأنه لا يستسيغ طابعها الإيديولوجي البرغماتي. فلماذا يختار فايل أخذ مسافة من بعض المفاهيم الماركسية؟ ربما بسبب الميل المنهجي إلى اعتماد وتبني تحليلات أكثر وظيفية ومن ذلك إقراره بوجود وظيفة ايجابية للصراعات الاجتماعية لأنها ربما تسهم على المدى الطويل في تقدم منحي العدالة الاجتماعية وتدفع إلى تنمية نوع من الكفاءة في مردود العمل وتزكي الاختصاص باعتباره قيمة يجب أن تحكم توزيع الوظائف عوضا عن الثروة أو النفوذ.

إن أي مجتمع في نظر فايل ينسب هذه المبادئ محكوم عليه بالركود اقتصاديًا فالتوترات الاجتماعية كلغة سياسية عندما تكون صاحبة تميل إلى خفض قيمة العملة وتدمر آليات الاقتصاد لهذا نجد منظمي الصراعات الاجتماعية من أحزاب سياسية وهيئات نقابية تتوجه إلى العواطف من أجل إذكاء العنف الثوري. تنتعش الدعاية والالتمامات التي يشنها كل خصم ضد غريمه الايديولوجي باعتبارها كلمات سياسية يختارها المنظمون بهدف التعبئة كتعبير عن معركة زائفة تقوم على أساس البيع والشراء في مآل الأفراد وهذا المستوى من التناقض يكمن أيضا في الاهتمام بالفرد الذي يعيش في المجتمع الصناعي المتقدم وهنا يمكن الحديث عن شكوك توجه للاديولوجيات نفسها تطال مآلها (نهاية الايديولوجيات) وما مدى إساءتها التصرف في مصير الفرد الجاهل للدور المحدد له وما مدى مصداقية الجهة التي تحدد له هذا الدور.

يتمثل دور الفرد الوحيد بحسب فايل في أن يكون عاملاً ناجحاً وهذا النجاح هو ما يعطيه الاعتراف والمكافأة المادية، فإذا كانت الشركة تعمل في السباق نحو الإنتاج لوحدها فالفرد يشارك

بحكم احتياجاته الدائمة في سباق لأجل غير مسمى نحو الراحة والاستهلاك وهنا تكمن أسباب عدم رضى الفرد في المجتمع الحديث عن نفسه . ربما تكون هناك أسباب لا تتوقف عند إدانة شخصية أو رومانسية (العدمية) للمجتمع الحديث لأن احتجاج الفرد يبقى معقولا، غير أن الفردانية تبقى غير مطلقة وعليه أن يعود من جديد ليعترف بمزايا العقلانية الحديثة لأنها سمة المجتمع الحديث والذي يحمي رجاله من العنف الطبيعي التي يتهدد الجميع . ربما يتم اللجوء إلى العقاب بالحرمان من الماء أو الكهرباء أو الصرف الصحي أو الخدمة الطبية ومع ذلك فالمجتمع هو ضروري لتحقيق الفرد وضمان حريته وبهذا نصبح أمام نظرية فلسفية تجعل من المجتمع شرطا لتحقيق الفردانية بوصفها عملية تثقيفية تضع الفرد تحت معول الحساب القانوني وهنا يهاجم فايل الفلسفات التي تهتم بالفرد ويعتبرها خاطئة من حيث أن التغيير في المجتمع الحديث هو ثمن التجسيد¹.

رابعا: في الفرد وعنف الدولة وأخلاق الدولة

في خضم التنافر الظاهر في الأدوار والغايات بين المجتمع والفرد يمكن القول مع فايل أن المجتمع يقدم كل أشكال الترفيه للأفراد وهم يستمرون في التساؤل عن معنى حياتهم وما يظهر لهم من قيم أو أخلاق يجوز تشبيهها إلى حد كبير بما كان سائدا في نظرية السيد القديمة، فهناك أخلاق معيشية وأخلاق رسمية وكأننا أمام نوع من التمييز الهيجلي للأخلاق يظهر فيه العالم الحديث في هيئة منظمة سياسية، ضاغطة تجعل الأفراد فريسة للملل وللضجر بمقتضى مجموعة من الأدوار والتقاليد والسلوكيات التي لا تنسجم في الواقع مع المكان الطبيعي للفرد، فالتناقض هو بين قيم مجتمعية تاريخية من جهة وأخرى عقلانية مضادة للتاريخية، فعندما يقوم الفرد بإعداد تقييم ذاتي لتجربته الحياتية الأخلاقية يصل إلى قناعة مفادها أن العقلانية لا تستقيم مع التاريخ وأن هناك قدرا لا يستهان به من التوتر بينهما و المجتمع كهيئة سياسية هو من يقود التفكير في هذا التوتر وحله يصبح شأنا من شؤون الدولة فما يقصده فايل بالدولة؟

تحوز الدولة من خلال التعريف الذي يعطيه لها فايل معنى موسعا وهو امتداد للتعريف الهيجلي الذي يعتبرها منظمة واعية تعمل على توحيد وتنميط البنى الاجتماعية ومن خلالها يمكن للناس رغم تنوعهم واختلافهم أن يصلوا للوعي الذاتي والتمكن من صنع التاريخ الذي هو في النهاية تاريخهم الوجودي وهكذا يصبح للدولة انطلاقا من هذا التعريف غاية محددة وهدف متعال على

¹ Ibid., p.80.

الأفراد الذين يكونونها ويتجلى هذا الهدف أساسا في حماية الملكية والمصلحة المشتركة فهي تعكس قرارا عقلانيا مقبولا من طرف الجميع مكتسبا لقدر من المعقولية.

قد تعجز الدولة عن اتخاذ قرارات معينة أو حتى تتخذ قرارات سيئة وهذا راجع لواقعها العالمي ، فهي عندما تقوم بالتدخل في المصالح الشخصية للفرد فإنها حتما تقوم بممارسة نوع من التعسف على حرية الفرد بما تفرضه من قوانين وقرارات تراها هي ضرورية لحفظ المجتمع وضمان الحضارة في حين يحس الفرد بأن أسلوبها ضاغط، لأن الدولة يمكن أن تظهر نفسها في الواقع التاريخي كأداة للعنف وأداة للقمع¹. ولعل أكثر ما يهم في تعريف فايل للدولة، هو أن الدولة تتحول إلى منظمة واعية وفعالة لمكافحة العنف البشري: وهو نوعان عنف داخلي لأولئك الذين يهددون الناس في ممتلكاتهم وعنف خارجي ويأتي من غارات الشعوب المهددة لاستقلال المجتمعات ووحدة أراضيها، فبالنسبة للنوع الأول من العنف يمكن القول أن الأفراد يمكنهم العمل على الحفاظ على أنفسهم بأنفسهم من خلال ما يتخذونه من سلوكات وما ينتهجو من ردود أفعال وأما النوع الثاني من العنف فيبقى في نظر فايل أصعب لأنه واقع من الطبيعة الخارجية.

الدولة الحديثة هي التي يسود فيها مجتمع حديث يعرف تطورا اجتماعيا وتنمية اقتصادية وهناك علامتين مميزتين لحدثة الدولة في نظر فايل وهما: سيادة القانون وجودة الإدارة فالاقتصاد الحديث هو الاقتصاد الذي لا يقصي أحدا بل يشارك فيه الجميع بدون تمييز ويكون الاختيار بين الأفراد قائما على معيار وحيد شفاف بحيث تكون الاختيارات للوظائف والمناصب بدون دهاء ولا عنف ويتم إلغاء جميع الاختلافات القانونية وهذه الإجراءات تقوي فعالية الدولة وتدعم الثقة في التجارة والاقتصاد وهي على كل حال إجراءات قانونية موضوعية يمكن التنبؤ بها وهي تسمح بتأسيس مجتمع تسود فيه الأخلاق العقلانية بحيث تصبح الحرية والمساواة أمام الفصول القانونية عملية سلسلة لا تواجهها أية صعوبة وعلاوة على ذلك فهمام الدولة الحديثة تتزايد مع تعقيد المجتمع الذي يتحول لمقاولة كبيرة تحتاج فيها الدولة إلى إنشاء نظام إداري منسق ومتنوع يسمح بتنسيق مختلف الأنشطة الاجتماعية.

¹ Lucien Bescond , *Eric Weil et le choix de l'Etat constitutionnel: Sept Etudes sur Eric Weil*, réunies par G. Kirscher et J. Quillien (Université de Lille 3, Coll. Travaux et Recherches, Diffusion P.U.Lille, 1982), pp. 57-74

هناك اقتناع راسخ من فايل بأن الإدارة هي أهم اختراع جعل البشرية تنشئ نظام المدن.¹ ولكي تعمل الإدارة في جو مناسب للإنتاج على الموظفين أن يحسوا بأنهم في منأى عن العواطف والمخاطر السياسية لأن الطاعة هي التي تكرر مبدأ الشرعية وتحفظ للحكومة هيبتها بحيث تقوم بمهامها بفعالية قانونية والعكس في نظر فايل قد يسقط الدولة في الركود الاقتصادي ويجعل من الدولة تخالف القيم الإدارية التي تحتفظ بالأولوية على باقي القيم الأخرى.

يتوقف فايل عند مستوى آخر للحياة السياسية يتجسد في السلوك المعقول للمجتمع، فالحكومة ترفع المواطنين لدرجة العقل وهذا من صميم أدوارها بحيث يصير أي مواطن يفكر من خلال وجهة نظر الحكومة وفي انسجام معها. غير أنه عندما تختار الدولة العقلانية المجردة بدل العقلانية الملموسة فإنها قد تسقط في العنف والنهاية المسدودة لأن التخطيط الذي تتبعه يكون متطرفا وعنيفا بحيث تلجأ إلى إغلاق الكنائس كما ظهر تاريخيا في سياسة بعض الدول الشيوعية، فمثل هذه العقلانية قد لا يقبلها المواطنون لأنها تقوم على الكثير من العنف المسلط على قناعاتهم وقد تقود إلى الجمود والرفض من بعض الفئات الاجتماعية وبذلك يصبح الشلل العام مظهرا يهدد النظام ككل وبذلك يصير العنف عنف الإنسان الذي لا يقبل خطاب إنسان آخر والذي يثبت ذاته بالتشبث بخطابه ليقصي واقعا كل الخطابات الأخرى.²

خامسا: البعد التعليمي لتوجيه العنف المستتر

تعمل الدولة على تدبير البعد التعليمي كإحدى أهم أدوارها في توجيه العنف المستتر وهي تهتم بهذا البعد بالنظر لارتباطه بالتصنيع من حيث توفيره للكفاءات الضرورية لهضة الصناعة الجديدة وبذلك تعيد صنع المجتمع وفق نظام يقوم على توجيه الفرد والاستثمار الآني فيه، فالفاشية والنازية والأنظمة ذات النزعات القومية تصرفت في التعليم بذكاء وحولته لسياسة حربية وهكذا انتبه فايل مبكرا لما يمر به المجتمع الحديث المصنع من تحول هائل، فالجماهير تتدخل بفضل التقنية في الساحة السياسية وتراقب تصرفات السياسيين الذين يعتمدون أكثر على رد فعل الجماهير، فالرؤساء سواء أكانوا محافظين أو ثوريين يعتمدون على التعبئة الجماهيرية وهي المسألة التي يبدو أن فايل يركز عليها من حيث إنتاجه لفلسفة سياسية تحفر وتفحص بنظرة المتشكك في سياسة القائد وتبع بلا كلل مختلف أساليبه وطرقه وخياراته الجذرية ويثير انتباهنا

¹ Weil, Op.Cit., p.219.

² اريك فايل، الخطاب والعنف، ترجمة: حمادي أنوار (مؤسسة مؤمنون بلا حدود، 13 نوفمبر 2019)، ص. 07.

هنا إلى مسألة حساسة تتجلى في اختيارات القائد والتي يكتب لها في الغالب أن تتباين وفقا للظرفية، بين الاعتماد على الأساطير والخرافات أو العمل على تثقيف المواطنين على العقل من خلال الحياد الفسيولوجي للدولة والحكام.

تنتشر فكرة المواطنة وتمتد إلى جميع الأفراد رجالا ونساء في الديمقراطيات الحديثة اعتمادا على مبدأ الاقتراع وهذا مرده إلى كون الجميع يشارك في عمل سياسي عقلائي نتيجة حصولهم على قدر جيد من التعليم و بذلك تستثمر الديمقراطيات الحديثة أكثر في الإدارة وتضع العقلانية كأساس قوي تستند عليه مختلف إمكانيات صنع القرار. فمن حيث التوجه العقلائي يحدد فايل الفرق بين ديمقراطية قديمة وديمقراطية حديثة تعتمد دستورا سياسيا متخصصا ويذهب إلى حد مماثلة الأمر بأرستقراطية مفتوحة على التمثيل البرلماني حيث يلعب الحزب باعتباره نخبة سياسية دور المدافع عن المواطنين أمام الحكومة في إطار صراع تكتيكي تكون فيه الحكومة ملزمة بمراعاة موافقة المحكومين باعتبارهم المنشئين لمفهوم الأمة ولعل ما يفتخر به فايل في هذا النظام الديمقراطي الحديث هو أن الحكومة تعتبر كل شخص مواطنا نشطا. فمن حيث الارتباط يمكن القول أن القوة الحاكمة لا يمكنها الاستغناء عن المؤسسات كالبرلمان، فمن خلال هذه المؤسسات يمكنها أن تفتخر بنظامها الديمقراطي والذي بموجبه تصير الحكومة ليست هي المتفوقة بل هي فقط نخبة ذات نضج سياسي معين تدير مخططا ينسجم مع ظروف تاريخية معينة.

وفق هذا التصور، يؤكد فايل على أن الحكومة مدعوة إلى التفكير في أهمية السلم واختيار قرارات تجنبها الصراعات الراديكالية التي تهدد وحدة المجتمع وهي ملزمة كذلك بأن تبحث دوما عن حلول وسط كي تتفادى الفشل الذي عانتها جمهورية فايمار الألمانية. فما هي إذن المشكلة الكبرى التي تعانيها الدولة الحديثة؟ يفترض فايل أن الفرد يولد عنيفا ويحتاج إلى قدر من التعليم حتى يتم إخضاعه للقوانين والأعراف التي تضعها بلاده لأن في حرية الإنسان المطلقة نهاية للتاريخ وبهذا نكون أمام نموذج دولة لبرالية عليها أن ترعى التماسك و مجتمع محكوم بالولاء إليها دولة تخلق أنظمتها التعليمية الكفيلة بضمان استمرارها وتجنبها الثورة.

سادسا: الحرب والعنف في معادلة السلم العالمي

لعل المميز في أطروحة فايل حول العنف ونتائجه على تطور الدولة الحديثة هو هذا الإلحاح على صحوة الضمير البشري بتوازن مع متطلبات الاقتصاد الحديث فالأمور التي توحد وتحد من العنف الحربي تبدو سهلة وفي متناول الجميع و يكفي تحكيم قدر بسيط من العقلانية والعودة إلى

العمل الخلاق وتطوير الاقتصاد وهي أمور تجنب الجميع الاحتكام إلى منطق العنف و الدخول في حالة الحرب التي تدمر الثروة. فمن منظور اقتصادي صرف، العولمة تقدم نفسها كنظام يحتاج إلى أن يقترن بمبدأ أخلاقي حتى يتم الحفاظ على مسافة معقولة بين العنف و السلام العالمي لأن إنقاذ الإنسان من العنف إنما يكون بالاقتصاد وهو مطلب معقول مادام القتل يعيد طرح السؤال العظيم من هو فعلا الإنسان؟

ربما لم تتم الإجابة عن هذا السؤال بالقدر الكافي لأن العنف لم يختفي من المجتمعات كما أن الإجراءات القانونية لم تحل معضلة العنف والحرب لأن المتطرفين يقودون بنشوة الحكومات المستبدة التي كانت تجد دوما ذرائع للبدء في الغزو والعنف والحرب و سلوك الإبادة البشرية من أجل حماية مصالحها الحيوية.¹ ويرجح فايل فائدة الاحتكام لمنطق المصلحة و الرغبة المشتركة في تنمية الاقتصاد لأن التعاون الاقتصادي يعد ضروريا للجميع و بإقامة سلام عالمي و بناء جسور جديدة من التعايش يمكننا نسيان عنف الماضي وهي مسألة تجنبنا أيضا التفكير أو استغلال أية فرصة للانتقام و إحياء هولوكست جديد.

لا يمكننا إغفال هذه النزعة الواقعية التي تحيط بجوانب من فلسفة إيريك فايل السياسية ، إنها تقترب من أن تؤسس لنمط تحليلي براغماتي يحمل هم إعادة ترتيب البيت الإنساني على أولويات أكثر انسجاما مع استمرار النوع البشري، فالمميز في أطروحته هو اعتباره أن العنف بالنظر لفضاعته وانعكاساته المباشرة القوية يدفع حتى للأمم القوية صناعا واقتصاديا إلى تدقيق حساباتها في الجدوى من الدخول في الحرب فكلما كانت الأمم أكثر حداثة كلما تأثرت مصالحها من جراء خطر الصراعات أي أن هناك وعي مسبق بتكلفة بشرية ومادية رهيبة يجب مراعاتها قبل أخذ قرار الحرب ويجب أيضا تدبير فترة ما بعد الحرب ومخاطر النصر وإدارة الوضع بالنسبة للشعوب المهزومة و كلها في نظر فايل مهام صعبة ليس من السهل حسن تقدير عواقبها ومآلها. فمن حيث التأثير، تكون لأدوار المؤسسات الدولية العالمية المحافظة على الأمن والسلم العالميين وطريقة أدائها نتائج حاسمة على الأمم الصغرى لأنها ستتحول إلى تابع في معادلة القوة والصراع. كأننا هنا باريك فايل يتحدث عن الحرب والعنف بمنطق أخلاقي أي بما سيقوم به الفائز في الحرب أو ما يمكنه تجنبه ضرورة وهذا تكون معادلة فايل هي أن الحرب ليست مستحيلة لكنها أيضا أقل احتمالا.²

¹ Weil, Op.Cit., p.228.

² Weil, Op.Cit., p.230.

المتتبع لفلسفة إريك فايل السياسية يمكنه أن يلتقط نوعاً من الاهتمام بالسياسة الخارجية لما بعد الحرب هو اهتمام من قبل إريك فايل يجد صداه في الانعكاسات العميقة للحرب وحالة الهيمنة التي تعكسها نتائجها على المدى القصير والمتوسط من حيث أنها هيمنة مشروطة بالتنسيق الاقتصادي والاجتماعي والقانوني والذي يخضع أيضاً لجودة السياسة الخارجية ومدى تعاملها مع ملفات حقوق الإنسان ، فالدولة الحقيقية تخضع لمنطق التقنية العالمية والعقلانية وبذلك يمكن تفادي العنف بالتنظير السياسي لمجتمع عالمي يقوم على التفاهم وعلى توحيد أخلاق ملموسة وأكثر واقعية.¹ هناك عمل سياسي في انتظار الجميع، عمل يستند على قدر من المعقولة في هذا الصدد يؤكد جيلبير كيرشر Gilbert kircher أن فايل تطرق بإسهاب إلى مسألة السلام العالمي وما وصل إليه تاريخ البشرية من طريق مسدود انتهى بالمجازر والعنف والتقتيل ولعله الأمر الذي أوجد سبباً وجيهاً لخلق منظمة تعكس وعي الجميع بأهمية السلام والتقدم في الاقتصاد.²

سابعاً: الفلسفة السياسية تنظير محكم لفلسفة القانون والعنف

تستعيد الفلسفة السياسية لإريك فايل كل ما تم توديعه أو تضييعه من طرف الفلاسفة، كما توسع من عمل الفلاسفة وتخضع السياسيين للمفاهيم الفلسفية الممتدة من جمهورية أفلاطون إلى هيجل باعتبارنا ورثة المشاكل الكبرى والمفاهيم الأساسية التي تركها فلاسفة العصور القديمة فمثلاً مشكلة تثقيف المواطنين من خلال الحوار والنقاش والتفاهم ومن خلال مفاهيم الصداقة والفضيلة والحكمة هي نفسها إشكاليات المجتمعات الليبرالية الحديثة التي تسعى إلى توحيد السكان حول قيم مشتركة ومن أجل فائدة معقولة، لكن الابتكارات الحاسمة تفصلنا عن المشاكل القديمة: مبدأ الذات الحرة اللانهائية المستمدة من التقليد التوراتي ، ومبدأ عالمية الحاجة إلى العمل لدى الدولة.

في كتابه هيجل والدولة يفسر فايل إدراك الحرية في الدولة الحديثة بما يتماشى والتناقضات الحاصلة في المجتمع المدني كتلك الحاصلة في شروط العمل، أيضاً من خلال الثغرات والنواقص التي تعيشها الحكومات، فالمصالحة لا تتحقق بين الأمم لأن حالة الطبيعة تجعل من العنف مستمراً والدولة الوطنية ذات السيادة غير قادرة على حل إشكالية العنف. بالمحصلة تتحول الفلسفة السياسية لدى إريك فايل لتنظير محكم لفلسفة القانون والعنف ولقراءة نقدية لنصوص

¹ Weil, Op.Cit., p.240.

² Gilbert kirscher, « Figures de la violence et de la modernité. Essais sur la philosophie d'Éric Weil », *Revue Philosophique de Louvain*, n.88 (1992), pp. 590-592.

هيجل باعتبارها الركائز الأساسية لفلسفة تطبيق القانون وإنفاذه كما أنها فهم نوعي لطبيعة السلوك الإنساني الذي يميل لخرق هذا القانون.¹ فالعنف في علاقته بالحرية هو نتاج خيار، نوع من الاختيار العشوائي فحتى عندما تفرض علينا قيود بضرورة عدم الجنوح للعنف فهذا من الناحية الأخلاقية مناقض للحرية في أن نختار بأنفسنا ما نفعله من السلوكات وما لا نفعله ومن هذا المنظور بالذات فالعنف غير ضروري لأنه في أساسه مناقض للحرية غير أن نفس الحرية بإمكانها في نظر فايل أن تختار بين العنف وعدم العنف بين السلام أو الحرب بين عنف نسبي وآخر مطلق وفي هذا السياق يكتب جون ماري ميلر² Jean Marie Miller في المجلة الفرنسية بدائل مقالا تحت عنوان "مبادئ وتطبيقات السلوك غير العنيف، بدائل غير عنيفة". ما يميز عمل إريك ويل الفلسفي هو أنه يعتمد بالكامل على التفكير في العنف واللاعنف.³

يجب أن ندرك العنف في ثنايا السياق التاريخي الذي تبلور فيه كسلوك ملموس تم الترويج له من طرف الأنظمة الفاشية والنازية نزولا عند طموحات اقتصادية وتوسعية وحيث تم تبرير انتهاك جميع أشكال الخصوصية لصالح العالمية هناك حسابات سياسية معينة يتم شرحها وتفسيرها بأساطير سياسية يقبلها العصر لأنها أحيانا تتوجه إلى العاطفة والعلاقات السببية التي تكون أحيانا ماكرا وهي ما يعطينا ذلك الشيء الذي نسميه التاريخ والذي هو انتهاك للحرية الفردية لصالح القانون والعالمي.⁴

خاتمة

الفلسفة السياسية لفايل هي بمثابة نزعة معيارية للوجود الإنساني العقلاني، فمشروعه الفلسفي يتخذ منحى نقدي وإصلاحي عام من حيث أنه يرسم الخطوط العريضة لمستقبل بشري

¹ Eric weil, *Hegel et l'Etat : cinq conférences suivies de Marx et la philosophie du droit* (Paris : Librairie philosophique J Vri ,3eme Ed,1970), p.17.

² جون ماري ميلر هو فيلسوف فرنسي من مواليد 21 أكتوبر 1939 بفيسول فرنسا، ملتزم فلسفيا بالدفاع عن قضايا السلم واللاعنف في العالم ومن المهتمين بدراسة الفلسفة السلمية للزعيم الهندي امهاتما غاندي قام بتدريس الفلسفة لغاية سنة 1970 تم بعد ذلك تفرغ لقضايا السلم والعنف بالعالم حيث شغل مديرا لمركز الأبحاث حول الحلول غير العنيفة للصراعات IRNC سنة 1985 التابع لجامعة ليون الفرنسية وهو مركز يدعم ويمول ثقافة السلم في العالم.

³ تجدر الإشارة إلى أن مجلة بدائل الفرنسية قد تأسست في سنة 1973 وكان موضوعها الرئيسي اللاعنفي وهي تنشر وتدعم كل الأبحاث والأعمال الأكاديمية التي تصدر عن فلاسفة وباحثين في التاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع والسياسة والاقتصاد والأدب والصحافة وغيرها والتي يكون لها ارتباط بقضية السلم بفرنسا وبالعالم. كما تخلق المجلة حركة مقاومة للعنف من منظور تعددي وتعارض كل السياسات العنيفة من خلال دعمها لجميع حركات العصيان المدني والاحتجاج السلمي في العالم..

⁴ Jean-Marie Muller, *Fiche d'analyse, Dossier : Principes et pratiques de l'action non violente, Alternatives Non-violentes fonds associatif pour une culture de la non-violence au XXIème siècle* (Paris: Rouen, juin 2008).

آمن خال من العنف يتأسس على قيم إنسانية متجذرة في التاريخ والفلسفة والسياسة وهو ما تجسد واقعيا في أهم كتبه الفلسفية التي عنيت بميدان الشأن العام ونظرت للسياسة في علاقتها بالحرية والعنف والدولة في إطار من الضوابط القانونية التي تخضع لاحتمية الإنتاج الصناعي والتقني المميز لهيمنة الأنظمة الليبرالية و يمكن اعتبار الفلسفة السياسية بمثابة تطبيق عملي للفلسفة في ميدان السياسة وهي المهمة التي أراد فايل أن يجعلها أخلاقية وإنسانية بامتياز حيث وبالعودة للفكر السياسي لهذا الفيلسوف نعود بشكل أكثر عمقا للإنسان الذي هو حرية وفكر.

لكي تنجح الفلسفة السياسية عليها أن تبحث وتطرح السؤال بإلحاح حول منطق الأفعال التي يفترض فيها التوفيق بين الخصوصية الفردية وانسجام الخطاب وعلمها أيضا أن تهتم بعقلانية المؤسسات وبطبيعة اشتغالها وآليات استمرارها وبهذا المعنى يكون الشأن العام في نظرها بمثابة تمثيلية تتواجه فيها الآراء المختلفة حول القرارات التي ينبغي لها أن تتخذ بطريقة جماعية. تعانق فلسفة فايل الواقع مبتعدة عن التجريد فالعنف والإدارة والدولة والإنسان والقانون والصدقة ومنظمات المجتمع المدني كلها أفكار بنفس عملي وقدر من الفاعلية وكأنها تدعم نفسها بنفسها وهنا يمكن أن نخلص إلى أنه رغم أهمية المفاهيم فهي لم تكن لتأسر أو تترك سحرها في فايل (بحسب ليسيان بيسكوند¹ Lician Bescond لأنه كفيل سوف لم يكن مفتتنا بألعاب الكلمات البسيطة والتي تزيد من حيرة القارئ وتسقطه في هاوية سحيقة من تشويه المعنى. لهذا ركز فايل على تأسيس خطاب يكون قادرا على فهم الواقع واستيعابه والواقع هنا يعني بالضرورة الواقع الذي يقدم نفسه مباشرة كمرآة عاكسة والذي يوافق تاريخه الوجودي الشخصي، تاريخ تميز بسطوة واستبداد أنظمة شمولية جعلت من العنف قاعدة لأفعالها وخطاباتها.

في سياق تاريخي تعكسه ظروف الحرب، لم يكن فايل لينجر إلى شكلية المعرفة وما يرتبط بها كالإبيستمولوجيا أو المنطق بل كان عليه أن يواجه الواقع الإنساني من منطلق عرقي وديني أي كيهودي ازداد في ميكلومبورغ Mecklembourg، وفي سن مبكرة لم تتجاوز الحادية عشر اندلعت الحرب العالمية الأولى 1914-1918 والتي انتهت بما انتهت إليه وبما تؤول إليه عادة الحروب من دمار وموت وكل تلك المظاهر العاكسة للإحباط الإنساني والتي فضحت العنف في الإنسان ذلك الكائن العقلاني بامتياز، هي أيضا ظروف كانت سخية معرفيا على أريك فايل الفتى الذي حصل على شرف

¹ لوسيان بيسكوند : أحد المؤسسين الفعليين لمركز أبحاث أريك فايل، والذي تأسس من قبل مجموعة من الطلاب السابقين لفايل سنة 1981، ممن تابعوا ندوة فايل حول منطق موسوعة هيجل ما بين سنة 1963 - 1968.

أن يدرس من طرف ارنست كاسيرير Ernest Cassirer¹ أحد المدافعين الشرسين عن الكانطية الجديدة فلسفة فايل السياسية صنعتها كل تلك الظروف الصعبة من القتل والإبادة ونفي الإنسان للإنسان².

تتحول الفلسفة السياسية لنزعة معيارية للوجود الإنساني العقلاني و بالعودة إلى دراسات بسكوند السبع حول اريك فايل يمكن أن تلمس وظيفيا كيف راهن وبشراصة غير معهودة على أهمية الدولة الدستورية في المجتمعات الإنسانية الحديثة باعتبارها هيئة تقوم على مبدأ الدفاع عن الحريات، غير أن الفيلسوف القابع في فايل يبقى دائما متشككا قلقا ومسكونا بشيء من سقراط، شيء يدفع به إلى الاعتراف بيقين عدم المعرفة و بحتمية التورط في مهمة لا تتوقف من التحقق من كل التأكيدات.

هكذا يدور كل شيء مع فايل في شبكة من العلاقات حيث النظام بأكمله يتكرر في الواقع ويتكيف معه في إطار نهج عالي تتحول معه الفلسفة إلى سهم يخترق التاريخ والدولة وقدرة الإنسان على التكيف، وهكذا نسير مع هذا التصور في ما يشبه الاقتناع بأن ما هو مثالي هو غير واقعي والمثال الذي يعزز به موقفه فايل هو قوله بعدم وجود وردة مثالية، وردة متناظرة مع ما ينبغي أن تكونه الوردة الحقيقية وبذلك تكون الفلسفة هي العين التي ترى العيب في الطبيعة وفي الواقع ويبقى أن نذكر بأن نموذج فايل للدولة هو قابل للإسقاط على كل دولة باعتبارها تنظيم تاريخي واجتماعي ذو طابع مؤسسي.

تقترب الدولة مع فايل من أن تصبح جهازا يخدم المصالح التقليدية للطبقات المهيمنة وبشكل أساسي انعكاس حتمي للتوتر السائد بين المجموعة والمجتمع، فالنقد الماركسي يرى في الدولة أداة تخدم المصالح السائدة في المجتمع في حين فايل لا يعتبرها أداة ولا عضوا بل تنظيما للمجتمع وهذه النقطة مهمة لنا لأنها سوف تحدد لنا المسؤول عن العنف والكيفية المثلى لحلحلة المشاكل المرتبطة بنزعات الشر في الإنسان حيث المراهنة على الوعي ودور المؤسسات بوصفها الجهة التي يفترض فيها إيجاد حلول ومعالجة عقلانية للقضايا العالقة وعلى رأسها العنف. فمن منظور تاريخي، الدولة لا تكون مشكلة إلا بالنسبة لنفسها والمشاكل الكبرى تم حلها بالثورة أو ما يسميه فايل بالتنظيم

¹ إرنست كاسيرير أستاذ اريك فايل وهو فيلسوف ألماني سويدي ، من مواليد 28 يوليو 1874 في بفركلو Wroclaw بولندا وتوفي في نيويورك 13 أبريل 1945 يمثل تيار المحافظين الجدد (كانط) سبق له أن درس في جامعة هيمبولت بألمانيا واهتم خاصة بالاييستيمولوجيا والأخلاق والسياسة واللغة وعلم الجمال ومن بين أفكاره البارزة مفهوم الرموز له مؤلفات من بينها 'فلسفة النماذج الرمزية'.

² Eric Weill, *philosophie et réalité : Derniers essais et conférences* (Paris: Edition Beauchesne ,1982), p.5.

الثوري هي بمثابة الجنين لدولة جديدة، كما أن تهديد الثورة يدفع بالدولة قسرا إلى تصحيح نفسها وتدارك أخطائها بتلطيف جانب من العنف المستخدم من قبلها اتجاه المخالفين لقوانينها. هناك حتمية سياسية مزدوجة فمن جهة هناك ضرورة للحفاظ على وحدة الأمة واستقلال الإقليم ومن جهة أخرى واجب التشبث بأخلاق عالمية وتاريخية مما يضمن قدرا من المحافظة السياسية ضمن الكون. فاعتماد نظام دستوري للدولة يسمح بالالتحام والتجانس بين الجميع كآلية يصبح فيه المجتمع والمجموعة خاضعان لهيمنة البعد الأخلاقي ولتحقيق ذلك يتدخل القانون ليضمن المساواة للجميع وهي مساواة مدنية تقوم على مبدأ سيادة القانون وعليه لا يمكن الفصل بين اتجاهين رئيسيين للنشاط الحكومي والإدارة البيروقراطية فالهيئة الصانعة للقرار السياسي عليه أن تعتمد التفكير العقلاني المنطقي والذي لا يمكن فصله تماما عن احترام المبادئ الأخلاقية.

لقد كانت الفلسفة السياسية بالنسبة لاريك فايل بمثابة غواصة تحميه من غطرسه عالم مستبد وعنيف يتجه بواسطة التقنية وخلق المزيد من أساليب العنف والقتل والتعذيب بواسطة التصنيع إلى مصادرة الحرية الإنسانية. يبقى المميز في الفلسفة السياسية هو أنها عندما تنطلق لاكتشاف عالم حافل بقيم أنانية غير منسجمة مع قوانينها ودساتيرها وأحلامها بالديمقراطية تتحول إلى عين تكشف عيب الغرائزي فينا، عيب ميولاتنا الأدمية. تعكس نصوص فايل الفلسفية درجة من الصعوبة في القراءة غير أنها تنم عن كل تلك الأصوات المختلفة المتوارية في النص الفلسفي ذاته والتي تهمس في دواخله وهوامشه وفي ثناياه حيث يتم في كل مناسبة استدعاء نصوص أخرى داخل نفس النص والذي يغذو نابضا بالحياة عاكسا لتعديديتها و مع ذلك يمكن التأكيد على أن القراءة المجدية ينبغي أن تتقدم بكل شجاعة من النص وأن لا تكثرث أو يرهقها التكرار أو الاستدراكات والتي يكون توظيفها أحيانا ضروريا وحاسما من أجل الوقوف على تمفصلات ونقالات وأطوار وتقطيعات يحفل بها التفكير النقدي الفلسفي في السياسة.

انبعث النسق الفلسفي لفايل من ثنايا قرار صريح يعطي للتساؤل عن المعنى بواسطة العقل درجة الأولوية القصوى غير أن هذه الأفضلية تغلف بقدر من التشاؤم يتدفق من تصورات يعكسها اعتراف صريح من الفيلسوف بأن مقابلة الإنسان لم تكتمل بعد أو حتى لم يكتب لها النجاح رغم أنه اختار العقل كموقف ينم عن نوع من الصعوبة في التوجيه، ذلك أن المعنى الحقيقي للعنف بقي متوترا ومشكوكا فيه فوق العادة ليراهن فايل في مرات عديدة وضمن فقرات متعددة من مؤلفاته على أهمية اتخاذ الفرد لقرار يدخله باب العالمية باعتبارها اعتراف صريح بقيمة الكوني

والقانوني والأخلاقي، وهي المعاني القمينة بتوجيه الكائن كيفما كان نحو عالم إنساني أقل استخداما للقوة أو التهديد.¹ لا تستوي إذن المقاربة الفلسفية السياسية للعنف إلا بالرجوع للانعكاس الواقعي للفعل السياسي نفسه والذي يجسده الضمير الأخلاقي لدى رجل السياسة المتقلب باستمرار والمتلون بحسب الوقائع التاريخية والظروف المحيطة بها.

المراجع

باللغة العربية

اريك فايل، الخطاب و العنف، ترجمة: حمادي أنوار (مؤسسة مؤمنون بلا حدود ، 13نوفمبر 2019).

باللغة الأجنبية

Eric weil, *Philosophie politique* (Paris: Ed J Vrin, 1996).

Eric weil, *Hegel et l'Etat : cinq conférences suivies de Marx et la philosophie du droit* (Paris : Librairie philosophique J Vri ,3eme Ed,1970).

Eric Weill, *philosophie et réalité : Derniers essais et conférences* (Paris: Edition Beauchesne ,1982).

Lucien Bescond , *Eric Weil et le choix de l'Etat constitutionnel: Sept Etudes sur Eric Weil*, réunies par G. Kirscher et J. Quillien (Université de Lille 3, Coll. Travaux et Recherches, Diffusion P.U.Lille, 1982).

Gilbert Kircher, « Figures de la violence et de la modernité. Essais sur la philosophie d'Éric Weil », *Revue Philosophique de Louvain*, n.88 (1992).

Gilbert Kircher, *figures de la violence et de la modernité essais sur la philosophie d'Eric Weil* (Lille : Presses universitaires de Lille ,1992).

Jean-Marie Muller, *Fiche d'analyse, Dossier : Principes et pratiques de l'action non violente, Alternatives Non-violentes fonds associatif pour une culture de la non-violence au XXIème siècle* (Paris: Rouen, juin 2008).

¹ Gilbert Kircher, *figures de la violence et de la modernité essais sur la philosophie d'Eric Weil* (Lille : Presses universitaires de Lille ,1992), pp.590-592.

الإرهاب السياسي: دراسة تحليلية اجتماعية لتاريخ الممارسة في العصر الحديث
Political Terrorism : A socio-analytical study of the history of practice in the modern ear

د. محمد ذنون زينو الصائغ¹ Dr. Muhammad Thanoun Zainou Al-Sayegh

قسم علم الاجتماع، كلية الآداب (جامعة الموصل، العراق)
Department of Sociology, College of Arts (University of Mosul, Iraq)

ملخص: إذا كانت ظاهرة الإرهاب السياسي، قد ظهرت إبان الثورة الفرنسية في التاريخ الحديث، فإن العنف قديم قدم المجتمعات البشرية، فالعنف يولد مع ولادة الإنسان، وهو السمة المميزة لحياة المجتمعات. كما أن ارتباط الإرهاب السياسي بالعنف له تاريخ موغل في القدم، اتضح من خلال استخدامه كأداة لتحقيق الأهداف السياسية، وهذا ما أكدته العديد من الدراسات التي اهتمت بما يحدث اليوم وحاولت ربطه بالماضي، لتأصيل هذه الظاهرة وفهمها، ولتبيان أن ما يحدث اليوم هو غير منقطع الصلة عن العنف والإرهاب في الماضي. فجرائم الإرهاب السياسي قديما انحصرت في الأعمال العنيفة التي تمنع وصول السلطة إلى شخص بعينه، أو القيام بأعمال تثير المجتمع على الحاكم لإسقاطه سياسيا، ولنزع الشرعية منه. فضلا عن التصفيات الجسدية، سواء على صعيد الملوك فيما بينهم أو التآمر على الملك من أمرائه وأركان حاشيته، وهو ما أخبرتنا به كتب التاريخ. إلا أنه في التاريخ الحديث أمسى أشد عنفا وأكثر انتشارا وخطرا إذ شاع استخدامه من قبل الأنظمة والحكومات وهو ما عرف بإرهاب الأقوياء، فضلا عن الفاقدين للسلطة والمعارضين لها من الأفراد والجماعات والتنظيمات وهو ما عرف بإرهاب الضعفاء.

كلمات مفتاحية: الإرهاب، الإرهاب السياسي، العنف، الجماعات، العصر الحديث

Abstract: If the phenomenon of terrorism in general, and political terrorism in particular, appeared during the French Revolution in modern history, it is recognized that violence is as old as human societies, on which some theorists relied and said that violence is born with the birth of man, and that violence is the distinguishing feature of the life of societies. Also, the association of political terrorism with violence has a deep-rooted history, which became clear through its use as a tool to achieve a number One of the political goals, and

this was confirmed and reached by many studies that focused on what is happening today and tried to link it to the past, to root and understand this phenomenon, and to show that what is happening today is unrelated to violence and terrorism in the past. The crimes of political terrorism in the past were limited to some violent acts that were intended to prevent the access of power to a particular person, or to carry out actions that provoke society against the ruler to bring him down politically, and to delegitimize him. As well as physical liquidations, whether at the level of kings among themselves, or conspiracy against the king by his princes and the pillars of his entourage, which is what the ancient and medieval history books have told us. However, in modern history it has become more violent, more widespread and dangerous. As it was widely used and resorted to its methods by many regimes and governments, which is known as the terrorism of the powerful. As well as those who have lost power and those opposed to it from individuals, groups and organizations, which is known as the terrorism of the weak.

Keywords: Terrorism, political terrorism, violence, groups, the modern era

مقدمة

ترافقت ظاهرة العنف لإرهاب الآخر مع غريزة الإنسان بحب السيطرة وفرض النفوذ والتسلط، بوساطة زجر الأفراد وتخويفهم بغية الحصول على المكاسب المتنوعة، هذا السلوك العنفي تعارض مع جميع القيم الإنسانية والسموية إلا أن هذه الظاهرة لازمت حياة البشر منذ بدء الخليقة، ثم تطورت لاحقاً لتكون ظاهرة بديلة للحرب التقليدية أو مترافقة معها ومساندة لها، استطاعت أن تستغل التقدم العلمي والتكنولوجي وثورة الاتصالات والإعلام، فأصبحت ظاهرة الإرهاب قوة فعالة في خضم الصراع البشري، تطورت في الشكل والمضمون والأسلوب مع تطور الحياة الاجتماعية الإنسانية حيث أضحت ظاهرة الإرهاب بمختلف أشكاله لاسيما السياسي من المشاكل الخطيرة التي تهدد العديد من المجتمعات والدول من خلال ما تتسبب به وما تتركه من آثار سلبية على مختلف المستويات والأصعدة، لاسيما الأمن والسلم والاستقرار لهذه المجتمعات والدول، حيث تُستهدف حياة الأبرياء وتستهدف أموالهم ومصالحهم ونشاطاتهم الاجتماعية والاقتصادية والدينية وتسلب حقوقهم، من خلال الأعمال الإرهابية الإجرامية التي تسبب الفزع والخوف. واتسعت دائرة العنف للإرهاب السياسي وتعددت تعريفاته واختلقت المبررات والحجج والدوافع، واختلطت في العديد من الأحيان مع مختلف الجرائم بما يتسم به من عنف ووحشية وقهر للإرادة الإنسانية ومغالاة في إراقة الدماء البشرية، وإشاعة الخوف بأعلى درجاته. واستخدم الإرهاب السياسي كواحد من الأساليب المتبعة من قبل عدد من الدول والمنظمات والحكومات والأديان والأشخاص لإخضاع الخصوم وإرغامهم على الانصياع، وللحصول على المكاسب المادية والمعنوية الفئوية والشخصية.

لقد نشطت مشكلة الإرهاب السياسي في حقبة معينة من تاريخ الإنسانية بعد تغيرات وتطورات محددة، وخَفَت حدتها وأثارها مع زوال هذه المتغيرات لتعود مرة أخرى للظهور بشكل أو بآخر كنتيجة للتطورات الحاصلة في ظروف وأشكال الصراع في التاريخ الحديث والمعاصر. فبعد انتهاء الحرب الباردة التي تمت أثناءها ومورس الإرهاب السياسي في عدد من أحداثها، وفي ظل أحادية القوة والنظام العالمي الجديد، تطور الإرهاب السياسي تنظيمياً وأسلوباً وتسليحاً وتغيرت أهدافه ووسائل الوصول إلى تلك الأهداف. وصار يمارس ضمن منظمات مؤسسية وكيانات منظمة من حيث القيادة والتنظيم والتدريب، وله وسائله في التخطيط والحصول على المعلومات، فضلاً عن استخدامه لأحدث التقنيات للوصول إلى الأهداف وتنفيذ العمليات، للحصول على الامتيازات والمكاسب وتوفير التمويل اللازم لإدامة زخم النشاطات الإرهابية وكفاءتها. وعلى الرغم من قدم مشكلة الإرهاب بكل أشكاله ومنها السياسي، وقدم الاهتمام العالمي بهذه الظاهرة، التي أضحت من أكثر المفردات اللغوية شيوعاً وتداولاً، إلا أنه لا يوجد تعريف موحد متفق عليه لهذا الفعل الإجرامي العنيف، حتى على مستوى المنظمات الأممية، كالأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي اللذان عجزا عن وضع تعريف محدد جامع ومانع لأي تأويلات لهذه الظاهرة المشكلة، وسنحاول في هذه الدراسة تعريفه وتحديد المدة الزمنية والحادثة التاريخية التي أدت إلى استخدامه وظهوره بشكل واضح ورسمي في التاريخ الحديث لاسيما في الحضارة الغربية، إلا وهي الثورة الفرنسية (1789 – 1799)، وما تبعها من أحداث تاريخية أخرى تم فيها استخدام الإرهاب السياسي، وصولاً إلى عصر العولمة.

أولاً: في تعريف الإرهاب والإرهاب السياسي

يعد تحديد المفاهيم والمصطلحات العلمية أمراً ضرورياً في أي دراسة علمية حيث يتوجب على الباحث عند صياغته لمشكلة أو ظاهرة الدراسة أن يحدد المفاهيم التي يستخدمها. وكلما اتسم هذا التحديد بالدقة والموضوعية، سهل على القراء المختصين وغير المختصين الذين يقرؤون الدراسة إدراك المعاني والأفكار التي يريد الباحث التعبير عنها وتوضيحها دون أن يختلفوا في فهم ما يكتب. وإذا كان تحديد المفاهيم وتعريفها أمراً لازماً في البحوث العلمية الصرفة على وجه العموم، فإن البحوث في التخصصات الإنسانية لاسيما الاجتماعية ينبغي فيها كذلك تحديد وتعريف هذه المفاهيم العلمية وشرحها بإيجاز قدر الإمكان¹، والتي سيتناولها الباحث في دراسته حيث تعد هذه

¹ عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، ط 9. (القاهرة: مطبعة دار التضامن، 1985)، ص 175.

المفاهيم والمصطلحات بمثابة المرتكزات الأساسية للدراسة والتي من خلالها يتمكن الباحث من تحديد ورسم صورة واضحة عن موضوع الدراسة.¹

1. الإرهاب

ورد في قاموس لسان العرب أن مصدر كلمة «إرهاب» هو أَرَهَبَ وَرَهَبَ من مصدر رَهَباً وَرَهَبَةً، ومعناه ما أُرهب أي خاف وفزع.² وفي القاموس المحيط: رَهَبُ رَهَبَةً وَرَهَباً، بالضم وبالفتح وبالتحريك، خاف. وأرهبه واسترهبه، أخافه، وترهبه توعدده . والمرهوب الأسد.³ وفي قاموس أكسفورد الموسوعي ورد في معنى كلمة إرهاب (terror)، بأنه الخوف الشديد ن أو الشخص أو الشيء الذي يسبب الرعب أو هو الرعب العظيم ذاته أو استخدام سلوكيات منظمة لإرهاب الآخرين.⁴ أما قاموس ويبستر وفي معنى كلمة (terrorism) فقد جاء بأنه الاستخدام الفعلي للعنف أو التهديد به من أجل التخويف ولخلق حالة من الذعر لاسيما عند استخدامه كوسيلة لمحاولة التأثير على السلوك السياسي.⁵ وكلمة إرهاب تقابلها في اللغة الفرنسية كلمة (terrorisme)، التي تعني مجموعة من أعمال العنف الغرض منها تحقيق أهداف سياسية، وكذلك كل مذهب أو توجه يؤمن باستخدام القوة والرعب للوصول إلى هدف معين، وهي مشتقة من كلمة (terrorur) اللاتينية الأصل التي تعني يرتعد ويرتجف.⁶ ونفس الكلمة (terrorisme) وردت في قاموس الأكاديمية الفرنسية ومعناها رعباً أو خوفاً شديداً، وهي إثارة اضطراب نفسي عنيف لدى الآخرين نتيجة الخوف من خطر محقق أو نوع من أنواع الشر الحاضرة بالفعل.⁷

وفي معجم العلوم الاجتماعية نجد أن كلمة "إرهاب" تعني بث الرعب الذي يثير العقل والجسم . وهو الطريقة التي تحاول بها جماعة منظمة أو حزب فرض أهدافها بوساطة استعمال العنف.⁸ وبحسب تعريف "موسوعة الإرهاب": فأن الإرهاب هو عملية توليف بين الحرب والعرض

¹ إحسان محمد الحسن، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، ط.1 (بيروت: مطبعة دار الطليعة، 1982)، ص 21 .

² ابن منظور أبو الفضل بن مكرم الأفيقي، لسان العرب، إعداد: يوسف خياط / الجزء 2 (بيروت: دار المعارف، ب ت)، ص 437 .

³ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، الجزء 1 (بيروت: دار الكتب العلمية، ب ت)، ص 118 .

⁴ julia swannell and others / oxford modern dictionary / oxford university press / new york / u s a / 1992 / p – 1130 .

⁵ - susan ells wild / Webster s new world law dictionary / wiley & Hoboken N J / Canada / 2006 / p – 255 .

⁶ - larousse dictionnaire de française / première édition / paris / 2005 / p – 420 .

⁷ - Dictionnaire de L'académie Française / Dédié au ray paris / Chez jean baptiste coi nard / tome 2 / première édition / paris / 1694 / p-554 >

⁸ فريدريك معتوق، معجم العلوم الاجتماعية (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1، 1975)، ص 27 .

الدرامي المسرحي باستخدام نوع من العنف المحظور الذي يرتكب تجاه ضحايا أبرياء. الهدف منه خلق نوع من الخوف بين أوسع جمهور من المشاهدين لتحقيق أهداف سياسية.¹

2. الإرهاب السياسي

في قواميس اللغة العربية وفي سياق تعريف الإرهاب والإرهابي والحكم الإرهابي ، يمكننا اشتقاق تعريف الإرهاب السياسي حيث ورد في معجم الرائد العصري بأن "الإرهاب" هو حالة من الرعب تُحدثه أعمال عنف كالقتل وإلقاء المتفجرات أو التخريب، تقوم بها جماعات أو أفراد لأهداف سياسية أو أيديولوجية. "والحكم الإرهابي" هو نوع من الحكم الاستبدادي يقوم على سياسة حكم الشعب بالعنف والشدة، بغية القضاء على النزعات والحركات التحررية والاستقلالية.² وعُرف الإرهابي في قاموس المنجد، بأنه الشخص الذي يلجأ إلى الإرهاب لإقامة سلطته. "والحكم الإرهابي" هو نوع من الحكم يقوم على الإرهاب والعنف تعتمد إليه بعض الحكومات أو بعض الجماعات الثورية.³ وفي معجم الصحاح ورد تعريف الإرهابيون بأنه وصف يطلق على اللذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية.⁴

وفي سياق تعريف قاموس أكسفورد للإرهاب، فقد عرفه بأنه سياسة أو أسلوب إفزاز المناوئين أو المعارضين لحكومة ما . وكلمة إرهابي في نفس القاموس تشير بوجه عام إلى أي شخص يحاول أن يدعم أرائه الإيديولوجية ويفرضها بوسائل الإكراه أو التهديد أو الترويع.⁵ وعرف قاموس لروس الفرنسي الإرهاب السياسي بأنه مجموعة أعمال العنف التي تقوم بها مجموعة ثورية أو أسلوب عنيف تستخدمه الحكومة القائمة، وعرف الإرهابي بأنه الشخص الذي يمارس العنف لأهداف سياسية.⁶ وفي القاموس السياسي فإن الإرهاب السياسي هو محاولة نشر الذعر والفرع لأغراض سياسية. وهو وسيلة تستخدمها حكومة استبدادية لإرغام الشعب على الخضوع والاستسلام لإغراض سياسية أو دولة تفرض سيادتها على شعب من الشعوب لإشاعة روح الانهزامية والخضوع لمطالبها التعسفية . أو تستخدمه جماعة لترويع المدنيين بهدف تحقيق أطماعها

¹ - cindy c .combs and martin slann / encyclopedia of terrorism / revised edition / facts on file . INC /new york /2007 /p-456 .

² مسعود جبران، الرائد: معجم لغوي عصري، ط1. (بيروت: دار العلم للملايين، 1967)، ص 28 .

³ المنجد في اللغة والإعلام، ط 29 (بيروت: دارالمشرق، 2008)، ص 41.

⁴ نديم أسامة مرعشلي، الصحاح في اللغة والعلوم، ط1 (بيروت: دارالحضارة العربية، 1975)، ص 15.

⁵ -William little / the shorter oxford English dictionary / oxford university press / London / 1967 / p p -2155-2156 .

⁶ - larousse dictionary de Francis / ibid / p – 422 .

وفرض الأقلية حكمها على الأكثرية¹. وفي معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية عُرف الإرهاب السياسي بأنه الأفعال العنيفة التي تثير الرعب والخوف وتنتشره، وتقوم به جماعة منظمة أو حزب لتحقيق أهدافها، وتوجه هذه الأعمال العنيفة ضد الأشخاص سواء أكانوا أفراداً مدنيين أو ممثلين للسلطة ممن يعارضون أهداف هذه الجماعة². وعرفه معهد السلام التابع لوزارة الخارجية الأمريكية بأنه استخدام للعنف أو التهديد به لإثارة الخوف لدى الحكومات والمجتمعات لتحقيق هدف ديني عقائدي أو هدف سياسي³.

ثانياً: الثورة الفرنسية (1789-1799)

يتفق معظم الباحثين في ظاهرة الإرهاب السياسي أن نهاية القرن الثامن عشر الميلادي قد شكلت المرجعية التاريخية الأهم والحقيقية، للوصول إلى التفاصيل المتعلقة بفهم ظاهرة الإرهاب السياسي المعاصر، لاسيما وأن هذه الفترة من التاريخ شهدت ولادة جديدة لمفهوم الإرهاب، لم تكن معروفة بدقة ووضوح قبل ذلك التاريخ وبصيغتها اللفظية هذه، ويعود سبب ذلك إلى حدوث الثورة الفرنسية 1789م، إذ استخدم هذا اللفظ للإشارة إلى النظام الحكومي والسلطة الجديدة التي تسيدت في فرنسا. ففي تلك الفترة حصلت تطورات واضحة في علاقة الثورة الفرنسية بمفردة الإرهاب السياسي، فلم تقتصر على الحدود اللغوية والنفسية لوصف "الرعبة Terror" باعتبارها حالة نفسية أو انفعالا يسببه شر أو خطر. وإنما تعدت هذه العلاقة إلى ممارسة الرعبة وتطبيقها عملياً، فالقائمون بالثورة الفرنسية استغلوا خصائص الرعبة النفسية، ورفعوا من شأنها إلى مستوى أنها الوسيلة الأمثل للحكم والمحافظة على السلطة⁴. فاليقابة في فرنسا كانوا يعتنقون بعض المبادئ الديمقراطية ويمقتون الملكية المطلقة والطغيان والارستقراطية، أخذين على عاتقهم محاربة النظام الطبقي الذي كان سائداً قبل قيام الثورة، لذا حملت الثورة بدعوتهم المليئة بإيديولوجية وأفكار ثورية. تحولت فيما بعد إلى أعمال إرهابية وممارسات إجرامية، سرعان ما حظيت بتأييد ومقبولية قادة الثورة الفرنسية من اليعقوبيين، فأدى ذلك إلى اقتران لفظة الإرهاب لاسيما السياسي بحقبة الثوريين اليعاقبة، الذين حكموا فرنسا مع بدايات الثورة، كأمثال روبسبير وسان جوست، ورفاقهما في اللجنة الشهيرة المعروفة بـ(لجنة السلامة العامة) التابعة لمحكمة

¹ عطية الله، القاموس السياسي، ط 3 (القاهرة: دار النهضة الحكومية، 1968)، ص 45.

² أحمد زكي البدوي، معجم المصطلحات الاجتماعية، ط 1 (بيروت: مكتبة لبنان، ب.ت)، ص 93.

³ - www.usip.org//US Institute of peace// international terrorism // 2019.

⁴ - خالد عبيدات، الإرهاب يسيطر على العالم (الأردن: المطابع العسكرية، 2004)، ص 30-31.

الرغبة، وقد عرفت فترة حكمهم باسم "عهد الإرهاب" أو "حكم الإرهاب"، وذلك لكثرة ما ارتكب من جرائم وأحداث دراماتيكية دامية، أصبح من خلالها الإرهاب مستخدماً بشكل رسمي وأساسي من قبل نظام الحكم¹. لقد ابتدأ اثنان من زعماء الثورة الفرنسية من اليعاقبة المتطرفين من جماعة الأمن العام لمدينة باريس، هما روبسبير وسان جوست، عهداً من الرعب يقال أن ضحاياه قد جاوز 40 ألف إنسان، عندما أعلن مجلس قيادة الثورة الفرنسية بعد أن انتهى من إعدام الملك لويس السادس عشر بالمقصلة أن (الرعب هو قانون اليوم)، حتى يستطيع الخلاص من جميع المشبوهين من أعداء الجمهورية. هذا الإعلان جعل أصحاب التيجان من ملوك أوروبا يعلنون الحرب على الثورة التي رأوا أنها تهدد أنظمتهم الملكية إلا قطاعية².

وعلى الرغم من أن الفترة المعروفة بـ(حكم الإرهاب) أو (عهد الإرهاب) تتحدد تاريخياً في 10 أوت 1792، إلا أن ممارسة الإرهاب بصورة قانونية ومؤسسية وبشكل واضح وعلني لم يحصل إلا ابتداء من يوم 10 مارس 1793 ويفسر ذلك من خلال حدثين: (1) المرسوم الذي سمح بموجبه بمداهمة منازل كل المتهمين بمعاداة الثورة وذلك من أجل نزع سلاحهم، وصدر هذا المرسوم في 28 أوت 1792 أي قبل وقوع الأحداث الدموية المعروفة بمجازر سبتمبر. وأسفر ذلك عن اعتقال ثلاثة آلاف شخص اتهموا بالعمل ضد الثورة وزج بهم في السجون. (2) مجازر 12 سبتمبر 1792، وقبل هذا التاريخ بشهر اكتظت السجون بالمتهمين وضائق معسكرات الاعتقال بالسجناء والمعتقلين في مختلف ضواحي باريس، وكانت الثورة الفرنسية في تلك المدة تتعرض لهجمات من الأنظمة الملكية المحيطة بها لاسيما بروسيا والنمسا وبريطانيا التي خشيت أن يؤثر نظام الثورة الفرنسية على أمنها الداخلي وسلطتها³. ففي ظهيرة 2 سبتمبر 1792 أطلقت مفردة الإرهاب واكتسبت هذه الظاهرة بعدها ومعناها السياسي، وذلك بعد أن داهمت مجموعات من المثلثين القادمين من مختلف نواحي فرنسا وكانوا من مختلف طبقات وأطراف الشعب الفرنسي، سجون باريس وضواحيها وقاموا بالقضاء على جميع المعتقلين فيها⁴. وذلك بعد أن أعلنت الأنظمة الملكية خارج فرنسا الحرب على الثورة وقيام الشعب الفرنسي من الثوريين بالخروج لقتالهم وصدّهم، وأثناء انشغال الثوار برد

¹ أدونيس العكرة، الإرهاب السياسي: بحث في أصول الظاهرة وأبعادها الإنسانية، ط1 (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1983)، ص 30-31.

² إريك موريس، ألان هو، الإرهاب التهديد والرد عليه، ترجمة: احمد حمدي محمود (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991)، ص 25-26.

³ محمد مؤنس محب الدين، الإرهاب في القانون الجنائي على المستويين الوطني والدولي (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1987)، ص 23.

⁴ خالد عبيدات، مرجع سابق، ص 20.

الهجمات الخارجية أمر رجال الثورة بتصفية السجناء عملاً بنصيحة "مارات" أحد القادة السياسيين، خوفاً من تعاملهم مع الأعداء الخارجيين¹. وبهذا الحدث بدأت ظاهرة الإرهاب السياسي في فرنسا، حيث اتخذ الطابع الرسمي المؤسسي. وفي 5 سبتمبر 1793 عقد المؤتمر الوطني جلساته في باريس وكأن هو الحدث الثاني الذي أضفى على الإرهاب الطابع الرسمي والمؤسسي، إذ قدم وفد من عدد من رؤساء المقاطعات الفرنسية وعدد من أعضاء الجمعية العامة لحركة اليقظة لحضور جلسة المؤتمر المنعقد، وفيها ذكر أحد أعضاء الوفد في خطبته التي ألقاها في المؤتمر بأنه (حان الوقت للمساواة كي تعمل منجلها فوق الرؤوس، لقد حان وقت ترهيب المتآمرين، أيها المشرعون ضعوا الإرهاب على جدول أعمالكم وليحوم سيف القانون فوق جميع المجرمين)².

مما سبق من هذان الحدثان يتضح أن المدلول الفعلي الواقعي للفظه الرهبة المستخدم في فترة حكم اليقويين إبان الثورة الفرنسية قد مر بمرحلتين: (1) كانت ردة فعل فورية قام بها الثوار الشعبين ضد أعداء الثورة تحت غطاء تبريري من السلطة القائمة، بغية تحقيق أهداف سياسية من بينها نشر المبادئ وترسيخ الأسس التي جاءت بها الثورة وأنصارها. (2) أصبحت فيها الرهبة تشير إلى نظام الحكم القائم آنذاك، والذي حظي بدعم المؤسسات الرسمية وأجهزتها السياسية والأمنية والعسكرية، وانتهت هذه المرحلة بسقوط روبسبير في السابع والعشرين من تموز عام 1794، ونفذ فيه حكم الإعدام في اليوم التالي، وشكل هذا الحدث نقطة مركزية أخرى تضاف لتاريخ بدايات الإرهاب السياسي وعوامل تشكله، ومدلولاته الاجتماعية والسياسية واللغوية، فقد استفاد خصوم الثورة من الواقع غير المقبول سياسياً واجتماعياً لممارسات حكومة روبسبير ورفاقه الإرهابية، وبالتالي اتهموه بجريمة ممارسة الإرهاب وحكموا عليه بالموت ونفذوا فيه الحكم في ساحة الثورة وذلك باعتباره إرهابياً³.

لقد اعتقد روبسبير بأن التعصب الديني هو شركايل لوقوفه في وجه مبادئ العقل والحرية فاستبدله بتعصب ثوري قاد من خلاله الألوف إلى ساحات الإعدام، حتى وصل الأمر إليه فقطعت رأسه بالمقصلة، وكانت خطبته المشهورة أمام الجمعية التشريعية (إما أن نسحق الأعداء الداخليين والخارجيين للجمهورية، وإما أن نهلك بهلاكهم، ومن ثم يجب أن يكون شعار سياستكم هو: بالعقل

¹ محمد محب مؤنس محب الدين، مرجع سابق، ص 23.

² هيثم موسى حسن، "التفرقة بين الإرهاب الدولي ومقاومة الاحتلال في العلاقات الدولية" (أطروحة دكتوراه منشورة، جامعة عين شمس، كلية الحقوق - مصر 1998)، ص 41.

³ عبد الوهاب حومد، **الإجرام السياسي**، ط 1 (بيروت: دار المعارف، 1963)، ص 321.

تقاد الشعوب وبالإرهاب يقاد أعداء الشعوب). وقد حولها إلى منهاج عمله السياسي والأمني فهو الأب الروحي وأول من ابتدأ إرهاب الدولة الدامي¹. وعرفت فرنسا فيما بعد ما يسمى بالإرهاب الأبيض الذي قام به بعض الأمراء وحكام المقاطعات ومر هذا الإرهاب بمرحلتين: (1) في العام 1795، عندما لاحقت مجموعات مناصرة للملكية اليعقوبيين وقتلت عددا منهم ردا على إرهابهم المسمى ب(الأحمر). وأطلق عليه وصف الإرهاب الأبيض لأن لون العلم الذي رفعه الأمراء والحكام آنذاك كان أبيضاً. والمرحلة الثانية في أواخر عام 1815 عندما اتخذ كردة فعل ملكية على حكم "المائة يوم" وتعرف أحيانا باسم أيام نابليون المائة، وهي المدة الزمنية التي انحصرت بين عودة الإمبراطور الفرنسي نابليون الأول من منفاه في ألبا إلى باريس يوم العشرين من مارس عام 1815م لمدة (111 يوم)، وشهدت هذه المدة حرب التحالف السابع ومعركة واترلو والحرب النابوليونية، ونفذت الحكومة الملكية عقوبات قاسية وصفت بالإرهابية بحق أشخاص اتهموا بمساعدة نابليون كالمارشال الذي اعدم في ديسمبر من العام 1815².

نلاحظ مما سبق بأن الإرهاب كانت بداياته سياسية ومن السلطة والأشخاص المتنفيذين المسيطرين على مقاليد الحكم، وهو تسمية حديثة لظاهرة قديمة اتضحت ملامحها وتكونت شخصيتها مع بدايات الثورة الفرنسية، وهو ما يعني بالتحصيل أن الإرهاب والدولة الديمقراطية كأنا متلازمان منذ البداية، فقد بدأ الإرهاب السياسي أول ما بدأ قبل سلطة الدولة أثناء حقبة روبسبير ودانتون، وكأن عبارة عن عنف مفرط القسوة تمارسه السلطة ضد أعدائها في الداخل، أو من تعتقد أنهم يشكلون خطراً عليها. وهو ما عرف باسم إرهاب الأقوياء فيما بعد.

ثالثاً: الفوضوية والعدمية

بعد أن توضحت وتبلورت ظاهرة الإرهاب وتبين أثرها السياسي، من خلال استخدامه كأداة للقمع والسيطرة في يد الأنظمة السلطوية السياسية وأصحاب النفوذ في الدولة مع بدايات القرن التاسع عشر، شهدت هذه الظاهرة العنيفة تحولاً تاريخياً على مستوى الممارسة والاستخدام والنوعية، وذلك بانتقالها من ممارسة مستخدمة ومحتكرة من قبل السلطات الحاكمة، إلى أعمال شائعة غدت تمارس من قبل بعض الأفراد والجماعات والمنظمات لأهداف سياسية، فقد بدأ عدد من الحركات والتنظيمات في أوروبا استخدامه لبلوغ أهدافها. وكانت الفوضوية والعدمية ابرز تلك

¹ ثامر إبراهيم الجهماني، مفهوم الإرهاب في القانون الدولي: دراسة قانونية ناقدة، ط1 (الإسكندرية: دار المعارف، 2001)، ص55.

² المرجع نفسه، ص20.

الحركات فقد كانت مصدر معظم العمليات الإرهابية ذات الطابع السياسي، في العديد من الدول الأوروبية حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي. وكأن لظهورهما بالغ الأثر في تطور مفهوم وظاهرة الإرهاب سياسيا واجتماعيا. وتمهيدا لظهور الإرهاب المنظم سياسيا¹.

1. الفوضوية

تستقي هذه الإيديولوجية مصدرها الفكري من الاشتراكية التي كانت سائدة في القرن التاسع عشر الميلادي، وتوجد أشكال عديدة للفوضوية قد تبدو متعارضة في بعض الأحيان إلا أن الأبرز في هذه الحركات تياران، الأول يقوده (ماكس سترنر 1806-1856) وسمي بالفوضوية الفردية. والثاني يقوده المفكر الفرنسي (بيير برودون 1816 - 1876)، وسمي بالفوضوية المجتمعية، وعلى الرغم من الاختلاف الظاهر لهدن التياران، إلا أنهما يجتمعان في رفض كل أشكال السلطة سواء أكانت سلطة الأشخاص أو المؤسسات، فكل تنظيم يحد من حرية الفرد، وكل سلطة ينبغي إلغاؤها ومحاربتها، مما يضعهم أمام مواجهة مباشرة مع الدولة وسلطتها مفهومًا وواقعًا، لأنها تمثل الحكم والسيطرة والسلطة، فماكس سترنر أعلن عن مبدئه بالقول (أنا والدولة أعداء)². في مقابل هذا العداء للسلطة بأشكالها كانت الفوضوية تجد أن النظام والعدل ضروريان ولكنهما يجب أن يرتكزان على "عقد حر". وهذا العقد من وجهة نظر الفوضوية يختلف تمام الاختلاف عن "العقد الاجتماعي" الذي صاغه المفكر جان جاك روسو (1712-1778). واستخدمت الفوضوية الإرهاب كنظام يقوم على الرعب لتدمير كل سلطة حاكمة، ومن أجل إحداث الفوضى العارمة والتفكك الكامل للمجتمع، والذي يؤدي إلى قيام نظام اجتماعي جديد يقوم على الحرية والتضامن، وهو ما أكده باكويني (1814-1876م) الذي كان يقود العنف الفوضوي وكان من أهم دعاته حيث يقول (أن دور الفوضوية هو أن تهدم وتبني في أن واحد)³.

2. العدمية

تطلق العدمية على الفوضويين الروس، وهي إحدى الحركات الفكرية المستمدة من الاشتراكية الثورية، وتدعو العدمية إلى تحرر ذاتي يقوم به الفرد تجاه الأعراف والتقاليد، فالعدي ليس ذلك الإنسان الذي يتمرد على الأعراف السائدة التي تحد من حريته، بل هو إنسان مخلص في

¹ إمام حسنين توفيق، الإرهاب وحروب التحرير الوطنية، ط1 (القاهرة: دار مصر المحروسة، 2003)، ص ص 27-28.

² محمد مؤنس محب الدين، مرجع سابق، ص 32.

³ عبد الله محمد خوالدة، علم نفس الإرهاب، ط1 (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2005)، ص 72.

جميع علاقاته الاجتماعية بشرط أن لا يكون هناك امتياز لطبقة على أخرى وهو مستعد للتضحية بنفسه في سبيل مبادئه. وتبنى الاشتراكيون الروس هذه المبادئ من الناحية النظرية وترجموه عمليا في أعمال إرهابية مروعة تعدت أعمال الفوضويين الأوروبيين. وكأن من خصائص الحركة العدمية ما دعت إليه في بيانها المسمى "بالشعبية" الصادر في عام 1865، والذي حث أنصار العدمية إلى بث الدعاية بين الفلاحين وحثهم على الثورة ضد الملاك والنبلاء والسلطة بوجه عام. وفي عام 1893م انعقد مؤتمر للعدميين الثوريين في مدينة ساراتوف الروسية بمبادرة ودعوى من كوتشاروفسكي، وفي هذا المؤتمر أقر اعتماد الإرهاب السياسي كمنهج عمل ثوري⁽¹⁾. ويرجع أصل الحركة العدمية في مبادئها الفكرية إلى الحركة الفوضوية، وإلى التيارات الاشتراكية الثورية، وهي تعني في مبادئها الأساس إلى التحرر الذاتي للفرد تجاه كل ما يحيط به ويحد من حريته باستخدام القوة، سواء كان الأعراف والتقاليد الموروثة أو النظام السياسي الحاكم، وقد وجدت هذه الأفكار لدى بعض المفكرين من أمثال الروسي "الكسندر سيرنوفينج" الذي كتب قائلا (أن القوة لا يمكن أن تستسلم إلا للقوة)، وهو يعني بقوله بأن عنف السلطة القائمة بالحكم يجب أن يجابه بعنف مضاد من الشعب من أجل الحصول على الحرية⁽²⁾.

وتلتقي العدمية مع الفوضوية في نفس الأصول والأسس الفكرية السياسية، التي بنيت على مجابهة سلطة الدولة ومؤسساتها، وتميز أنصارها تان الحركتان باستخدام الإرهاب السياسي لاسيما الاغتيال لتحقيق أهدافهم، ولا يفرق العديد من الباحثين في تاريخ الحركات السياسية والإرهابية بين هاتين الحركتين، فتحليل الفوضوية والحديث عنها يصب تلقائيا في الحديث عن العدمية، والعكس صحيح³. ومن بين المنظمات الفوضوية العدمية نجد منظمة (إرادة الشعب- نارود نايفوليا 1879)، والتي عُدت من أنشط الحركات العدمية الفوضوية في روسيا، قد حددت أهدافها الإرهابية في إستراتيجيتها ومبادئها التي تقوم على تصفية رجال الحكم الأكثر تأثيرا وضررا، وعلى دفاع الحركة ضد الجاسوسية ومعاقبة الأعمال العنيفة التي يقوم بها الحاكم والسلطة الحاكمة بنفس الكيفية. وأن هدف الإرهاب الصادر من قبل الحركة هو للتقليل والخط من مكانة القوة الحكومية، وإعطاء البرهان الثابت على إمكانية النضال ضد السلطة، ومن ثم إثارة الروح الثورية

¹ محمد مؤنس محب الدين، مرجع سابق، ص 42.

² هيثم عبد السلام محمد، مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلامية، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 2005)، ص 72.

³ نهاد عبد الإله عبد الحميد خنفر، "التمييز بين الإرهاب والمقاومة واثار ذلك على المقاومة الفلسطينية بين عامي 2001-2004" (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس- فلسطين، 2005)، ص 11.

في الشعب، وتقوية إيمانه بانتصار قضيته، فهدف الإرهاب أخيراً تشكيل كوادراً قادرة ومدرّبة على النضال¹.

إن ظهور التيارات والحركات المنظمة للعمل ضد مصالح الدولة ومؤسساتها وأشخاصها في معظم المبادئ، اقترن بظهور حركتا الفوضوية والعدمية اللتان مهدتا وأسستا لظهور الإرهاب السياسي الصاعد من أسفل الهرم المجتمعي نحو قمته⁽²⁾. فقد أنتقل مركز استخدام الإرهاب السياسي من يد السلطة الحاكمة والدولة، إلى أيدي الأفراد والمحكومين بوساطة هاتان الحركتان اللتان تبادلتا التأثير المشترك على معنى واستخدام الإرهاب السياسي وتشاركتا بلورة الموقف الموحد منه. فإذا كانت الإيديولوجية اليعقوبية قد استخدمت الإرهاب السياسي ومارسته في نظامها السلطوي مع بدايات حدوث الثورة الفرنسية، تجاه من اعتبرتهم متآمرين وخونة للثورة. فأن الفوضوية والعدمية مارست واستخدمت الإرهاب السياسي من قبل المحكومين أو الشعب ضد طبقة معينة في المجتمع هي الطبقة البرجوازية، وضد الحكام ومؤسسات السلطة الكبرى، أي من الأسفل للأعلى بوساطة استخدام أساليب عنيفة من شأنها إحداث ضرر وعرب عام يقوض أسس كل بنية اجتماعي وسياسي وقائم³.

ويكون ذلك إما بوساطة الدعاية بالقول كالكتابات والمقالات والخطب والاجتماعات التي تستهدف المجتمع ككل. أو الدعاية بالفعل، أي بوساطة ارتكاب جرائم إرهابية متسلسلة خطرة تهدف إلى نشر الذعر بين أبناء المجتمع، لا ضعف الروح المعنوية وترويع أجهزة السلطة وتقويض وتفكيك النظام الاجتماعي والسياسي القائم⁴. واستخدم الفوضويين والعدميون الرسائل الملمغة والأجهزة والقنابل المتفجرة بدائية الصنع، ولم تخلو عاصمة في أوروبا من هجماتهم الإرهابية، لاسيما باريس وبرلين وفيينا وسان بطرسبروغ، استهدفوا فيها الكثير من الشخصيات من الطبقة السياسية والاقتصادية العليا اللذين ذهبوا ضحايا للفوضويين والعدميين الثوريين، عند نهاية القرن التاسع عشر الميلادي⁵.

¹ بن ورخو سعاد، "النظرية النقدية للإرهاب" (رسالة ماجستير منشورة، جامعة محمد بوضياف، كلية الحقوق والعلوم السياسية، المسيلة - الجزائر، 2019)، ص 28.

² عبد الرحيم صديقي، **الإرهاب**، ط1 (عمان: دار شمس المعرفة، 1995)، ص 41.

³ المرجع نفسه، ص 44.

⁴ محمد مؤنس محب الدين، مرجع سابق، ص 34.

⁵ إريك موريس، آلان هو، **الإرهاب: التهديد والرد عليه**، ترجمة: أحمد حمدي محمود (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991)، ص 26.

تصدرت أخبار هذه العمليات الإرهابية صفحات الصحف اليومية في أوروبا، وقل أن تصدر صحيفة يومية في أوروبا، دون أن تتضمن خبراً عن عملية إرهابية، نادراً ما يعرف منفذها، الأمر الذي دفع بالعديد من الصحف إلى تخصيص زاوية خاصة من صفحاتها تحت عنوان (الديناميت)⁽¹⁾. لأنه استخدم من الفوضويين العدميين بكثرة في تنفيذ هجماتهم الإرهابية لأجل إيقاع أكبر قدر من الخسائر ونشر الرعب في هذه العواصم وغيرها من مدن أوروبا في تلك المدة الزمنية⁽²⁾. وتعددت حوادث الاغتيال السياسي من قبل هاتين الحركتين، فاغتيال وزير اسبانيا الأول كانوفا عام 1897م، وإمبراطورة النمسا إليزابيث عام 1898⁽³⁾، واغتيال الملك امبرتو ملك إيطاليا عام 1900⁽⁴⁾. ولعل أخطر حوادث الإرهاب السياسي هي جريمة اغتيال القيصر الروسي الكسندر الثاني عام 1881، ومحاولة اغتيال قائد مدينة سان بيترسبورغ الجنرال ترييوف عام 1878م، وحادثة نسف قصر الشتاء باستهداف جناح القيصر فيه⁽⁵⁾.

رابعاً: الثورة الروسية 1917

ابتدأ النشاط الإرهابي في عام 1879 عندما أعلن عنه الشعبويون الروس، ونفذوا عمليات استهداف اتخذت شكلين: (1) اغتيال أكثر المسؤولين تأثيراً في الحكومة القيصرية، وضرراً على الثوار. (2) معاقبة الجواسيس لحماية الحزب منهم. وكان الهدف الرئيس من عمليات الاستهداف للمسؤولين يتمثل في ترهيب الحكومة القيصرية، وتأجيج ورفع الروح المعنوية الثورية لدى عموم الشعب، فضلاً عن تشكيل كيان مناسب ومعتاد على القتال وامتلاك المهارات العسكرية، والقدرة على التعامل مع المواد شديدة الانفجار، من أجل تحقيق الهدف النهائي للصراع الثوري⁽⁶⁾.

وتطور مضمون الإرهاب السياسي الذي استخدمه اللاسلطويين والشعبيون والنقابيين والفوضويين أثناء فترة شباب لينين، فلم يركزوا على مفهوم الترويع الجهورية في الإرهاب السياسي، على الضد من لينين (1870-1924م) الذي كان أكثر دقة ووضوحاً في تحديده المثير للإرهاب السياسي، فقد اعتبر لينين العمليات الإرهابية الفردية بأنها تافهة وبلا معنى لأنها غير مرتبطة

¹ هاني البيطار، الإرهاب، ط1 (دمشق: مطبعة الشام، 2004)، ص35.

² نهاد عبد الإله عبد الحميد خنفر، مرجع سابق، ص10.

³ أحمد جلال عز الدين، الإرهاب والعنف السياسي، ط1 (بيروت: دار الحرية، 1986)، ص92.

⁴ محمد مؤنس محب الدين، مرجع سابق، ص38.

⁵ هاني البيطار، مرجع سابق، ص35.

⁶ تشارلز تاوونز، الإرهاب: مقدمة قصيرة جداً، ترجمة: محمد سعد طنطاوي، مراجعة: هبة نجيب مغربي، ط1 (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014)، ص58.

بجماهير الشعب⁽¹⁾. وهكذا وعلى اثر الاستخدام الممنهج لأكثر من ثلاثة عقود للإرهاب السياسي ووسائله وأساليبه من قبل الثوريين البلاشفة الفوضويين العدميين.. وغيرهم، تمكنوا أثناءها من إضعاف وتقويض سلطة القيصر ومؤسسات السلطة، فضلا عن الاحتجاجات الشعبية بسبب الجوع، حدثت الثورة الروسية وتمكن البلاشفة من الوصول إلى السلطة، فحدث تغير واضح في مضمون الإرهاب السياسي بالنسبة للإيديولوجية الشيوعية مقارنة بما سبقها من إيديولوجيات ثورية تغييرية، فعاد ارتباط استخدام الإرهاب السياسي بالعنف الثوري السلطوي المنظم الصادر من اعلي الهرم الحاكم، وهدفه تصفية العدو الإيديولوجي لأنه مجرم أخلاقيا وتاريخيا وإيديولوجيا، وبهذا العود لاستخدام الإرهاب السياسي من قبل الحركة الثورية الروسية الشيوعية بقيادة لينين، مع بدايات القرن العشرين الميلادي، دخل الإرهاب السياسي كظاهرة واستخدام مرحلته التاريخية الثانية².

والفضل في ذلك يعود إلى "لينين" الذي قام برسم خطط الثورة وتنظيم أجهزتها بدقة فائقة، وهو يرى أن الإرهاب الفردي المستخدم من التنظيمات الإيديولوجية كاللاسلطويون والشعبيون والفوضويون والنقابيون عبثي ولا فائدة منه، وأن الإرهاب السياسي الشيوعي قبل ثورة 1917، لم يكن انتقاما أو عملا يائسا، كما لم يكن مجرد إجراء عنيف للتخويف وبث الرعب في النفوس، بل كان أسلوبا منظما اثبت فاعليته³. فنجاح ثورة 1917 اثبت لشعوب العالم بأن الثوار الروس قد استخدموا الوسائل والطرق الأفضل في العمل الثوري التي أدت بهم إلى النجاح والوصول إلى السلطة. لقد اعتمد لينين على استخدام الإرهاب السياسي المنظم كوسيلة مهمة من وسائل العمل الثوري السياسي للوصول إلى السلطة، وكأن يرى أن الفوضوية لم تقدم شيئا لرفضها مبدأ التنظيم والتخطيط، التي اهتم بها لينين حين قام بوضع خطط الثورة وتنظيماتها وأجهزتها بدقة، تجاوز فيها الأخطاء التي تحدث بسبب التجاوزات الفردية وتؤدي إلى فشل الثورة منذ بدايتها. وهنا نجد الفارق بوضوح بين الفوضوية والشيوعية⁴.

¹ جاسم محمد حمزة، "الإرهاب والمجتمع: دراسة سوسيولوجية لظاهرة الإرهاب في المجتمع العراقي في الظرف الراهن"، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد 7، العدد 4 (2008)، ص 411.

² بونون زكرياء، "أثر التهديدات الإرهابية في شمال مالي على الأمن الوطني الجزائري واستراتيجيات مواجهتها 2010-2014"، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد خيضر، كلية الحقوق والعلوم السياسية، بسكرة- الجزائر، 2015)، ص 49.

³ بن ورخو سعاد، مرجع سابق، ص 28.

⁴ محمود عبد الإله محمد خوالدة، علم نفس الإرهاب، ط 1 (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع 2005)، ص 73.

دعا لينين في كتاباته أعقاب حادثة (الأحد الأحمر- 22 يناير 1905)*، إلى العمل الإرهابي بكل صراحة وحزم، وظهر ذلك من الخطاب الذي أرسله إلى لجنة العمال التابعة للحزب الاشتراكي الديمقراطي في مدينة بطرسبورغ، يطالبهم فيه بتشكيل مجموعات قتالية على الفور، وبتسليح أنفسهم بجميع أنواع الأسلحة وباللجوء إلى الإرهاب المنظم، لأنه على حد قوله السبيل الوحيدة للمجابهة الكبرى ولتهيئة الأجواء استعدادا للثورة. وهو ما أكده كذلك تروتسكي (1879-1940) حين اعتبر الإرهاب السياسي بالنسبة للثوار الروس مسألة حياة أو موت¹. لقد كَأ اللجوء إلى الترويع كسلاح سياسي من أهم الاستراتيجيات التي تركزت حولها أفكار وتوجهات لينين من أجل الوصول إلى السلطة، ومن أجل بناء أول دولة شيوعية والحفاظ على السلطة فيها، وبناء على توجهاته قامت هيئة الطوارئ الروسية لمكافحة الثورة المضادة والتخريب المعروفة اختصاراً "بالشيكا"، وتحت قيادة الرفيق فيليكس دزيرجينسكي بإرهاب الجماهير الروسية، وأثبتت فاعليتها وقدرتها عندما اغتيل المنشق تروتسكي عام 1940م أثناء إقامته في المكسيك².

إن ظاهرة الإرهاب السياسي لم تنته بقيام ثورة عام 1917م، بل تفاعلت معها واتخذت أشكالاً متعددة يمكن حصرها في اتجاهين: (1) تحول ظاهرة الإرهاب السياسي أثناء التنظيم العام للنضال الشعبي الذي سبق ثورة عام 1917، إلى أساس عمل لما سمي بـ(حرب العصابات)، حيث برز وبات يستخدم في الحرب الأهلية الروسية (1917-1923م)*، التي اندلعت بعد انتصار الثورة وتسلم لينين الحكم. (2) تغيير لينين للمعنى السياسي لإرهاب الضعفاء ولإرهاب الأقوياء بعد استلامه للسلطة، فأصبح الإرهاب السياسي محتكراً من قبل الدولة ومؤسساتها وأجهزتها البوليسية لاسيما (التشيكا).

لقد كَأ لإرهاب الدولة أثناء حكم لينين توجهان رئيسيان، إذ ارتبط تصاعدياً بالأوضاع العسكرية والأمنية وحالة الاستقرار، والمعارك التي يخوضها الجيش الأحمر. فضلاً عن اتخاذ الإرهاب السياسي شكل الصراع الطبقي ضد البرجوازية وهو جوهر الإرهاب الأحمر البلشفي، الذي

* الأحد الأحمر سعي بهذه التسمية بعد أن تظاهر عدد من المواطنين غير المسلحين عند قصر الشتاء ليقدموا التماساً للقيصر نيقولا الثاني فجاءهم الحرس القيصري وأطلقوا عليهم الرصاص فسقط العديد من القتلى والجرحى.

¹ أريك موريس، آلان هو، مرجع سابق، ص 26.

² جان توشارد وآخرون، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة: علي مقلد، ط1 (بيروت: الدار العالمية، 2010)، ص 324.

* الحرب الأهلية الروسية: ونشبت بين الشيوعيين البلاشفة بقيادة تروتسكي ومجموعات غير متجانسة من المحافظين الديمقراطيين والشيوعيين المعتدلين والقوميين. وكانت فرصة لتدخل العديد من القوى الداخلية والخارجية، وتميزت بالوحشية الشديدة لاسيما تجاه المدنيين، إذ أدت بحياة ما يقرب من ثلاثة عشر مليون إنسان معظمهم على يد الجيش الأحمر، وتهجير ما يقرب من مليون إنسان هجرة شبه دائمية.

تعرض للنقد من قبل بعض الماركسيين البارزين⁽¹⁾. لقد استمد الإرهاب السياسي في القرن العشرين أصولاً إيديولوجية غير تلك التي استمدتها في القرن الثامن عشر من الثورة الفرنسية، وهذه الأصول يعود الفضل فيها إلى لينين الذي اختبر ومارس الإرهاب على مستوييه الضعيف والقوي. قبل تسلّم السلطة وبعدها⁽²⁾.

خامساً: الإرهاب السياسي في القرن العشرين

تعد ظاهرة الإرهاب بمختلف أشكاله لاسيما السياسي منه، في التاريخ المعاصر. امتداداً للإرهاب في العصور القديمة والوسطى، فالإرهاب كأن ولا يزال يرافق العديد من المجتمعات البشرية، وأصبح الإرهاب في عصرنا الحالي ظاهرة من ظواهر الاضطراب السياسي، وغدا مصطلح الإرهاب متداولاً بكثرة على مستوى الخطاب السياسي، فضلاً عن تداوله بين عامة الناس في معظم المجتمعات لاسيما غير المستقرة سياسياً واقتصادياً منها. واستمدت هذه الظاهرة زخمها ومفهومها من الفلسفات والسياسات والأشخاص الذين برروا استخدامه، أو استخدموه بالفعل. لاسيما في القارتين الأوروبية والأمريكية التي يرجع في أصله إليها⁽³⁾.

أثناء القرن العشرين الميلادي شهد الإرهاب السياسي تحولاً ملحوظاً في الاستخدام التقليدي من كونه شبه محتكر من بعض الحكومات والسلطات والأشخاص في سدة الحكم، إلى استخدامه من قبل الأفراد والمجموعات والتنظيمات التحررية والمتطرفة، فقد غدا استخدامه من قبل الأقوياء والضعفاء على حد سواء، لاسيما بعد ثبوت نجاعته عندما تم اللجوء إليه أثناء الثورة الفرنسية والثورة الروسية، مما دفع العديد من الحركات والمنظمات كالفاشية والنازية والمتطرفة دينياً والقومية، فضلاً عن حركات التحرر الوطني في فيتنام والصين وأمريكا اللاتينية وغيرها من التنظيمات اليسارية واليمينية إلى استخدامه لأغراض سياسية، والقصد هو تقويض وإضعاف أسس الأنظمة السياسية والحكومات وفرض سياسات هذه الحركات بالقوة. وكانت أبرز حوادث وجرائم الإرهاب السياسي في بدايات القرن العشرين، هي جريمة اغتيال ولي عهد النمسا (الدوق فرانز فرديناند) وزوجته في سراييفو، على يد قاتل متطرف سياسياً من صربيا في 1914/6/28،

¹ محمود عبد الله محمد خوالدة، مرجع سابق، ص 75.

² دلال بسما، "قراءات في الثورة الروسية/ فلسفة الإرهاب من العنف الفردي حتى الثورة المنظمة"، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، العدد 41 (يوليو 2002)، ص 32.

³ أحمد جلال عز الدين، مرجع سابق، ص 85.

وكانت هذه الحادثة سببا مباشرا في إشعال شرارة الحرب العالمية الأولى، وفي توجيه الاهتمام والأنظار إلى خطورة الإرهاب السياسي على العلاقات الدولية، وعلى الأمن والاستقرار المجتمعي العالمي¹. فقد وفرت هذه الجريمة الذريعة لكل من ألمانيا وحليفها الإمبراطورية النمساوية-الهنگارية لشن الحرب التي استمرت لأربع سنوات، وكانت جريمة الإرهاب السياسي هذه هي التي أدت إلى حصول واحد من أهم أحداث القرن العشرين مع بداياته².

واستمرت أفعال وجرائم الإرهاب السياسي المنظم طوال المدة التالية للحرب العالمية الأولى وصولا إلى الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، فبسبب تطور العقائد الفكرية والإيديولوجيات السياسية وتصارعها، وبفضل الاستفادة مما قدمه التطور العلمي والتكنولوجي، تطورت الآليات والتوجهات والأساليب في استخدام الإرهاب السياسي، وبدأت الدول والحكومات والمنظمات عملية تصدير جرائم الإرهاب السياسي خارج حدود دولها، فعاد من جديد ليشكل تهديدا جديا للأمن والسلم الداخلي للدول المستهدفة، وللسلم والأمن الدولي، بعد أن تطورت استراتيجيات الإرهاب السياسي ووصولها إلى محاولة القضاء التام على الخصم من خلال الإنهاك المستمر له ولقواه، وصولا إلى القضاء عليه أو إلحاق أكبر قدر من الخسائر به، والخصم الأبرز هذه المرة هو الدولة ومؤسساتها³. فأصبحت ظاهرة الإرهاب السياسي مليئة بجرائم التخريب والقتل ونشر الذعر والعنف اللامبرر، وبدأت عدد من الدول بعد الحرب العالمية الثانية تمارس الإرهاب السياسي خارج حدودها وشكل هذا النوع من الإرهاب السياسي تطورا متسارعا في الكيفية والنوعية والكمية. فضلا عن توجيه أعمال الجرائم الإرهابية نحو الأبرياء من المدنيين وبشكل واضح ومباشر. وارتبطت أكثر جرائم الإرهاب السياسي وأشدّها خطورة بالصراع الإسلامي (العربي) الصهيوني، حيث لجأ المستعمرون الصهاينة في فلسطين وخارجها قبل وبعد تأسيس الكيان الصهيوني في عام 1948 إلى ممارسة مختلف أنواع الجرائم الوحشية الإرهابية ضد العرب لاسيما المدنيين الفلسطينيين، حتى غدت سمة الإرهاب من أبرز السمات للحركة الصهيونية⁴، فقد تشكلت العديد من المنظمات والعصابات الإرهابية الإجرامية الصهيو-إسرائيلية التي كانت تحظى بدعم رسمي وشعبي، ولجأت إلى

¹ محمد حميد دغجوقة، ظاهرة الإرهاب الدولي وانعكاساتها على الأمن الوطني الأردني، "رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب والعلوم، عمان-الأردن، 2015)، ص 29-30.

² هيثم عبد السلام محمد، مرجع سابق، ص 73.

³ نعوم تشومسكي وآخرون، العولمة والإرهاب: حرب أمريكا على الإرهاب، ترجمة: حمزة المزيبي، ط1 (القاهرة: مكتبة مدبولي، 2003)، ص 33.

⁴ ياسر لطفي العلي، "الإرهاب مفهومه وأحكامه في الشريعة الإسلامية (دراسة فقهية مقارنة)"، "رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، كلية الشريعة، دمشق، 2007)، ص 129.

أساليب القتل الجماعي الممنهج للفلسطينيين العزل بقصد إشاعة الرعب والتشريد لإفراغ الأرض من سكانها، كعصابة شتيرن التي تعد من أكثر المليشيات الصهيونية عنفا وشهرة والتي كانت تفضل التحالف مع ألمانيا النازية بدلا من بريطانيا، وعصابة الهاجانا وعصابة الارغون. اللتان قامتتا بالعديد من الجرائم الإرهابية من أشهرها مذبحة دير ياسين وكفر قاسم، كما قامت بنسف فندق الملك داؤد بالقدس عام 1948م ، واغتالت الوسيط الدولي الكونت برنادوت⁽¹⁾.

وتعد مذبحة دير ياسين إحدى أشهر جرائم الكيان الصهيوني الاستيطاني، والتي حصلت عندما دخلت عصابة (الارغون) التي يزعمها الإرهابي مناحيم بيغن (1913-1992م) في السابع عشر من آذار عام 1948م، إلى قرية دير ياسين غربي القدس المحتلة وقامت بذبح 250 فلسطينيا جلهم من المدنيين العزل، وكأن من بين الضحايا مئة امرأة وطفل⁽²⁾.

ظهرت جميع أشكال الإرهاب لاسيما السياسي في التاريخ المعاصر، وأصبحت تمارس من قبل عدد من الدول والتنظيمات والأفراد، وانتشر وغدا ظاهرة عالمية بحاجة إلى جهود وطنية ودولية للحد منه أو التقليل من أثاره السلبية، ولعل افتقار النظام السياسي الدولي والأممي إلى الجدية والحزم في الرد على الجرائم والانتهاكات والمخالفات من قبل الأنظمة السياسية والمنظمات المدعومة من القوى الكبرى، كانت احد الأسباب الرئيسة في انتشار جرائم الإرهاب السياسي لاسيما الصهيوني تجاه العرب والمسلمين بشكل عام والفلسطينيين بشكل خاص. وساهمت سياسات عدد من الدول وحكوماتها في التواطؤ ودعم عدد من التنظيمات الإرهابية وتوفير إمكانات واسعة مادية ومعنوية في تنفيذ جرائمها الإرهابية، فضلا عن ممارسته من قبل بعض القوى العظمى في السر والعلانية داخل بلدانها وخارجه، والتظاهر أمام المجتمع الدولي بمكافحته. وهو ما أدى بالمحصلة إلى ظهور إرهاب الضعفاء، فتشكلت وانتشرت المنظمات الإرهابية في العديد من دول العالم النامي والمتحضر، كرد فعل على إرهاب الأقوياء، فضلا عن اللجوء إليه من قبل بعض حركات التحرر الوطني³.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ظهر الإرهاب السياسي بشكل مغاير لما سبق، إذ بدأ لا يعترف بالحدود الجغرافية، من خلال الاستفادة مما قدمه التطور التقني في شتى الميادين من إعلام

¹ عامر وهاب خلف العاني، الإعلام ودوره في معالجة ظواهر الإرهاب والموقف من المقاومة، ط1 (عمان: دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع، 2013)، ص96.

² ياسر لطفي العلي، مرجع سابق، ص130.

³ سلطان عناد إبراهيم العينات، "الآلية الدولية لمكافحة الإرهاب"، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، كلية الحقوق، عمان -الأردن، 2018)، ص18.

ووسائل اتصال سهلت مهمة المنظمات والدول في تصدير جرائمها وأعمالها خارج حدودها. فأصبح إرهابا عابرا للقارات، فمن الملاحظ على هذه الفترة التي يمكن أن نعتها المرحلة الثالثة من تاريخ تطور الإرهاب السياسي في التاريخ المعاصر، أن هناك تحولا مهما في الإرهاب السياسي من حيث الأساليب والأشكال والمساندين فضلا عن المنطلقات، فاتخذ أبعادا جديدة تجاوزت المحلية إلى الدولية في مجال انتشاره ومساندة ودعم بعض الأنظمة المتسلطة له، فضلا عن نشاط التجمعات الدولية والإقليمية في مكافحته بسبب التهديدات الجدية التي بدأ يشكلها على أمنها واستقرارها¹، حيث تعد هذه الفترة هي نقطة التحول بين نوعين من الإرهاب السياسي المحلي محدود الوسائل والإمكانات، والذي لا يتعدى حدود الدولة على الأغلب كإرهاب الأقوياء ضد الضعفاء، وإرهاب الضعفاء في مواجهة سلطة الأقوياء، وبين الإرهاب عابر الدول والقارات، والذي يستخدم فيه أحدث ما توصلت إليه التكنولوجيا في العالم، وغدت المنظمات الإرهابية تستخدم أحدث الأسلحة في عملياتها الإرهابية، وأصبحت هذه المنظمات تهدد أمن دول وحكومات وأنظمة، أما بعض الأنظمة فصارت تستخدم الإرهاب السياسي ضد رعايا ودول أخرى لا تستطيع الدخول معها في مواجهة مباشرة، بوساطة دعم التنظيمات الإرهابية المعارضة للسلطة في هذه الدول. وتنوعت الإيديولوجيات للمنظمات الإرهابية ما بين الدينية والاثنية إلى العرقية والسياسية التحررية والانفصالية المتشددة².

على اثر سقوط الأنظمة الشمولية في أوروبا كالفاشية والنازية التي شكلت تهديدا خطيرا للأمن والسلم الدولي، ظهرت عدد من الجماعات والمنظمات الإرهابية شديدة الخطورة. فضلا عن ظهور حركات التحرر الوطنية³. في العديد من بقاع الأرض ومنها في المغرب العربي، حيث استخدم العنف المسلح كوسيلة للمقاومة، واستخدم الإرهاب الثوري التحرري مع اندلاع الثورة الجزائرية وإعلان "جبهة التحرير الوطني" عام 1954 نقل الثورة والكفاح المسلح إلى داخل فرنسا فاستخدمت التفجيرات في الأماكن العامة كرد فعل على المجازر التي ارتكبتها الجيش الفرنسي بحق الشعب الجزائري، وعمدت فرنسا إلى تشكيل منظمة إرهابية سرية عرفت باسم "منظمة الجيش السري"، التي قامت بالعديد من الاغتيالات والتفجيرات ضد المدنيين الجزائريين عام 1962⁴. وبرزت عدد من

¹ محمد أبو الفتح غنام، الإرهاب وتشريعات المكافحة في الدول الديمقراطية، ط1 (القاهرة: دار الحكمة، 1991)، ص150.

² سلطان عناد إبراهيم العينات، مرجع سابق، ص ص19-20.

³ محمد أبو الفتح غنام، مرجع سابق، ص150.

⁴ بودن زكرياء، مرجع سابق، ص49.

حركات التحرر من الاستعمار والتي أطلق عليها الغربيون بالحركات الإرهابية، كحركة التحرر الوطنية الفيتنامية (فيت مين)، والتي قادت النضال المسلح ضد الفرنسيين (1945-1946م)، والأمريكان من بعدهم (1955-1975)¹.

وتوسعت دائرة الإرهاب السياسي وازدادت عنفا في عقد الستينات والسبعينات من القرن الماضي، حيث بلغ عدد الجرائم الإرهابية في الفترة ما بين الأعوام (1968-1979)، حوالي 3336 جريمة، موزعة جغرافيا على معظم أنحاء العالم، وأسفرت عنها خسائر في الأرواح والممتلكات، حيث بلغ عدد الضحايا 2689 قتيل و5955 جريح، وأما احتجاز الرهائن خلال الأعوام المحصورة ما بين عامي (1968-1981م) فبلغ 8088 شخص تقريبا⁽²⁾. ومنذ منتصف عقد الستينيات من القرن الماضي ظهرت العديد من التنظيمات الإرهابية التي وجهت عملياتها الإرهابية في معظمها نحو الدبلوماسيين والبعثات الدبلوماسية ومصالح عدد من الدول، وفي هذا العقد تحول الإرهاب كأحد أهم أساليب الصراع السياسي بين الدول، وبين المنظمات والحكومات، فظهرت أكثر من ستين منظمة إرهابية دولية ومحلية، اشتهرت من بينها ستة منظمات كانت المسؤولة عن اغلب العمليات الإجرامية الإرهابية، وهي:

- منظمة الخلايا الثورية: وهي منظمة ألمانية غربية تتكون من مجموعات من الخلايا قليلة العدد، انتشرت في الولايات الألمانية، مارست عملياتها محليا لأهداف سياسية، ومنها إخراج أعضاء حلف شمال الأطلسي من ألمانيا، ومعارضة انتشار الأسلحة النووية؛
- منظمة القوى الشعبية في هندوراس: وهي منظمة معادية للإمبريالية قامت بعدة هجمات استهدفت الدبلوماسيين والبعثات الدبلوماسية والمصالح التجارية الأجنبية، لاسيما الأمريكية والبريطانية في هندوراس؛
- الجيش الأرمني السري: وهو منظمة يسارية متطرفة قامت بعدة عمليات إرهابية لاسيما ضد الدبلوماسيين والشخصيات التركية، وهدفها الانتقام باغتيال المتهمين بأعمال الإبادة الجماعية للأرمن التي حدثت عام 1915؛

¹ محمد عبد الكريم الجزائري، الإرهاب والأصولية بين الأصالة والابتداع، ط1 (الجزائر: مطبعة دار هومة، 2003)، ص15.

² محمد حميد دغجوقة، مرجع سابق، ص31.

- منظمة يونيو الأسود: وهي منظمة فلسطينية انفصلت عن منظمة فتح، وقامت بقيادة أبو نضال بعدة عمليات في داخل فلسطين المحتلة وخارجها، فضلا عن عدائها للصهاينة وقفت ضد سياسة ياسر عرفات (1929-2004) رئيس حركة فتح، وضد سياسات عدد من أنظمة التسلط العربية؛

- منظمة مايو: وهي منظمة رفض فلسطينية متطرفة، كأن احد أهم الحوادث الإرهابية التي اتهمت به، هو تفجير مطعم في برلين عام 1982؛

- تنظيم القاعدة وفروعه الممتدة في نشاطها من أفغانستان وباكستان وصولا إلى المغرب العربي ووسط وشمال إفريقيا، وغيره من الدول العربية¹.

وظهر إرهاب اليمين المتطرف في ايطاليا متمثلا في جماعة النظام الجديد 1950، وجماعة الطليعة الوطنية 1959.² وإرهاب اليسار في ايطاليا أيضا متمثلا بمنظمة الألوية الحمراء، التي استهدفت بعملياتها الإرهابية الشخصيات القضائية والسياسية والإدارية، وكأن من أبرز جرائمها الإرهابية اختطاف رئيس الحكومة الإيطالية (الدومورو) ومن ثم قتله عام 1978.³ وغيرها من التنظيمات الإرهابية كبادر ماينوف الألمانية ولواء الغضب البريطانية والعمل المباشر الفرنسية، وتوباماروس في الأوروغواي والباسك في اسبانيا، والجيش الجمهوري الايرلندي، ونمور التأميل في كولومبو.⁴

شجعت العديد من الدول النامية وحكوماتها المنظمات الإرهابية والإرهابيين لتحقيق عدد من الأهداف السياسية، بوساطة تقديم المنح المالية والدعم اللوجستي وقبول الإرهابيين كلاجئين، وأشعر الإرهاب السياسي حكومات هذه الدول مثل كوبا وكوريا الشمالية واليمن الجنوبية وليبيا بشي من القوة، فضلا عن الدعم الذي قدمته حكومات هذه الدول للمنظمات الإرهابية، فأنها قامت بتصفية خصومها ومعارضها من السياسيين الذين يعيشون في المنفى، وكانت حكومات هذه الدول تتخذ من الإرهاب السياسي بديلا عن الحرب التقليدية⁽⁵⁾. وينظر إلى عقد التسعينات لاسيما العام 1993م على أنه البداية لظهور الإرهاب السياسي الكارثي للضعفاء، فقد حذر العديد من

¹ إبراهيم الحيدري، **سوسيولوجيا العنف والإرهاب** (بيروت: دار الساقي، 2015)، ص 42.

² محمد أبو الفتح غنام، مرجع سابق، ص 150.

³ كمال سينغ، **أشهر المنظمات الإرهابية في العالم**، ط 1 (بيروت: دار الرشيد ومؤسسة الإيمان، 1966).

⁴ محمد حميد دغجوقة، مرجع سابق، ص 62.

⁵ أريك موريس، آلان هو، مرجع سابق، ص 6.

الخبراء في مجال الأمن والإرهاب من أن الولايات المتحدة والعالم يجب أن يستعدان لأكثر الفصول عنفا في تاريخ الإرهاب السياسي، وقد أثبتت أحداث بداية عقد التسعينيات من القرن المنصرم التي ابتدأت بتفجير مركز التجارة العالمي في عام 1993م في مدينة نيويورك، وتفجير المبنى الفدرالي في مدينة أوكلاهوما عام 1995، والهجوم على ركاب مترو الأنفاق في مدينة طوكيو بغاز السارين في عام 1995 صحة هذه التوقعات، حيث أصبحت تلك الأحداث نقطة تحول جديدة دخل من خلالها الإرهاب السياسي مرحلته التاريخية الرابعة، التي وصفها السيناتور الأمريكي (Nunn Sam) سام نان*، من الحزب الديمقراطي، بأن الهجوم الذي حدث على مترو الإنفاق في مدينة طوكيو هو نقطة تحول نهائية في أساليب الإرهاب السياسي، فأعضاء جماعة أوم شنريكو المسؤولين عن الحادث، تمكنوا من الحصول على مواد شديدة السمية وطوروها وهي بداية عهد جديد من الإرهاب السياسي الذي تمكن فيه الإرهابيون من استخدام ونشر أسلحة دمار شامل، تسببوا فيه في نشر الرعب الكارثي¹.

وعلى قدر تعلق الأمر بالتهديدات الإرهابية وتفاعلاتها المختلفة الأكثر بروزا في التاريخ المعاصر، فأنها تقوم في الأصل على ثلاث ركائز هي: "التسارعية والمؤقتية والتنوع"، فقد شاع في عقد التسعينيات من القرن العشرين الحديث عن عولمة الإرهاب والجريمة، وأن الإرهاب بمختلف أشكاله لم يعد تقليديا من حيث الوسيلة والهدف والتخطيط، فقد استفاد الإرهابيون من مزايا العولمة المعلوماتية والتكنولوجية، فقد تمت عولمة جميع الظواهر بما فيها التهديدات الأمنية الإرهابية، وغدا الإرهاب ردة فعل مقابلة للتغيرات الاقتصادية الخطيرة، وتعبيرا عن سخط المجتمعات والفئات المهمشة والفقيرة تجاه حكوماتها، وتجاه دول الشمال الغنية المصدرة للعولمة لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية⁽²⁾. فنتيجة ما يطلق عليه "بتوحش العولمة" ونقص سيادتها التي أدت إلى شيوع موجات من التهميش الاقتصادي للعديد من الدول النامية، والإقصاء الاجتماعي لشرائح وطبقات مجتمعية عديدة ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا، اندفعت العديد من الحكومات ومؤسساتها الثقافية الرسمية وغير الرسمية إلى صياغة إيديولوجيات مضادة، تدافع بها عن نفسها وتعبّر وتحافظ عن

* سام نان من مواليد 1938 جورجيا، عضو في مجلس الشيوخ الأمريكي عن ولاية جورجيا (1972-1997)، له مؤلفات عديدة في مجال الأمن والدفاع والقانون، شارك في تأسيس "مبادرة التهديد" وهي منظمة خيرية تعمل على منع الهجمات الإرهابية الكارثية باستخدام الأسلحة النووية والبايولوجية والكيميائية عند مغادرته لمجلس الشيوخ الأمريكي.

¹ أريك موريس، آلان هو، مرجع سابق، ص 60.

² إدريس عطية بن الطيب، "الظاهرة الإرهابية في زمن ما بعد الحداثة (دراسة تحليلية في الأشكال والأساليب والإجراءات المضادة)"، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد 31، العدد 63 (2015)، ص 5.

أصالتها، فبرزت أصوليات متعددة وطنية وقومية ودينية، وأصبح المشهد العالمي في ظل العولمة صراعاً بين أصوليات لاسيما الدينية وليس صراع حضارات، ففي مقابل بروز الأصولية العولمية الأمريكية برزت الأصولية الإسلامية المتشددة، والتي اتخذت من الإرهاب السياسي المعولم وسيلة للتعبير عن رفضها للنظام العالمي الجديد¹. فحدثت هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام 2001، والتي شكلت نقلة نوعية بالغة الأهمية في أشكال واليات الصراع الثقافي المعولم، وتسببت في إعادة تشكيل السياسة الخارجية للدول الكبرى لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية، وبدأت الهجمات هذه اقرب إلى ما يعرف بالإرهاب السياسي الجديد، أكثر من كونها شكلاً من أشكال الإرهاب السياسي التقليدي القديم².

لقد غيرت هجمات الحادي عشر من سبتمبر ميزان القوى في إرهاب الأقوياء وإرهاب الضعفاء وفي استراتيجيات الصراع، فأدت إلى أن يصبح الردع بدون أهمية تجاه من سمتهم الإدارة الأمريكية "الفاعلين من غير صفة الدولة"، أو بعض الدول والحكومات العدو، وقد أشار إلى ذلك الرئيس الأمريكي جورج بوش في خطابه بتاريخ 1 يونيو 2002 بالقول (طالما أن الردع والاحتواء قد أصبحا غير فاعلين في تأمين أهداف الأمن القومي الأمريكي فإنه لابد من الحرب الاستباقية والتحول من الرد على هجوم فعلي إلى المبادرة لمنع هجوم محتمل)³. ونجد هنا تحولاً ملحوظاً وجذرياً في إرهاب الأقوياء تمثل بظهور مفهوم الحرب الاستباقية، ومن ثم إطلاق أضخم حملة لمكافحة الإرهاب السياسي في التاريخ الإنساني، والتي تم تدشينها بحرب الولايات المتحدة وحلفائها على أفغانستان باعتبارها ملاذاً آمناً للإرهابيين، ثم أعقبه شروع إدارة الرئيس بوش الابن في الحرب على العراق عام 2003م، معتبراً أن الوقت قد حان لاستكمال حرب "لم تنته" هناك، واستباقاً لهجمات إرهابية جديدة قد تضرب الولايات المتحدة، وهذه المرة بأسلحة الدمار الشامل التي كأن يفترض أن العراق يمتلكها⁴. أن دخول مفهوم الحرب الاستباقية في استراتيجيات الولايات المتحدة الأمريكية لمكافحة الإرهاب السياسي، غير بشكل واضح مفهوم إرهاب الأقوياء، إذ أنه لم يعد يمارس ضد الأفراد والمنظمات داخل الحدود الجغرافية للبلد الواحد، وإنما تعداه ليطلق تنظيمات وأشخاص

¹ فرغلي هارون، الإرهاب العولمي وانهايارالإمبراطورية الأمريكية، مراجعة وتقديم سامي فريد، ط1 (القاهرة: دار الوافي للنشر، 2006)، ص121.

² عامر وهاب خلف العاني، مرجع سابق، ص96.

³ المرجع نفسه، ص122.

⁴ بن ورخو سعاد، مرجع سابق، ص31.

وحكومات ودول تبعد آلاف الكيلومترات وبأحدث الأسلحة والتقنيات، وبالاستناد إلى معلومات وحجج واهية وافتراضية، وتحت مظلة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي.

وإذا كانت العولمة من بين أهم العوامل وأبرزها بكل أثارها السلبية على اقتصاديات وثقافات مجتمعات العالم لاسيما النامي، قد أدت إلى تفجر العنف وبروز الإرهاب بمختلف أشكاله لاسيما السياسي، فإن النظم التسلطية الديكتاتورية مسؤولة إلى حد كبير عن تضخم المشكلة، لأنها بحكم تسلطها وقمعها لمجتمعاتها وفسادها قد أوقفت عملية الحوار الديمقراطي الضرورية لمناقشة قضايا أمن مجتمعاتها، وعملية استيعاب العناصر الايجابية للعولمة والتي تخص الخصوصيات الثقافية لمجتمعاتها، ومعالجة الآثار السلبية لها¹.

خاتمة

إذا كانت مشكلة الإرهاب بشكل عام والإرهاب السياسي على وجه الخصوص، قد ظهرت إبان الثورة الفرنسية في التاريخ الحديث، فإن من المسلم به بأن العنف قديم قدم المجتمعات البشرية، وأوضح مثال على ذلك هو جريمة قتل قابيل لأخيه هابيل. التي مثلت الجريمة الأولى في تاريخ الإنسانية، والتي استند إليها بعض المنظرين وقالوا بأن العنف يولد مع ولادة الإنسان، وأن العنف هو السمة المميزة لحياة المجتمعات لاسيما البدائية.. واستمرار هذه السمة بعد ظهور المدينيات والحضارات وصولاً إلى العصر الحديث. كما أن ارتباط الإرهاب السياسي بالعنف له تاريخ موغل في القدم، اتضح من خلال استخدامه كأداة لتحقيق عدد من الأهداف السياسية، وهذا ما أكدته وتوصلت إليه العديد من الدراسات التي اهتمت بما يحدث اليوم وحاولت ربطه بالماضي، لتأصيل هذه المشكلة وفهمها، ولتبيان أن ما يحدث اليوم هو غير منقطع الصلة عن العنف والإرهاب في الماضي. فجرائم الإرهاب السياسي قديماً انحصرت في بعض الأعمال العنيفة التي تصرف إلى منع وصول السلطة إلى شخص بعينه، أو القيام بأعمال تثير المجتمع على الحاكم لإسقاطه سياسياً، ولنزع الشرعية منه². فضلاً عن التصفيات الجسدية، سواء على صعيد الملوك فيما بينهم، أو التآمر على الملك من أمرائه وأركان حاشيته، وهو ما أخبرتنا به كتب التاريخ القديم والوسيط³ إلا أنه في التاريخ الحديث أمسى أشد عنفاً وأكثر انتشاراً وخطراً. إن العلامة العربي ابن خلدون (1332-

¹ فرغلي هارون، مرجع سابق، ص 121.

² عبد الرحيم صدقي، مرجع سابق، ص 13.

³ محمد الفاضل، الجرائم الواقعة على الدولة، الجزء 1، ط3 (دمشق: مطبعة الجامعة، 1976)، ص 36.

(1406) يرى بأن (لأي ظاهرة اجتماعية تاريخها وماضيها، وأننا لا نستطيع فهم الظاهرة دون دراسة ماضيها)، فالماضي يساعدنا على فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل، ومن ثم اشتقاق قوانين عامة تفسر مسيرة الظاهرة وتطورها، أي كيف كانت وكيف أصبحت وما هو مستقبلها ومسار تطورها بجميع أبعاده¹.

المراجع

باللغة العربية

- عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، ط 9. (القاهرة: مطبعة دار التضامن، 1985).
- إحسان محمد الحسن، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، ط 1. (بيروت: مطبعة دار الطليعة، 1982).
- ابن منظور أبو الفضل بن مكرم الأفريقي، لسان العرب، إعداد: يوسف خياط / الجزء 2 (بيروت: دار المعارف، ب ت).
- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، الجزء 1 (بيروت: دار الكتب العلمية، ب ت).
- فريدريك معتوق، معجم العلوم الاجتماعية (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1، 1975).
- مسعود جبران، الرائد: معجم لغوي عصري، ط 1. (بيروت: دار العلم للملايين، 1967).
- المنجد في اللغة والإعلام، ط 29 (بيروت: دار المشرق، 2008).
- نديم أسامة مرعشلي، الصحاح في اللغة والعلوم، ط 1 (بيروت: دار الحضارة العربية، 1975).
- عطية الله، القاموس السياسي، ط 3 (القاهرة: دار النهضة الحكومية، 1968).
- أحمد زكي البدوي، معجم المصطلحات الاجتماعية، ط 1 (بيروت: مكتبة لبنان، ب ت).
- خالد عبيدات، الإرهاب يسيطر على العالم (الأردن: المطابع العسكرية، 2004).
- أدونيس العكرة، الإرهاب السياسي: بحث في أصول الظاهرة وأبعادها الإنسانية، ط 1 (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1983).

¹ إحسان محمد الحسن، علم اجتماع العنف والإرهاب: دراسة تحليلية في الإرهاب والعنف السياسي والاجتماعي، ط 2 (عمان: دار وائل للنشر والتوزيع، 2016)، ص 33-35.

إريك موريس، ألان هو، الإرهاب التهديد والرد عليه، ترجمة: احمد حمدي محمود (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991).

محمد مؤنس محب الدين، الإرهاب في القانون الجنائي على المستويين الوطني والدولي (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1987).

هيثم موسى حسن، "التفرقة بين الإرهاب الدولي ومقاومة الاحتلال في العلاقات الدولية" (أطروحة دكتوراه منشورة، جامعة عين شمس، كلية الحقوق- مصر 1998).

عبد الوهاب حومد، الإجرام السياسي، ط1 (بيروت: دار المعارف، 1963).

ثامر إبراهيم الجهماني، مفهوم الإرهاب في القانون الدولي: دراسة قانونية ناقدة، ط1 (الإسكندرية: دارالمعارف، 2001).

إمام حسنين توفيق، الإرهاب وحروب التحرير الوطنية، ط1 (القاهرة: دار مصر المحروسة، 2003).

عبد الله محمد خوالدة، علم نفس الإرهاب، ط1 (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2005).

هيثم عبد السلام محمد، مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلامية، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 2005).

عبد الرحيم صديقي، الإرهاب، ط1 (عمان: دارشمس المعرفة، 1995).

إريك موريس، ألان هو، الإرهاب: التهديد والرد عليه، ترجمة: احمد حمدي محمود (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991).

هاني البيطار، الإرهاب، ط1 (دمشق: مطبعة الشام، 2004).

احمد جلال عز الدين، الإرهاب والعنف السياسي، ط1 (بيروت: دار الحرية، 1986).

تشارلز تاونزند، الإرهاب: مقدمة قصيرة جدا، ترجمة: محمد سعد طنطاوي، مراجعة: هبة نجيب مغربي، ط1 (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014).

محمود عبد الإله محمد خوالدة، علم نفس الإرهاب، ط1 (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2005).

جان توشارد وآخرون، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة: علي مقلد، ط1 (بيروت: الدار العالمية، 2010).
نعوم تشومسكي وآخرون، العولمة والإرهاب: حرب أمريكا على الإرهاب، ترجمة: حمزة المزيبي، ط1 (القاهرة: مكتبة مدبولي، 2003).

عامر وهاب خلف العاني، الإعلام ودوره في معالجة ظواهر الإرهاب والموقف من المقاومة، ط1 (عمان: دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع، 2013).

- محمد أبو الفتح غنام، الإرهاب وتشريعات المكافحة في الدول الديمقراطية، ط1 (القاهرة: دار الحكمة، 1991).
- محمد عبد الكريم الجزائري، الإرهاب والأصولية بين الأصالة والابتداع، ط1 (الجزائر: مطبعة دار هومة، 2003).
- إبراهيم الحيدري، سوسيولوجيا العنف والإرهاب (بيروت: دار الساق، 2015)، ص42.
- كمال سينغ، أشهر المنظمات الإرهابية في العالم، ط1 (بيروت: دار الرشيد ومؤسسة الإيمان، 1966).
- فرغلي هارون، الإرهاب العولمي وانهايار الإمبراطورية الأمريكية، مراجعة وتقديم سامي فريد، ط1 (القاهرة: دار الوافي للنشر، 2006).
- محمد الفاضل، الجرائم الواقعة على الدولة، الجزء 1، ط3 (دمشق: مطبعة الجامعة، 1976).
- إحسان محمد الحسن، علم اجتماع العنف والإرهاب: دراسة تحليلية في الإرهاب والعنف السياسي والاجتماعي، ط2 (عمان: دار وائل للنشر والتوزيع، 2016).
- دلال بسما، "قراءات في الثورة الروسية/ فلسفة الإرهاب من العنف الفردي حتى الثورة المنظمة"، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، العدد 41 (يوليو 2002)
- جاسم محمد حمزة، "الإرهاب والمجتمع: دراسة سوسيولوجية لظاهرة الإرهاب في المجتمع العراقي في الظرف الراهن"، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد 7، العدد 4 (2008).
- إدريس عطية بن الطيب، "الظاهرة الإرهابية في زمن ما بعد الحداثة (دراسة تحليلية في الأشكال والأساليب والإجراءات المضادة)"، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد 31، العدد 63 (2015).
- نهاد عبد الإله عبد الحميد خنفر، "التمييز بين الإرهاب والمقاومة واثار ذلك على المقاومة الفلسطينية بين عامي 2001-2004" (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس- فلسطين، 2005).
- بن ورخو سعاد، "النظرية النقدية للإرهاب" (رسالة ماجستير منشورة، جامعة محمد بوضياف، كلية الحقوق والعلوم السياسية، المسيلة - الجزائر، 2019)، ص28.
- بودن زكرياء، "أثر التهديدات الإرهابية في شمال مالي على الأمن الوطني الجزائري واستراتيجيات مواجهتها 2010-2014"، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد خيضر، كلية الحقوق والعلوم السياسية، بسكرة- الجزائر، 2015).

محمد حميد دغجوقة، ظاهرة الإرهاب الدولي وانعكاساتها على الأمن الوطني الأردني، " (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب والعلوم، عمان- الأردن، 2015).

ياسر لطفي العلي، "الإرهاب مفهومه وأحكامه في الشريعة الإسلامية (دراسة فقهية مقارنة)،" (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، كلية الشريعة، دمشق، 2007).

سلطان عناد إبراهيم العينات، "الآلية الدولية لمكافحة الإرهاب،" (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، كلية الحقوق، عمان – الأردن، 2018).

باللغة الأجنبية

julia swannell and others / oxford modern dictionary / oxford university press / new york / u s a /1992.

susan ells wild / Webster s new world law dictionary / wiley & Hoboken N J / Canada / 2006 / p – 255 .

larousse dictionnaire de française /première édition / paris/ 2005.

Dictionnaire de L'académie Française / Dédie au ray paris / Chez jean baptiste coi nard / tome 2 /première édition / paris /1694.

cindy c .combs and martin slann / encyclopedia of terrorism / revised edition / facts on file . INC /new york /2007.

William little / the shorter oxford English dictionary / oxford university press / London / 1967.

larousse dictionary de Francis.

التحولات الإستراتيجية عند الجماعات المسلحة: من العمل المسلح إلى العمل السياسي
وأثر البيئة الداخلية والخارجية عليها، منظمة بدر نموذجًا (2003-2019)

Strategic transformations of armed groups: from armed action to political action and the impact of the internal and external environment on it, Badr Organization as a model (2003-2019)

Asaker-Al Rahman Abdul Fahad

فهد عبد الرحمن العساكر¹

ملخص: يقوم هذا البحث على تحول منظمة «بدر» من العمل العسكري إلى العمل السياسي وعلى المؤثرات الرئيسة على المنظمة في تحولها للعمل السياسي. ينقسم البحث إلى جزأين رئيسين: تناول الجزء الأول موضوع منظمة «بدر» وتاريخها وعملياتها العسكرية سواء في فترات العمل المسلح أو بعد التحول للعمل السياسي، وهدفَ إلى معرفة قيادات المنظمة ومكانتهم في الحكومة العراقية، وإلى الإيديولوجيا التي تتبناها المنظمة وخرائط الانتشار، أما القسم الثاني من البحث فقد تناول موضوع التحول للعمل السياسي وأبعاد هذا التحول على المستوى السلوكي والتنظيمي والأيديولوجي، وتأثير البيئة الداخلية في العراق والبيئة الخارجية (الحرب في سوريا) على منظمة «بدر» ومسار تحولها السياسي.

كلمات مفتاحية: منظمة بدر، داعش، العمل المسلح، سوريا، الحشد الشعبي.

Abstract: This research is based on the transformation of the Badr Organization from military action to political action, and the main influences on the organization in its transformation into political action. The research is divided into two main parts: The first part dealt with the issue of the Badr Organization, its history and military operations, whether during armed action or after the transition to political action, and aimed at knowing the leaders of the organization and their position in the Iraqi government, the ideology adopted by the organization and maps of deployment. The research dealt with the issue of the transformation of political action and the dimensions of this transformation at the behavioral, organizational and ideological level, and the impact of the internal environment in Iraq and the external environment (the war in Syria) on the “Badr” organization and the path of its political transformation.

Keywords: Badr Organization, ISIS, Armed Action, Syria, Popular Mobilization.

مقدمة

شهد العالم نشأة عدد غير قليل من الجماعات المسلحة، وقد زاد عددها في الآونة الأخيرة حتى أصبحت ظاهرة تستحق التأمل والدراسة؛ وذلك لما ترتب على وجود هذه الجماعات من تداعيات خطيرة منها زعزعة الاستقرار وتهديد أمن المجتمعات على المستويات المختلفة من المحلي والإقليمي والدولي، وقد كان للشرق الأوسط النصيب الأكبر في عدد الميليشيات المسلحة ذات التوجهات السياسية والأيديولوجية المعقدة. والمتتبع لتاريخ الجماعات المسلحة وأنشطتها يجد أنها اتخذت اتجاهين مختلفين: الاتجاه الأول هو الاستمرار في خوض الصراع المسلح إلى النهاية، وهذا الاتجاه يمثله عدد كبير من تلك الميليشيات، أما الاتجاه الآخر فهو التحول من طبيعتها العسكرية إلى العمل السياسي والمدني وهذا الاتجاه يمثله عدد قليل. إلا أن أغلب الجماعات المسلحة المتحولة للعمل السياسي لم تنجح في تجربتها الجديدة، ولم تستطع التخلص من صبغتها العسكرية؛ وهذا ليس بالأمر المستغرب إذ تحتاج عملية التحول إلى تغيير شامل على المستويات الأيديولوجية والسلوكية وأنماط القيادة.

وقد اخترت في هذا البحث أن أقوم برصد منظمة «بدر» لما لها من مكانة كبيرة وشهرة واسعة بين الجماعات المسلحة في الشرق الأوسط. وسوف يتناول البحث تاريخ المنظمة خلال فتراتنا المختلفة ومواقعها الجغرافية العديدة بدءاً من نشأتها في إيران مروراً بانتقالها إلى العراق وخوض عملياتها في سوريا، إلى تحولها للعمل السياسي، مع توضيح أسباب هذا التحول وأبعاده وتأثير البيئة الداخلية والخارجية على سلوك المنظمة وتوجهاتها. أسئلة البحث: لماذا تحولت ميليشيا تنظيم «بدر» إلى العمل السياسي؟ ما مسار تحول المنظمة إلى العمل السياسي؟ ما أثر البيئة الداخلية وأثر البيئة الخارجية على منظمة «بدر» بعد تحولها للعمل السياسي عام 2003؟ هل قامت المنظمة بتفكيك أنظمتها القيادية وتسليم أسلحتها بعد 2003؟ هل قامت المنظمة بعمليات عسكرية بعد تحولها للعمل السياسي عام 2003؟ وما حجم تلك العمليات؟

أسباب اختياري للموضوع وأهميته:

- لا توجد -على حد علم الباحث- دراسة أو بحث يسلط الضوء على تحول فيلق «بدر» إلى العمل السياسي بشكل علني؛

- أن منظمة بدر هي أقوى فصيل ومليشيا شيعية في العراق، وأول مليشيا حاربت ضد مصالح بلدها العراق. منظمة «بدر» هي العصب الرئيس للحشد الشعبي؛
- تحول المنظمة إلى العمل السياسي أوصلَ قادتها العسكريين إلى الاستحواذ على القرار السياسي؛
- إلقاء الضوء على حجم العمليات العسكرية للمنظمة خلال فترة عملها العسكري وبعد فترة التحول للعمل السياسي.

الدراسات السابقة

- دراسة بعنوان: «منظمة بدر للإعمار والتنمية»، وهي دراسة حول منظمة بدر وتاريخها، أصدرها مركز «فريمان سبوغلي للدراسات الدولية»، والذي يُعدُّ مركز البحوث الرئيس بجامعة ستانفورد المتخصص في دراسة الشؤون الدولية. وتقتصر الدراسة على تاريخ المنظمة بدءًا من نشأتها حتى اليوم، وتسليط الضوء على عملياتها العسكرية والإستراتيجية الخاصة بها، مع دراسة جزء من الفكر الأيديولوجي، وتفاعلات المنظمة وقيادتها مع الميليشيات الشيعية الأخرى في العراق. إلا أن الدراسة تفتقر إلى تغطية الجانب الخاص بتحول المنظمة من العمل المسلح إلى العمل السياسي وأثره وتداعياته.
- الدراسة الثانية كانت بعنوان: «من السلاح إلى السلام: التحولات من العمل السياسي المسلح إلى العمل السياسي السلمي»، وهي ندوة أقيمت في نوفمبر 2018 في الدوحة، وقد أقامها «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في الدولة»، وتُعدُّ هذه الندوة الأولى على مستوى الوطن العربي التي تناولت موضوع التحولات عند الجماعات المسلحة، وقد تطرقت الندوة إلى الكثير من قضايا التحولات للعمل السياسي عند الجماعات المسلحة على المستويين العربي والعالمي، وتم استضافة عدد من الشخصيات الأكاديمية والشخصيات الميدانية والعسكرية السابقة في تلك التنظيمات والجماعات المسلحة.
- دراسة بعنوان: «المليشيات الموالية لإيران في العراق 2019»، وهي دراسة قدمها مركز «ويلسون» في واشنطن، وهو منتدى سياسي يهدف إلى معالجة القضايا العالمية من خلال البحث المستقل والحوار المفتوح، تأسس عام 1968، وأطلق عليه هذا الاسم نسبة إلى الرئيس «وودرو ويلسون». تناولت الدراسة عددًا من الميليشيات في العراق من بينها منظمة «بدر»، وتناولت الدراسة مقدمة عامة عن المنظمة وعن قائدها «هادي العامري»، كما تناولت تحوُّل المنظمة للعمل السياسي لكن بصورة مختصرة، وذكرت أيضًا تعداد قوات بدر.

- الدراسة الرابعة بعنوان: «منظمة بدر: أداة إيران الأكثر أهمية في العراق»، أصدرها المعهد الألماني للشؤون الدولية والأمنية في برلين عام 2017، تناولت في موضوعاتها تحول منظمة «بدر» للعمل السياسي وتاريخ المنظمة في عملها المسلح منذ نشأتها في إيران حتى قيادة الحشد الشعبي، وقد أولت الدراسة اهتمامًا بالجانب الأيديولوجي للمنظمة وللقوات العسكرية وقياداتها، ومشاركتها في الحرب في سوريا، وصعودها كقوة إقليمية.

أولاً: منظمة بدر: قياداتها، قدراتها العسكرية، والإيديولوجيا

عُرِفَت منظمة بدر فيما مضى باسم «فيلق بدر» «وهي أقدم الميليشيات الشيعية في العراق»¹. تأسست عام 1982 في إيران، وتم تمويلها وتجهيزها وتدريب كوادرها وقياداتها من قبل الحرس الثوري الإيراني². تشكلت قوات بدر في بداياتها من الموالين للنظام الإيراني ومن بعض الأسرى الذين اعتُقلوا في إيران في سنوات الحرب العراقية الإيرانية، وتعدُّ منظمة بدر الجناح العسكري للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، والذي يترأسه المرجع الديني محمد باقر محسن الحكيم منذ النشأة، وحتى انشقاق منظمة بدر عن المجلس الأعلى عام 2010 بفعل الضغوط الإيرانية. ولقد أسست منظمة بدر قناة «الغدير» الفضائية فيما بعد لتصبح صوت المنظمة الرسمي، وفي عام 2003 عادت قوات فيلق بدر إلى العراق لاستغلال الفراغ السياسي بعد سقوط صدام حسين³. وتم الاستيلاء على مختلف الأجهزة والمراكز الحكومية ونقل وثائق حكومية إلى إيران⁴.

1. قيادة المنظمة

يتولى قيادة المنظمة وإدارتها سياسيًا وعسكريًا وأمنيًا كلٌّ من:

- هادي فرحان عبد الله العامري: من مواليد مدينة ديالى عام 1954، تولّى قيادة منظمة بدر منذ تأسيسها في عام 1982 م وحتى اليوم، تولى حقيبة وزارة النقل والمواصلات عام 2011، وفاز في انتخابات مجلس النواب ضمن كتلة المجلس الإسلامي العراقي الأعلى، كما تولّى قيادة قوات الحشد الشعبي ضد تنظيم الدولة «داعش» في الموصل وتكريت ومناطق أخرى. وهو اليوم يقود

¹ German Institute for International and Security Affairs. The Badr Organization Iran's Most Important Instrument in Iraq. Guido Steinberg. 2017

² Welson Center. Washington. 2018. Garrett Nada and Mattisan Roran

³ German Institute for International Security The Badr Organization Iran's Most Important Instrument in Iraq Guido Steinberg. 2017.

⁴ حمدي بشير علي، العنف المقدس: النفوذ الاقتصادي للميليشيات والأمن الإقليمي.

تحالف الفتح الذي يضم قوات وفصائل الحشد الشعبي في الحكومة العراقية، ويُعدُّ العامري من أشهر الشخصيات الشيعية الموالية لإيران في العراق.

- جمال جعفر (وشهرته أبو مهدي المهندس): اسمه جمال جعفر محمد علي آل إبراهيم، من أشهر قيادات منظمة بدر والحشد الشعبي، بل إنه صاحب نفوذ كبير من العراق، ولد عام 1954 في البصرة من أب عراقي وأم إيرانية، وتخرَّج في بغداد مهندسًا عام 1977. اتجه في أوائل الثمانينات إلى الكويت، والتحق بحزب الدعوة الإسلامية العراقي المناهض لحكم البعث، وفي الكويت صدر ضده حكمٌ غيابيٌّ بالإعدام لاثامه بالضلوع في سلسلةٍ من التفجيرات استهدفت سفارتي الولايات المتحدة وفرنسا عام 1983¹. وكذلك تفجير المقاهي الشعبية في الكويت؛ ما دفعه إلى مغادرة الكويت إلى إيران والالتحاق بقوات فيلق بدر، ثم تولى أعمالًا سياسية في العراق بعد عام 2003 حتى أصبح نائبًا في البرلمان عام 2005، وقد اغتيل مؤخرًا في يناير 2020 جرّاء استهداف موكبه مع قاسم سليمان بقصفٍ صاروخيٍّ أمريكي.

- قاسم الأعرجي: من مواليد الكوت في العراق عام 1964، يُعدُّ من الأعضاء البارزين والقيادات المعروفة في منظمة بدر، شَغَلَ منصب وزير الداخلية من عام 2017 حتى 2018، وهو حاليًا عضو في مجلس النواب العراقي، اعتقلته سابقًا القوات الأمريكية في العراق مرتين: الأولى عام 2003، والثانية عام 2007.

- محمد الغبان: وُلِدَ في بغداد عام 1961، وهو حاليًا عضو مجلس النواب العراقي منذ عام 2018، ورئيس كتلة الفتح في المجلس النيابي، تولى حقيبة وزارة الداخلية من عام 2014 حتى عام 2016، وضمَّ الكثير من قوات بدر إلى وزارة الداخلية؛ وذلك لمواجهة تنظيم الدولة (داعش) في الموصل والمناطق المختلفة، حصل مؤخرًا على الدكتوراة في العلوم السياسية من جامعة طهران.

- علي عدنان المحسني (أبو علي البصري): قيادي معروف في منظمة بدر يشغل حاليًا منصب نائب رئيس الحشد الشعبي خلفًا لأبي مهدي المهندس بعد مقتله في يناير 2020، ويُعدُّ البصري من رجالات إيران المعروفين، وقد تولى عددًا من المناصب الأمنية، وكان من أقدم القيادات التابعة لمنظمة «بدر» في إيران.

- محمد الجويبراوي (أبو علي): قيادي معروف في «بدر»، ورئيس اللجنة الأمنية بمجلس محافظة بغداد، وأحد قادة الحشد الشعبي، تولى عام 2003 مسؤولية قاطع الرصافة، وهو مسؤول

¹ BBC news. 2020. Jan 3

التمويل في منظمة «بدر»، قام بتجنيد الكثير من الشباب للقتال في سوريا والعراق وتمويلهم وإدارتهم، وتعرض لمحاولة اغتيال في أثناء أحد لقاءاته مع قناة «الغدیر»، وأصيب برصاص قناصة.

2. القدرات والعمليات العسكرية:

منظمة «بدر» هي أقوى ميليشيا شيعية في العراق وأكثرها تدريباً. وتُعدُّ منظمة «بدر» العامود الفقري لقوات الحشد الشعبي؛ لما تمتلكه المنظمة من تاريخ طويل في القتال المسلَّح وحصولها على أعلى درجات التدريب العسكري الاحترافي. يصل حجم القوات العسكرية في منظمة «بدر» إلى أكثر من 50,000 (خمسين ألف) مقاتل. فضلاً عن قيادة المنظمة الميليشيات العراقية الأخرى تحت اسم الحشد الشعبي، كما يتوفر للجانب العسكري لمنظمة «بدر» مستوى عالٍ من التسليح يتميز بتنوعه وتطوره، حيث تستخدم المنظمة الأسلحة الخفيفة والمتوسطة والثقيلة أيضاً، فضلاً عن أسلحة المدفعية وراجمات الصواريخ الكورية والمدافع الرشاشة ومضادات الدروع، إضافةً إلى القطع العسكرية الثقيلة مثل: الدبابات الأمريكية الصنع (إم 1 إبرامز)، والدبابات الروسية (تي 72)، وناقلات الجنود المصفحة (إم 113)، وكاسحات الألغام¹، وصواريخ غراد الروسية، وطائرات مسيّرة للاستطلاع والتصوير². أما فيما يخص العمليات العسكرية التي نفذتها منظمة «بدر» فقد مرّت بفترتين زمنيّتين في تاريخ التنظيم: الأولى منذ نشأة ميليشيا «بدر» في إيران وخوضها العمل المسلح حتى عام 2003، والفترة الثانية في أعقاب تحول المنظمة للعمل السياسي منذ 2003.

في فترات التأسيس، وخلال الحرب العراقية الإيرانية اعتمد فيلق «بدر» أسلوب التعبئة الجماهيرية عند كل معركة، بالرغم من أنّ واجباته كانت مقتصرة على نقاط حراسة في الأهوار والكمائن والدوريات والتنصت³. ولا شك أن القدرات العسكرية الهائلة لمنظمة «بدر» جعلتها قادرة على خوض عملياتها العسكرية بأسلوب المواجهة العسكرية التقليدية والنظامية لما يتوافر لها من تسليح متطور، كما أنها قادرة على خوض عمليات عسكرية عابرة للحدود. في أوائل التسعينات، بدأت منظمة بدر في التحول من قوة حرب العصابات إلى منظمة عسكرية تقليدية⁴. ومن أشهر تلك العمليات العسكرية التي نفذتها على سبيل المثال لا الحصر:

¹ Jazeera.net 2019

² Jazeera.net 2019

³ Stanford University The Badr Organization of Reconstruction and Development. The Freeman Spogli Institute for International Studies at Stanford.2019.

⁴ الجزيرة الإخبارية 2019

- المرحلة الأولى (1983-2003): مرحلة العمل المسلح: العمليات العسكرية في العراق والكويت والمملكة العربية السعودية. ففي العراق حدثت عمليات مشتركة مع الحرس الثوري الإيراني خلال الفترة من (1980-1988) ضد قوات الجيش العراقي وضد مسؤولين حكوميين في جنوب العراق.¹ والانتفاضة الشعبانية عام 1991 ضد النظام العراقي، وعلى الرغم من ترسانة المعدات الثقيلة والأسلحة التي تمتلكها منظمة «بدر» فقد سحق الجيش العراقي لواء بدر بسهولة خلال الانتفاضة.² وفي السعودية (يونيو 1996) عبوة ناسفة أسفرت عن مقتل 19 من جنود القوات الجوية الأمريكية في الخبر.³ وفي الكويت حدث تفجير سفارتي الولايات المتحدة وفرنسا عام 1983؛ وتفجيرات في مطار الكويت الدولي عام 1983؛ وتفجير مصفاة نفط عام 1983؛ تفجير موكب أمير الكويت عام 1985 بسيارة مفخخة، نفذها أبو مهدي المهندس القيادي في بدر. علمًا بأن التفجيرات في الكويت كانت بالتعاون بين أعضاء من حزب الدعوة العراقي وحزب الله اللبناني وبين أبو مهدي المهندس القيادي في بدر.

- المرحلة الثانية منذ عام 2003: تُعدُّ هذه الفترة هي مرحلة التحول من العمل المسلح إلى العمل السياسي، ويُلاحظ فيها خوض تنظيم «بدر» الكثير من العمليات العسكرية في العراق وسوريا. في العراق قام بعمليات عسكرية في الفترة من (2004-2006) وهي المعروفة بالحرب الطائفية بين الشيعة والسنة في العراق، وكانت نتيجتها قتل 2000 شخص (سني) خلال تلك الفترة بأوامر شخصية من هادي العامري زعيم منظمة بدر.⁴ وفي عام 2006، قتل وتعذيب 100 شخص من قبل رجال الشرطة في وزارة الداخلية. واستنادًا إلى (جون بين) مفوض حقوق الإنسان بالأمم المتحدة، فإن العديد من رجال الشرطة هؤلاء يُشتبه في أنهم أعضاء في منظمة بدر.⁵ وفي ديسمبر 2007، مقتل خمسين من الزوار الشيعة في اشتباك بين جيش المهدي ومنظمة «بدر» في كربلاء.⁶ وفي عام 2014 معارك ضد تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) في الموصل وديالى. إضافة إلى مقتل

¹ The Badr Organization of Reconstruction and Development. The Freeman Spogli Institute for International Studies at Stanford.2019

² The Badr Organization of Reconstruction and Development. The Freeman Spogli Institute for International Studies at Stanford.2019

³ 'Terror Attack Victim' Sick 'Over Iraqi Minister Hadi al-Ameri's Visit to White House Dec. 16, 2011. Fox News.

⁴ Election Law Crisis Fosters Sunni-Shia Cooperation, "American Embassy Baghdad. Wikileaks.web. 29 Jul. 2015

⁵ The Badr Organization of Reconstruction and Development. The Freeman Spogli Institute for International Studies at Stanford.2019.

⁶ Babak Rahimi", The Return of Moqtada al-Sadr and the Revival of Mahdi Army. JUNE 2010, VOLUME 3, ISSUE 6. Combating terrorism center. West Point.

سجناء سُيِّتَيْن من قِبل المنظمة، واستهداف المتعاطفين مع تنظيم الدولة (داعش) حسب هيومن رايتس ووتش¹. وفي عام 2015 اشتباه في قتل 72 مدنيًا عراقيًا من قِبل المنظمة في المقدادية². كذلك قاتلت المنظمة ضد الدولة الإسلامية (داعش) في تكريت بالتعاون مع قاسم سليمان قائد فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني³. وفي عام 2016 عمليات عسكرية مشتركة مع قوات الأمن العراقية في الفلوجة، عمليات عسكرية مشتركة لاستعادة الموصل. وفي أكتوبر 2017 عمليات عسكرية مشتركة مع قوات الأمن العراقية والحشد الشعبي ضد القوات الكردية في محافظة نينوى.

في سوريا وصلت أعداد كبيرة من القوات الشيعية من العراق وباكستان وأفغانستان في مهمة للدفاع عن النظام في سوريا. في عام 2013 أكدت منظمة «بدر» أن مجموعة قوات الصدر التابعة لها قد عانت من أول قتال في سوريا⁴. إضافة إلى عمليات عسكرية في السيدة زينب ومناطق جنوب دمشق والغوطة الشرقية⁵.

4. إيديولوجيا المنظمة

تؤمن منظمة بدر بنظرية ولاية الفقيه وفق الرؤى والقراءات الخمينية، وتعد منظمة «بدر» أقدم وكيل إيراني في العراق⁶. تطبق مناهجها وسياساتها، وتتبع مباشرة المرشد الأعلى علي خامنئي، وتقوم نظرية ولاية الفقيه على الاعتقاد في قيادة الأمة بالنيابة عن الإمام المعصوم الغائب الذي يرجع في زمان معين للأخذ بالثأر والانتقام من أعداء المذهب وإقامة العدل، وعلى سد الفراغ على المستوى الاجتماعي والسياسي⁷. ومن المعروف أن نظرية ولاية الفقيه قد رفضها وحاربها بعض علماء الشيعة الكبار، لدرجة أن طائفة منهم ذهبت إلى القول بعدم شرعيتها وعدم جواز التعامل معها بصفتها غاصبة للحق من أهله الشرعيين⁸. ومن أبرز المعارضين لها الشيخ مرتضى الأنصاري،

¹ The Badr Organization of Reconstruction and Development. The Freeman Spogli Institute for International Studies at Stanford.2019.

² The Badr Organization of Reconstruction and Development. The Freeman Spogli Institute for International Studies at Stanford University .2019.

³ The Badr Organization of Reconstruction and Development. The Freeman Spogli Institute for International Studies at Stanford.2019.

⁴ Combating Terrorism Center – west point. From Karbala

⁵ مركز الجزيرة للدراسات 2019.

⁶ Wilson Center

⁷ almaaref.org

⁸ علي الأمين. ولاية الدولة ودولة الفقيه. بيروت

والسيد أبو القاسم الخوئي¹. وكذلك محمد كاظم شريعة مداري والذي يُعدُّ أول مَنْ جَهَرَ بمعارضته لولاية الفقيه².

على الرغم من ذلك فإنَّ منظمة «بدر» تدين بولائها التام لنظرية ولاية الفقيه ولإيران، فالجماعة مؤيد قوي للمرشد الأعلى الإيراني علي خامنئي، والذي وصفه هادي العامري بأنه «ليس زعيم الإيرانيين فقط؛ بل زعيم للأمة الإسلامية». ومن ناحية أخرى فإن شعار منظمة بدر وجناحها العسكري يدل بشكل واضح على الارتباط الأيديولوجي والتبعية لإيران؛ فهو يشبه إلى حد كبير شعار الحرس الثوري الإيراني. فشعار الحرس الثوري الإيراني فيه مجموعة من العناصر بينها حرف «لا» الذي يرمز إلى «عبارة التوحيد» وبين الرؤية والفكر العقائدي للحرس الثوري³.

وكذلك بالنسبة لشعار منظمة بدر الجناح العسكري فإن كلمة «لا» توجد بنفس الشكل على شعار الحرس الثوري، وفي كلا الشعارين تخرج من الكلمة «لا» يدٌ تحمل بندقية للدلالة على القوة والقتال المستمر، ويحتوي الشعاران على غصن الزيتون؛ وهي إشارة إلى الدعوة إلى السلام، وخلف كلا الشعارين توجد الكرة الأرضية للدلالة على أن حدود نطاق عملهما هو العالم أجمع وليس مقصوراً على إيران أو العراق. وفوق الشعارين تأتي الآيات القرآنية. أما شعار منظمة بدر للإعمار فيرمز إلى العمل في العراق وتنميته؛ وذلك لوجود خارطة الدولة العراقية وعليها رمز أداة بناء تقليدية للإشارة إلى التنمية والإعمار التي تسعى المنظمة لتطبيقها في العراق، ويحتوي كذلك الشعار على القرآن وبداخله غصن الزيتون وفوق الشعار عبارة (سيادة - عدالة - إعمار) وآية قرآنية. والجدير بالذكر أن غالبية الميليشيات الشيعية في العراق تتشابه في شعاراتها مع شعار الحرس الثوري الإيراني وتحتوي على نفس العناصر والدلالات الموجودة فيه.

ثانياً: التحول من العمل المسلح إلى العمل السياسي وأثره على البيئة الداخلية

والخارجية

تتجه المنظمات والجماعات المسلحة عادة في تحولها إلى العمل السياسي إلى استكمال رسالتها وتطبيق أهدافها الإستراتيجية بعد الفشل في فرض أهدافها بالعمل المسلح والقتالي. يَبْدُ أن لهذه التحولات من الأعمال العسكرية إلى العمل السياسي أبعاد ثلاث وهي: البُعد السلوكي، والبُعد

¹ أحمد الكاتب، تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2007).

² محمد الصياد، موقف النظام الإيراني من المراجع ورجال الدين المخالفين (الرياض: المركز الدولي للدراسات الإيرانية).

³ CNN. بالعربية (إبريل 2014)

التنظيمي، والبُعد الأيديولوجي، فعندما تتضمن عملية التحول الأبعاد الثلاثة تصبح عملية (شاملة)¹. أما إذا تضمنت عملية التحول للعمل السياسي البُعدين السلوكي والتنظيمي فقط دون البعد الفكري والأيديولوجي فإن عملية التحول تُسمّى تحولاً براغماتياً². وفي تحول منظمة بدر للعمل السياسي، اقتصر تحولها فقط على المستوى التنظيمي وبشكل محدود أيضاً؛ فقد اتجه قادتها للانخراط في العمل السياسي دون تفكيك جماعاتها وقواتها الرئيسية أو حتى سحب سلاحها رسمياً. وكذلك على المستوى الأيديولوجي، فلم تغير المنظمة قناعاتها تجاه الأفكار المستوردة من إيران، بل إنها تفخر وبصورة رسمية بأنها على نهج ولاية الفقيه ومرجعية الخامنئي.

ولو أخذنا على سبيل المثال، بعض النماذج من الجماعات المسلحة المتحوّلة للعمل السياسي كالجماعة الإسلامية في مصر ومنظمة الفارك الكولومبية لوجدنا أنهم اتجهوا إلى عملية التحول السياسي شبه الشاملة، وذلك بعد تلقي تلك التنظيمات ضربات عسكرية موجعة أدت في النهاية إلى محاولة بعض قادتها من الابتعاد عن العمل المسلح والاكتفاء بالتنظير الفكري وإلقاء المحاضرات حول تجربتهم السابقة. وهذا لا نجده في حقيقة الأمر عند قادة منظمة بدر، الذين على الرغم من وصولهم إلى مناصب حساسة في الحكومة العراقية وتولّهم وزارات الداخلية والنقل وحقوق الإنسان، إلا أنهم احتفظوا بمنظومة القيادة العسكرية للميليشيا وقيادة عمليات عسكرية على المستوى المحلي والإقليمي.

لقد أثرت البيئة الداخلية والخارجية بكل تفاعلاتها في مسار تحول منظمة بدر للعمل السياسي، سواء كانت عملية تحول المنظمة تحولاً جاداً من عدمه، إلا أنني أستطيع القول أن: من المهم معرفة المؤثرات الرئيسة لفهم بيئة العراق المعقدة والبيئة الخارجية كذلك. ويمكن تقسيم مسار منظمة بدر منذ عام 2003 وحتى عام 2019 إلى ثلاث فترات زمنية.

1. الفترة الأولى منذ عام 2003 إلى عام 2010

تأثرت علاقة منظمة بدر بالمجلس الأعلى للثورة الإسلامية بعد العودة إلى العراق عام 2003؛ وذلك ناتج عن الصراع القومي بين الإيرانيين والعراقيين، وكذلك الصراع بين المرجعيات الدينية الشيعية على السيادة في النجف، وخاصة بين السيستاني الإيراني والحكيم العراقي. اتضح حجم

¹ "مؤتمر من السلاح إلى السلام: التحولات من العمل السياسي المسلح إلى العمل السياسي السلمي" (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018).

² المرجع نفسه.

الصراع عند عودة محمد باقر الحكيم للعراق وتصريحه المباشر الذي جاء فيه: «لا نقبل من أحد أن يفرض هيمنته علينا»¹.

يُعدُّ محمد باقر الحكيم شخصية دينية ومرجعية معروفة في الأوساط الشيعية، وهو ابن محسن الحكيم أكبر مرجع شيعي في النجف في وقته، وترجع أصوله إلى أسرة علمية معروفة في الأوساط الشيعية وفي العالم العربي والإسلامي، بخلاف بعض القيادات الإيرانية والمرجعيات كالخميني (مثلاً) الذي لم يكن معروفًا كمرجع؛ بل عُرف عنه العمل السياسي. ومعلوم أن الخميني كان على خلاف مع الحكيم الأب وخلفه الخوئي.² وبالرغم من مظاهر الدعم بين الحكومة الإيرانية والمعارضة الإسلامية العراقية، فإن هناك خلافات كثيرة أضعفت هذه العلاقات: فهناك الانقسام القومي بين الإيرانيين والعراقيين وما رافق ذلك من نظرة استعلائية من قبل الإيرانيين إزاء كفاح العراقيين الشيعة³. فصراع المرجعيات هذا ليس جديداً، حيث فيه جانب ديني يتصل بتزاع فقهيّ حول ولاية الفقيه بين النجف وقم⁴. وهناك أيضاً الصراع القومي بين العرب والفرس، وهو صراع قديم له جذوره التاريخية، إضافةً إلى الصراع السياسي حول المصالح الخاصة في العراق. وفي عام 2007 غيّر المجلس الأعلى للثورة الإسلامية اسمه إلى «المجلس الأعلى الإسلامي العراقي»؛ ويعود ذلك جزئياً إلى رغبة المجلس في النأي بنفسه عن إيران⁵. نشأ بعد ذلك انشقاق بين المجلس الأعلى ومنظمة «بدر»؛ وذلك نتيجة لمعارضة الحكيم لبعض سياسات إيران وحرصه على إبقاء المجلس الأعلى في منأى عن عقيدة ولاية الفقيه، وتفاقم الموقف بعد إعلان طهران عن دعمها لرئيس الوزراء العراقي نوري المالكي⁶، ووصل الأمر إلى الإعلان عن الانفصال رسمياً في مؤتمر عُقد عام 2012.

تعمل الميليشيات الشيعية جنباً إلى جنب مع الحكومة ولا تستهدفها؛ بل تدعمها، علماً بأنها متنافسة فيما بينها تكتيكياً ومنسجمة إستراتيجياً مع مشروعات الحكومة العراقية المتعاقبة التي لا تتعارض سياساتها مع إيران⁷. وأحياناً يصل التنافس بين الميليشيات الشيعية في العراق إلى خوض العمل المسلح ضد بعضهم بعضاً كما هو الحاصل بين جيش المهدي وقوات منظمة «بدر» (على

¹ رشيد الخيون، المشروع الإيراني بالعراق: مصلحة باغتيال الحكيم وسليم (أبو ظبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، 2019).

² المرجع نفسه.

³ خليل علي حيدر، العمامة والصولجان: المرجعية الشيعية في إيران والعراق (الكويت: 1997).

⁴ صحيفة الشرق الأوسط 2019

⁵ The Washington institute. Philip Smyth. 2016. Should Iraq's ISCI Forces Really Be Considered "Good Militias?"

⁶ Ibid.

⁷ ماجد الطائي، "الصراع الشيعي الشيعي في العراق"، نون بوست (2016).

سبيل المثال). وخلال الفترة الأولى من التحول للعمل السياسي للمنظمة، قاتلت منظمة بدر على ثلاث جبهات لقوى رئيسة في العراق: كالقتال ضد خصومها السُّنة والبعثيين، والقتال ضد الشيعة الصديريين؛ وقاتلت أحياناً القوات الأمريكية¹. والجدير بالذكر أن المنظمة خلال هذه الفترة قد خسرت تأييد بعض أطراف المجتمع العراقي، خاصة السُّنة والشيعة أنصار التيار الصدري، وأصبحت هدفاً لتنظيم القاعدة والمقاتلين السُّنة الذين أطلقوا عليها اسم (فيلق غدر - Treachery Corps) بدلاً من «بدر»².

2. الفترة الثانية 2010-2014 (فترة العمل السياسي)

تسعى منظمة بدر إلى الحصول على نفوذ سياسي أكبر وتوسيع نفوذ الشيعة في العراق. كما تسعى لإقامة كيان مستقل بذاته وإنشاء محافظة شيعية مستقلة في جنوب العراق³. بعد استقلال المنظمة عن المجلس الأعلى وقيامها بالانخراط في العمل السياسي، تحالفت المنظمة مع الائتلاف الوطني العراقي وكذلك ائتلاف دولة القانون لخوض الانتخابات. في عام 2014 ظهرت منظمة «بدر» كحزب سياسي بارز، وحصلت على 22 مقعداً في البرلمان المكوّن من 328 عضواً وانضمت إلى حكومة الائتلاف الحاكم⁴. حصلت المنظمة على عدد من الحقائب الوزارية في الحكومة: كوزارة الداخلية، والنقل، وحقوق الإنسان. وأصبحت قواتها أكبر فصيل داخل قوات أمن الدولة وخاصة الشرطة⁵.

تمكنت المنظمة بشكل تدريجي من الوصول إلى السياسة العراقية ومؤسسات الدولة⁶. وخلال هذه الفترة ونتيجة للتفاعلات الدولية والإقليمية والداخلية للعراق فقد برزت مدن تكريت والفلوجة والأنبار والموصل كبيئة حاضنة للجماعات السُّنية المتطرفة، وذلك رغبة من سكان تلك المدن بالحصول على نوع من الحماية ضد ممارسات الميليشيات الشيعية ووزارة الداخلية العراقية. والجدير بالذكر أن خلال هذه الفترة وخاصة في عام 2014 أُدرجت منظمة «بدر» على قائمة الإرهاب التي تصدرها دولة الإمارات العربية المتحدة⁷.

¹ Wilson Center. Washington. 2018. Garrett Nada and Mahisan Rowan

² The Endgame: The Inside Story of the Struggle for Iraq, from George W. Bush to Barack Obama. Michael Gordon.

³ The Badr Organization of Reconstruction and Development. The Freeman Spogli Institute for International Studies at Stanford university. 2019.

⁴ Wilson Center. Washington, op.cit.

⁵ Ibid.

⁶ Iran's Networks of Influence in the Middle East. November 2019. The international institute for strategic studies. Washington.

⁷ وكالة أنباء الإمارات. «وام». 2014. Wam news. مجلس الوزراء يعتمد قائمة التنظيمات الإرهابية.

3. المرحلة الثالثة منذ عام 2014 إلى 2019

تتميز هذه المرحلة بقيادة منظمة «بدر» للعمل العسكري والسياسي في الوقت ذاته. فبعد فتوى السيستاني (للجهاد الكفائي) ضد تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) أسس الحشد الشعبي الذي يضم كل التنظيمات والمليشيات الشيعية في العراق. كانت منظمة «بدر» تشكل أهم فصيل عسكري في الحشد الشعبي، وتولى قائد المنظمة هادي العامري قيادة قوات الحشد الشعبي بنفسه. وعلى الرغم من أن الحركات المسلحة والمليشيات العسكرية لا تتوحد في الغالب (وذلك لانعدام الثقة فيما بينها) فإن الفصائل الشيعية في العراق توحدت بسبب الانتماء الأيديولوجي الواحد، ومكانة المرجعية الدينية، والهدف المشترك الموحد بإزالة تنظيم الدولة الإسلامية. وبعد عام 2014 أصبحت منظمة بدر واحدة من الجهات الفاعلة الرئيسة في السياسة العراقية¹. إذ استطاعت منظمة بدر أن تشكل تحالف (الفتح)، وهو تحالف سياسي يضم أغلب الفصائل المسلحة والمليشيات التي قاتلت ضمن وحدات الحشد الشعبي، بما فيها عصائب أهل الحق، والمجلس الأعلى الإسلامي العراقي وغيرهم.

جاء هذا التطور السريع للمنظمة بسبب نجاحات وحداتها العسكرية في القتال ضد الدولة الإسلامية (داعش)². حصل تحالف الفتح بقيادة هادي العامري على 48 مقعداً في البرلمان، واحتل بذلك ثاني أكبر نسبة داخل الحكومة العراقية. ارتبط تحالف الفتح بكل مكوناته بإيران ارتباطاً وثيقاً، ومن خلاله تهدف طهران إلى ممارسة أكبر قدر ممكن من النفوذ على الحكومة المركزية في بغداد³. وعلى الرغم من حرق مقرات منظمة «بدر» في بعض المناطق في العراق نتيجة للاحتجاجات على سوء الأوضاع العامة في البلاد، فإن المنظمة قد نمت بشكل ملحوظ، وهي تلعب الآن دوراً مشابهاً لدور حزب الله في لبنان⁴. ومن المحتمل أن يصبح هادي العامري قائد منظمة «بدر» رئيس وزراء مستقبلي للعراق⁵.

أثرت الأحداث السياسية والعسكرية في سوريا على سلوك منظمة «بدر» وتوجهاتها، وذلك خلال الفترة من عام 2010 إلى 2014، حيث كانت تخوض منافسات سياسية في البرلمان والحكومة العراقية. كانت المليشيات العراقية والأفغانية تقاتل إلى جانب قوات بشار الأسد ضد المتمردين

¹ Iran's Network of influence in Middle East. The International institute for Strategic Studies.

² German Institute for International and Security Affairs. The Badr Organization Iran's Most Important Instrument in Iraq. Guido Steinberg. 2017

³ Ibid.

⁴ Ibid.

⁵ Wilson Center. Washington, op.cit.

السُّنة منذ شتاء 2011-2012.¹ وكان الدافع الرئيس للقتال في سوريا هو حماية المواقع الشيعية المقدسة كمسجد السيدة زينب في دمشق، فضلاً عن «التحالف بين جمهورية إيران الإسلامية ونظام الأسد القائم منذ عام 1980»²، وكذلك من أجل تأمين روابط نقل جيواستراتيجية حيوية لحزب الله اللبناني.³

من المعلوم أيضاً أن طهران قد حرصت على بناء منظومة كاملة من الميليشيات والشبكات التابعة لها، وتمثل تلك الميليشيات «أهمية متزايدة في الإستراتيجية الإيرانية تجاه المنطقة، حيث تستخدمها طهران في بناء نفوذها السياسي في جوارها الإقليمي».⁴ وهذا النفوذ يمكّنها من القدرة على «استدعاء هذه الشبكة لتنفيذ ذلك النوع من الهجمات الإرهابية غير المتماثلة التي يمكن تنفيذها، مع قدرة معقولة على إنكار المسؤولية؛ ما يجعل الرد المستهدف أكثر صعوبة».⁵ ومنذ دخولها في سوريا، بلغ حجم قوات بدر من 1000 إلى 1500 مقاتل من مجموع 3000 إلى 5000 مقاتل من باقي الميليشيات العراقية المُشاركة، وقد عادت معظم القوات والميليشيات العراقية المشاركة في سوريا عام 2014 لقتال تنظيم الدولة في الموصل والعراق، إلا أن هناك أدلة كثيرة على أن منظمة «بدر» كانت تقاتل في سوريا عام 2016 أيضاً.⁶

خاتمة

في الختام، فقد واجه البحث بعض الصعوبات المتعلقة بجمع المادة العلمية حول تحول جماعة وتنظيم «بدر» إلى العمل السياسي. فلا شك أنه من الصعوبة بمكان إجراء الدراسات أو المقابلات الميدانية مع قيادات التنظيم لما يكتنف إجراء مثل هذه المقابلات من مخاطر، فضلاً عن وجودها في بيئة وأحداث في غاية الخطورة؛ إلا أن المعلومات التي جُمعت وحُلّلت من أجل هذا البحث أعطت صورة واضحة عن تحول منظمة بدر للعمل السياسي وتأثيرات البيئة الداخلية والخارجية على المنظمة. وفي ضوء ما سبق توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

¹ German Institute for International and Security Affairs, op.cit.

² The Badr Organization of Reconstruction and Development. The Freeman Spogli Institute for International Studies at Stanford University. 2019.

³ From Karbala to Sayyida Zaynab: Iraqi Fighters in Syria's Shi'a Militias Syria Special Issue. Combating terrorism center. West Point.

⁴ حمدي بشير علي، مرجع سابق، ص 131

⁵ ماثيو ليفيت، "شهادة أمام اللجنة الفرعية لشؤون الشرق الأوسط ووسط آسيا، التابعة للجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي" (معهد واشنطن لسياسات الشرق الأوسط).

⁶ German Institute for International and Security Affairs, op.cit.

- أن لمنظمة بدر القدرة على خوض عمليات مُسلَّحة على المستوى الإقليمي والدولي، وهذا يتبين من خلال عملياتها في دول الجوار طوال تاريخ المنظمة، ومن الممكن استخدامها لدعم المصالح الإيرانية.
- أن منظمة بدر هي الأكثر تدريبًا وتسليحًا من بين كل التنظيمات المُسلَّحة في العراق، ومن الجماعات الأبرز في الشرق الأوسط التي تحظى بقوة عسكرية نظامية وتدريب متطور.
- يتبين أيضًا أن منظمة بدر قد قامت بعمليات عسكرية كبيرة خلال تحولها للعمل السياسي في الفترة من 2003-2019 بنسبة أعلى بكثير من فترة عملها المُسلَّح بين عامي 1983 و2003.
- خلال فترة تحول المنظمة للعمل السياسي منذ عام 2003 تبين عدم شمولية التحول نحو العمل السياسي وعدم جدية دعواه، ويمكن وصفه بأنه تحول براغماتي وعلى المستوى التكتيكي فقط.
- للمنظمة القدرة على قيادة العمل العسكري والسياسي في العراق وقيادة الحشد الشعبي وتوجيهه محليًا وإقليميًا.
- خلال عمل المنظمة السياسي وخاصة في الفترة الثانية بين عام 2010 حتى 2014 أدرجتها دولة الإمارات العربية المتحدة على قائمة الإرهاب.
- أن الجمع بين كل العوامل السابقة يعطي نتيجة مفادها أن المنظمة سوف تكون عقبة في استقرار العراق مستقبلاً.

المراجع

باللغة العربية

- أحمد الكاتب، تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2007).
- محمد الصياد، موقف النظام الإيراني من المراجع ورجال الدين المخالفين (الرياض: المركز الدولي للدراسات الإيرانية).
- رشيد الخيون، المشروع الإيراني بالعراق: مصلحة باغتيال الحكيم وسليم (أبو ظبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، 2019).
- خليل علي حيدر، العمامة والصولجان: المرجعية الشيعية في إيران والعراق (الكويت: 1997).

"مؤتمر من السلاح إلى السلام: التحولات من العمل السياسي المسلح إلى العمل السياسي السلمي" (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018).

ماثيو ليفيت، "شهادة أمام اللجنة الفرعية لشؤون الشرق الأوسط ووسط آسيا، التابعة للجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي" (معهد واشنطن لسياسات الشرق الأوسط).
حمدي بشير علي، العنف المقدس: النفوذ الاقتصادي للميليشيات والأمن الإقليمي.
علي الأمين. ولاية الدولة ودولة الفقيه (بيروت).

باللغة الأجنبية

German Institute for International and Security Affairs. The Badr Organization Iran's Most Important Instrument in Iraq. Guido Steinberg. 2017.

Welson Center. Washington. 2018. Garrett Nada and Mattisan Roran
German Institute for International Security The Badr Organization Iran's Most Important Instrument in Iraq Guido Steinberg. 2017.

The Badr Organization of Reconstruction and Development. The Freeman Spogli Institute for International Studies at Stanford University. 2019

Terror Attack Victim' Sick 'Over Iraqi Minister Hadi al-Ameri's Visit to White House Dec. 16, 2011. Fox News.

Election Law Crisis Fosters Sunni-Shia Cooperation, "American Embassy Baghdad. Wikileaks.web. 29 Jul. 2015

Babak Rahimi", The Return of Moqtada al-Sadr and the Revival of Mahdi Army. JUNE 2010, VOLUME 3, ISSUE 6. Combating terrorism center. West Point.

The Washington institute. Philip Smyth. 2016. Should Iraq's ISCI Forces Really Be Considered Good Militias ?

Wilson Center. Washington. 2018. Garrett Nada and Mahisan Rowan
The Endgame: The Inside Story of the Struggle for Iraq, from George W. Bush to Barack Obama. Michael Gordon.

Iran's Networks of Influence in the Middle East. November 2019. The international institute for strategic studies. Washington.

German Institute for International and Security Affairs. The Badr Organization Iran's Most Important Instrument in Iraq. Guido Steinberg. 2017

From Karbala to Sayyida Zaynab: Iraqi Fighters in Syria's Shi'a Militias Syria Special Issue. Combating terrorism center. West Point.

Les facteurs sociaux économiques déclencheurs du Terrorisme en Moyen-Orient

Social and economic factors triggering in the Middle East

العوامل الاجتماعية والاقتصادية المولدة للإرهاب في الشرق الأوسط

Latifa Chaouki

أ. لطيفة شوقي¹

باحثة في العلوم السياسية والقانونية، جامعة ابن زهر (أكادير، المغرب)

Doctoral student in political and legal sciences, Ibn Zohr University (Agadir, Morocco)

ملخص: شهدت منطقة الشرق الأوسط انتشارا للإرهاب لعدة قرون، مما أدى إلى زعزعة السلام في المنطقة. وقد كانت الحركات الإرهابية في الشرق الأوسط كثيفة وخطيرة للغاية بسبب العوامل التي ولّدتها، بما في ذلك العوامل التاريخية والدينية والسياسية والإستراتيجية مثل الصراع العربي الإسرائيلي وسياسات الطائفية والتدخل الخارجي في سياسة دول المنطقة، وكذلك الفوضى التي أعقبت الربيع العربي، وفساد الأنظمة والحكومات في المنطقة. كلها عوامل رئيسية في انتشار العنف والإرهاب. بالإضافة إلى ذلك، يجب ألا نغفل من أهمية العوامل الاقتصادية الاجتماعية مثل الفقر والتميش، والعولمة التي وفرت للإرهاب جميع الظروف والوسائل التكنولوجية التي يحتاجها للتجسد والتوسع، وكذلك التخلف والبطالة وتدني مستوى التعليم والمستوى الفكري، والفساد وما إلى ذلك. وتعتبر هذه العوامل الاجتماعية والاقتصادية من العوامل الرئيسية في انتشار الإرهاب بالشرق الأوسط إلى جانب عوامل أخرى، فهي تساهم في انتشار خطاب الكراهية والتشبع بالفكر المتطرف، وكذلك لجوء الشباب إلى الجماعات الإرهابية بسبب الفقر والهشاشة ونقص موارد الدخل وانخفاض مستوى التعليم. وقد ساهم ظهور العولمة في تطوير التقنيات والشبكات الإرهابية حول العالم وسهل انضمام الشباب إلى الجماعات المتطرفة، ويرجع ذلك أيضاً إلى عدم رضا الأفراد عن توزيع الثروات.

كلمات مفتاحية: الإرهاب، الشرق الأوسط، العوامل الاجتماعية، العوامل الاقتصادية

Abstract: The Middle East region has seen the spread of terrorism for centuries, which has destabilized peace in the region. Terrorist movements in the Middle East were dense and very dangerous due to the factors that generated them, including historical, religious, political and strategic factors such as the Arab-Israeli conflict, sectarianism, as well as external interference in politics interior of the country of the region, the chaos after the Arab Spring and the disarray of regimes and governments in the region. All of them are major factors in the spread of violence and terrorism. In addition, social-economic factors such as poverty and marginalization and globalization should not be underestimated, which has also provided terrorism with all the technological means it needs to materialize and expand, underdevelopment, unemployment, level of education, intellectual level, poor distribution of wealth, corruption etc. Social and economics factors are seen as major factors in triggering terrorism in the Middle East alongside other factors. They contribute to the spread of hate speech and the saturation of extremist ideology, as well as to the recourse of young people to terrorist groups due to poverty, fragility, lack of income resources and low level of education...The advent of globalization has contributed to the development of technologies and terrorist networks across the world, it has facilitated the membership of young people in extremist groups, and this is also due to the dissatisfaction of individuals with the poor distribution of wealth.

Keywords: Terrorism, Middle East, factors, social, economic

Introduction

La région du Moyen-Orient est une zone de conflits active, en proie aux conflits internes et régionaux, mais elle est également connue par des réseaux terroristes et des attentats parmi les plus meurtriers du monde. La violence est tellement courante au Moyen-Orient que de nombreux politologues focalisent leurs recherches sur la région. Cela fait des années que les spécialistes s'efforcent de comprendre la raison pour laquelle la région du Moyen-Orient est le théâtre d'une vague apparemment sans fin de violence. Plusieurs études empiriques ont débouché sur des théories qui s'appliquent et concluent que les ingérences extérieures dans la région telle que l'intervention étrangère des USA dans la région, le conflit arabo-israélien, le radicalisme religieux et les obstacles à la modernisation sont à la racine des conflits¹.

¹ Tiffany O. Howard, « Malheureux boucs émissaires, » *ASPJ Afrique & Francophonie*, 2 ème trimestre (2013), p.25.

Cette situation particulière a été évidente au Moyen-Orient car cette région a souffert d'un manque de développement économique, de la pauvreté dans la plupart des Etats, de l'injustice sociale et d'inégalités dans la distribution des ressources. C'est ainsi que des crises économiques dues à une absence de développement ont paralysé les États de cette région en les affaiblissant sans cesse et conduisant un grand nombre de ceux qui souffraient de la pauvreté à soutenir les organisations terroristes ou à les rejoindre. En outre, les conditions de fragilité dans lesquelles se trouvent les États de cette région ont également fourni du matériel de propagande aux groupes extrémistes, ce qui a facilité leurs efforts de recrutement et légitimé leurs actes de terrorisme au sein de la population.

Nous connaissons bien qu'un ensemble des facteurs historiques, religieux, politiques et stratégiques responsables à la propagation du terrorisme en Moyen-Orient. Par ailleurs, il ne faut pas sous estimer des facteurs sociaux économiques tels que la pauvreté et la marginalisation, la mondialisation, qui a, aussi, fourni au terrorisme tous les moyens technologiques dont il a besoin, pour se concrétiser et s'étendre, le sous-développement, le chômage, le niveau de l'éducation, la mauvaise répartition des richesses, la corruption etc.¹ Nous avons figuré que cette hypothèse est confirmée aussi par L'ONU, elle rend la responsabilité des facteurs déclencheurs du terrorisme au Moyen-Orient à tous les Etats : « tous les Etats doivent prendre des mesures efficaces contre le terrorisme, tout en cherchant à faire face aux causes sous-jacentes de ce fléau, comme la pauvreté, la faim, le désespoir et l'humiliation. Il faut au contraire promouvoir le développement durable, l'Etat de droit, la bonne gouvernance, le respect des droits de l'homme »². Donc, on va s'interroger sur ces causes responsables à

¹ Charles Saint-Prot, *Islam : l'avenir de la tradition* (éditions du ROCHER, 2008), p.496.

² Rapport d'ONU, « assemblée générale des Nations Unies, compte rendu de la 6^{ème} commission des Nations Unies (en charges des questions juridiques) » AG /J/3433 (8 octobre 2012).

la propagation du terrorisme en Moyen-Orient, notamment, avant et après le printemps arabe, qui se sont fortement multipliées entre causes sociales et causes économiques. *Quels sont les facteurs sociaux économiques responsables au déclenchement du terrorisme en Moyen-Orient ?*

Nous avons vu que l'étude des facteurs sociaux économiques déclencheurs du terrorisme en Moyen-Orient est une grande nécessité afin de permettre connaître les instruments de lutte contre ledit phénomène. En effet, l'étude sur les facteurs socio-économiques responsables au déclenchement du terrorisme en Moyen-Orient nécessite la recherche des solutions et approches pour la lutte. Nous avons commencé par les facteurs sociaux (*Section 1*), suivis par les facteurs économiques (*Section 2*).

Section 1: les facteurs sociaux du terrorisme en Moyen-Orient

1. Le terrorisme en Moyen-Orient entre pauvreté et marginalisation

Nous avons commencé par la pauvreté et la marginalisation comme des facteurs sociaux principaux de l'émergence du terrorisme en Moyen-Orient. Le terrorisme, qui signifie l'usage excessif de la force et l'état résultant de la panique, la peur et la terreur parmi la population, n'a historiquement été que le produit de trois matières premières, si l'on peut dire: une société fragmentée basée sur la pauvreté, l'exclusion et la marginalisation, le pouvoir exclusif injuste et le dogmatisme des croyances et des idéologies (le fanatisme et la passivité intellectuelle). Et le plus surprenant, c'est que chacun de ces facteurs est capable d'éliminer la zone de modération et de consensus existant entre les pays et les communautés, laquelle zone est susceptible de nous garder lucides et de réguler rationnellement et humainement le comportement. Historiquement, et contrairement aux années 70 et 80 en Moyen-Orient, où les objectifs du terrorisme étaient plutôt politiques et idéologiques et dont les revendications étaient pour la plupart légitimes, que l'on y souscrive ou non,

le terrorisme au 21ème siècle vient viser l'épuisement des ressources humaines et matérielles à plus grande échelle, afin de répandre la terreur et la peur parmi les innocents, ce qui nous amène à nous interroger sur les motivations profondes de ces mouvements terroristes et sur leur nature.

La propagation de la pauvreté, les inégalités des richesses et les maigres ressources en Moyen-Orient ont indubitablement contribué, à long terme, à un état de frustration, qui a soulevé à son tour des formes et des modes différents et curieux du terrorisme. Certains pensent qu'il existe des soi-disant motivations au terrorisme dont les plus importantes sont l'état d'abattement et l'évanouissement de l'identité, faisant ainsi du Moyen-Orient dans la dernière décennie de ce siècle l'exemple le plus frappant quant à la réunion de facteurs déclencheurs de la violence et du terrorisme. Par ailleurs, on ne peut en aucun cas négliger le facteur de privations économiques – qu'il ne s'agit nullement de surestimer-, étant donné que la plupart des auteurs des derniers actes terroristes souffrent de pauvreté et vivent dans les quartiers enregistrant un fort taux de chômage et souffrant de négligence. D'autres, issus de la classe moyenne, ont été recrutés, soit à travers les médias sociaux qui diffusent une image attirante de ces organisations, soit suite aux tentations matérielles et morales accordées par ces organisations à ceux qui les rejoignent.

Néanmoins, il y en a ceux qui pensent que les activités terroristes ne pourraient s'expliquer par seul la pauvreté, comme peut en témoigner le cas des pays les plus pauvres dans le monde aujourd'hui où le terrorisme n'existe pas, alors que d'autres pays sont touchés, en dépit de leur croissance économique rapide et de la hausse du revenu par habitant. Cela ramène ainsi certains chercheurs et penseurs à approfondir leur réflexion concernant la relation étroite entre pauvreté matérielle et terrorisme, en impliquant une variable autre que la misère et la pauvreté, à savoir la question identitaire et non pas uniquement celle économique. En effet, l'une de ces études indique

que la plupart des membres des mouvements radicaux dans la région Moyen-Orient sont des jeunes de vingt ans, qui, certes, sont issus de milieu rural ou de petites villes et appartenant à la classe moyenne ou la classe moyenne inférieure, mais qui ont bénéficié d'une bonne éducation et sont pour la plupart des ingénieurs ou des scientifiques, dont les familles sont unies.

Cependant, ils se sont retrouvés en marge des deux cultures : une culture d'origine correspondant à une partie de leur vie, et une culture d'adoption, imposée par la nouvelle situation qu'ils ont réussi à atteindre sur le plan matériel ou même intellectuel. Et dans leur tentative de fuir cette aliénation et parfois la marginalisation sociale, c'était le début des activités terroristes. Ronald Wintrobe, professeur des sciences économiques à l'université Western Ontario indique que la perte de capital social induite par la pauvreté peut inciter un individu à rechercher une plus grande solidarité au sein d'organisations violentes. De leur côté, G.S.Epstein et N.Gang estiment qu'un leader extrémiste pourra d'autant plus facilement accroître le niveau d'observance jusqu'à terrorisme que la pauvreté intellectuelle et pécuniaire des individus favorise leur instrumentalisation et ce d'autant plus qu'au dehors ils soufflent d'humiliations¹.

Ainsi, la lutte contre les activités terroristes ne dépend pas de l'amélioration des taux de croissance économique à travers les subventions et les aides économiques. Il ne s'agit pas non plus d'adopter les valeurs occidentales et par le suivi de l'occident dans toutes ces stratégies, dans la mesure où cela pourrait être contre-productif en cas d'absence de sensibilisation des citoyens. Cela contribuerait à renforcer le sentiment de discrimination quant au déséquilibre dans la distribution des ressources par l'Etat, conduisant à un sentiment de marginalisation parmi les plus démunis,

¹ Cité dans la revue Tiers Monde, sur la nature et les causes du terrorisme, 2003 /2 (N 174) p 369, (article sur : Cairn.info le 01/01/2012)

qui, dans ce cas, ne manqueront pas seulement d'argent, mais souffriront d'intégration sociale.

Nous considérons que la pauvreté est un facteur de noyau du terrorisme en Moyen-Orient, ce qui pousse des jeunes innocents à rejoindre les organisations terroristes est non pas toujours la faiblesse intellectuelle et la mauvaise orientation idéologique, mais il s'agit souvent du soutien matériel et psychologique dont disposent ces groupes, ils ne reculent pas tant qu'ils se débarrassent de l'obsession de la pauvreté.

2. Le terrorisme en Moyen-Orient et le niveau de conscience intellectuel

Une étude de l'Université de Princeton, réalisée en 2002 sur le terrorisme israélien et arabe au Moyen-Orient, a révélé que, dans cette région, non seulement les terroristes avaient un niveau de vie supérieur au seuil de pauvreté, mais également qu'ils avaient au moins un diplôme du secondaire. Les informations recueillies jusqu'à présent, relatives aux antécédents des membres d'Al-Qaïda, semblent confirmer ces résultats, notamment en ce qui concerne l'aptitude des terroristes à bien s'adapter à un environnement étranger. Dans des villes étrangères, les membres d'Al-Qaïda n'ont eu aucune difficulté à trouver un emploi, à louer un appartement, à suivre des cours à l'université ou à s'inscrire à des cours de pilotage : tout ceci aurait été bien plus difficile s'ils n'avaient bénéficié d'aucun enseignement et s'ils avaient été pauvres. La « *National Strategy for Combating Terrorism* » confirme également cela : « *Plusieurs organisations terroristes qui ont peu de points communs avec les masses pauvres et privées de ressources exploitent ces conditions à leur avantage.* »¹

¹ "National Strategy for Combating Terrorism," (Washington, The White House, Février 2003), pp. 22,23. Disponible sur Internet à l'adresse suivante : http://www.whitehouse.gov/news/releases/2003/02/counter_terrorism/counter_terrorism_strategy.pdf, consulté le 20 juin 2020.

Sean Wilentz, professeur d'histoire à l'Université de Princeton, soutient cette idée et ce, contrairement à beaucoup d'autres, en affirmant que les terroristes ne l'ont pas fait pour des raisons économiques ni pour se rebeller contre la privation matérielle ou leur situation économique, voire leur pauvreté matérielle, mais leur objectif était de changer la carte du monde dans laquelle ils occupaient une position dans l'ombre. Et ce qui permet de conforter cette thèse c'est bien leur niveau de vie matériel, leur niveau d'éducation, et les avantages économiques dont ils ont bénéficié. Selon ce même point de vue, le terrorisme en Moyen-Orient n'est pas le produit de la pauvreté seulement, dans la mesure où non seulement le niveau de vie des membres des groupes terroristes est relativement plus élevé que les autres vivant dans le même pays, mais aussi ils sont plus à même de participer au jeu politique, en raison des moyens de persuasion dont ils disposent, de leur capacité de mobilisation et des ressources financières nécessaires en leur possession.

En revanche, les mouvements extrémistes dans plusieurs communautés pauvres ne prospèrent pas, ce qui a amené certains à dire que c'est bien la richesse et non la pauvreté qui contribuera au développement des mouvements extrémistes, en arguant que la richesse donne aux individus la possibilité de réfléchir sur les questions idéologiques et politiques une fois qu'ils sont économiquement repus. Il semble que l'interprétation occidentale du terrorisme dans la région Moyen-Orient a conduit certains à insister sur la priorité des facteurs matériels et la pauvreté dans la montée du terrorisme, et non, par exemple, sur les facteurs de marginalisation ou d'exclusion, ce qui a fait l'objet de la critique cinglante de nombreux chercheurs conscients de la différence des cadres cognitifs et intellectuels entre Orient et Occident.

Dans cette perspective, ils ont confirmé cette erreur d'interprétations matérielles superficielles des mouvements extrémistes, et leur manque de

conviction quant aux facteurs non matériels tels que la mauvaise interprétation des versets coraniques, l'enchevêtrement des pratiques culturelles et des traditions religieuses et historiques, et l'exploitation du vide intellectuel chez les jeunes, ainsi que d'autres facteurs qui ne sont pas pris en compte dans les recherches occidentales. Ce qui ouvre d'autres perspectives de réflexions plus approfondies dans la recherche des causes non-économique et matérielles du terrorisme en Moyen-Orient. Enfin et surtout, il faudrait noter que la plupart des terroristes sont incapables de comprendre que les actes terroristes ne pourraient pas libérer un peuple, et que les efforts de résistance et de lutte les plus féroces sont historiquement liés au bien-fondé de l'objectif déclaré par la résistance et de la légitimation des moyens, et il s'agit là d'une autre approche du terrorisme et des médias.

3. Le terrorisme en Moyen-Orient et le sous-développement

De nombreux chercheurs évoquent le chômage, la pauvreté, la corruption généralisée, le clientélisme, les injustices flagrantes, l'absence d'une bonne compréhension du religieux. Ces causes peuvent expliquer les causes du phénomène dans certains pays mais pas dans d'autres. Il ne faut donc pas s'en contenter. Le terrorisme est un phénomène transnational. Il faut donc chercher d'autres explications liées au sous-développement, à la dépendance et au nouveau positionnement économique et politique...ces raisons, même si elles sont vraies, ne peuvent avoir pour réponse le terrorisme. Ce n'est pas en tuant, en massacrant et en torturant que les nations se développent.

Il y a de nombreux exemples de peuples qui étaient, il n'y a pas si longtemps, plus sous développés que nos pays mais qui ont réussi, en très peu de temps de rattraper les pays développés comme Singapour, ou les Tigres asiatiques ou le Brésil. Le terrorisme reflète d'abord l'échec des institutions censées combattre ce phénomène : la famille, l'école, l'université qui devait

contribuer à la formation du citoyen. Les élites ont également abandonné leur rôle de formation de la société¹.

Section 2: Les Facteurs Economiques Responsables du Terrorisme en Moyen-Orient

1. L'émergence de la mondialisation en Moyen-Orient : un facteur de la montée du terrorisme

La mondialisation, telle qu'elle est définie, est un mouvement d'internationalisation des économies et des sociétés induit par le développement des échanges dans le monde. Elle ne concerne plus seulement les marchandises, mais englobe les capitaux, la main-d'œuvre, les services, la propriété intellectuelle, les œuvres d'arts...² ce qui la rend un processus de changement global, profond, inexorable, irrésistible et durable qui transforme le paysage politique, économique et social international.³

La genèse de la mondialisation est quelque peu controversée en doctrine⁴. Mais la majorité des spécialistes font coïncider son avènement avec la fin du 20^{ème} siècle, qui a connu des brusques transformations à l'échelle mondiale, notamment : la chute de la mur de Berlin, la dislocation de l'Union soviétique et la première guerre irakienne de 1991⁵. Mais, comment ce phénomène peut-il conduire au terrorisme en Moyen-Orient? Les répercussions de la mondialisation ne se limitent pas aux domaines économique, politique et sécuritaire ni aux échecs sur le plan culturel, mais les dépassent pour constituer l'un des motifs déclencheurs du terrorisme en Moyen-Orient. En

¹ Revue d'histoire maghrébine (Epoques moderne et contemporaine), publications de la fondation Temimi pour la recherche Scientifique et l'Information – Tunis, numéro 161, p.249.

² Encyclopédie Microsoft Encarta (2003).

³ Mourad Boukella, « regards critiques sur la mondialisation, » *Revue prologues*. N°18 (automne 99/hiver 2000). P.20.

⁴ Certains spécialistes lient son origine au capitalisme et à la société industrielle, sur le plan politique et idéologique dans le temps de l'universalisme des valeurs modernes issues des révolutions politiques des 18^{ème} siècles.

⁵ Abdel Haq Janat iIdrissi, *Les relations internationales*.. 2^{ème} édition (librairie Almishat. 2002),p.209.

effet, à travers son échec inclusif à gommer les différences, elle a participé à la naissance d'une forme curieuse du terrorisme, favorable à une sorte d'enfermement néfaste pour des motifs d'ordre identitaire. Et cela devient d'autant plus alarmant encore lorsque certains extrémistes ont posé leur terrorisme idéologique comme une alternative à cette mondialisation déformée et boiteuse, rendant ces deux variables, en l'occurrence une mondialisation boiteuse et incomplète ajoutée à un enfermement dogmatique mentalement destructeur, très présentes dans les débats sur les réseaux sociaux, se propageant avec une rapidité étonnante, de façon absurde, et souvent sans logique aucune, pour être vidées de leurs sens, et donner ainsi naissance à un extrémisme plus violent chez beaucoup de personnes, les poussant à la fin au comportement terroriste. Et tout cela, dans une région où sont réunis de nombreux facteurs favorables au terrorisme avec des taux atteignant des proportions sans précédent aux niveaux local, régional et international, au point que le terrorisme est devenu non seulement une menace pour tous les aspects de la vie et de la civilisation sur la terre, mais également un obstacle au message divin qui conçoit l'homme comme le successeur de Dieu sur terre.

La doctrine de la mondialisation repose sur les quatre points suivants: 1) ouverture des frontières afin de libéraliser le commerce et la finance. 2) déréglementation et privatisation. 3) recul des dépenses publiques et des impôts au profit des activités privées. 4) primauté des investissements internationaux et des marchés financiers. En somme le déclin du politique et de l'Etat au profit des intérêts privés¹. En libérant les mouvements des capitaux de tout contrôle étatique, cette politique, déplace le pouvoir économique de la sphère publique, des Etats à la sphère privée de la finance

¹ Hanz - Peter Martin, Harald Shumann, *La piège de la mondialisation: agressions sur la démocratie et la prospérité*, Traduit de l'Allemagne par Adnan Abasss Ali (conseil national des cultures en kuwait, 2002), p.119. EN ARABE

internationale. C'est, donc, une logique de fructification rapide des patrimoines financiers qui caractérise, désormais, le système. Cette course sans limite au profit à court terme épuise la nature, multiplie les déchets, détruit les régulations de la biosphère et menace le destin des générations futures.

La mondialisation est devenue insensée au sens propre, puisque l'instrument économique se substitue à la finalité au lieu de la servir, les frontières entre le moral et l'immoral, le légitime et l'illégitime disparaissent. Cependant, toutes les conditions étaient requises pour provoquer le désespoir, puis l'action et la réaction des peuples, qui peut être pacifique à travers les grandes mobilisations du mouvement anti-mondialisation (constitué principalement par les ONG, les syndicats des travailleurs, les intellectuels...), mais aussi sanglante qui culmine avec des attentats terroristes, puisque « quand on sème le désespoir, on récolte fatalement la violence ».

La mondialisation a enrichi les riches et appauvri les pauvres dans la région. Le fossé entre les gagnants et les perdants de cette mondialisation a tendance à se creuser. Il faut signaler que le creusement des inégalités se transmet, maintenant, d'une génération à la suivante en fonction du milieu social, ce qui est source de stress, d'humiliation et d'agressivité permanente ; qui entraînent, enfin du compte, la désespérance et une perte des raisons de vivre. Sur ce plan culturel, la mondialisation se présente, donc, comme étant une nouvelle forme de colonisation,¹ qui vise à imposer la culture occidentale (notamment judéo-chrétienne) et à marginaliser les autres cultures traditionnelles, ce qui engendre un désarroi et une perte de repères favorisant les poussées de violence intégriste et les mouvements extrémistes. La mondialisation s'est accompagnée, non seulement d'une paupérisation, mais

¹ Mahdi El Mandjra, *La décolonisation culturelle : défi majeur du 21^{ème} siècle* (Casablanca: Edition Ennajah El Jadida.. 2001), p. 6.

aussi du viol des cultures, et même parfois la destruction de « l'histoire des peuples » poussant ceux-ci à la révolte et à la terreur.

Par ailleurs, l'ère de la mondialisation n'est pour le monde arabo-musulman (soit 1600 millions de personnes) qu'une interminable série d'humiliations, externes et internes, qui ont coûté la vie à plus de dix millions de personnes au cours, seulement, de la dernière décennie du 20^{ème} siècle ¹. A ce titre, les images en provenance de Palestine et de l'IRAK, sont symboliques, mais, non exceptionnelles. Le terrorisme en Moyen-Orient, donc ne surgit pas du néant, il s'est trouvé un terreau, celui de la misère, de l'humiliation et du délitement des valeurs. Ce terreau s'est trouvé enrichi par un engrais, ce lui de la technologie de pointe et de l'argent de l'illégalité.

2. La mauvaise répartition de la richesse en Moyen-Orient

Nous avons constaté que la mauvaise répartition injuste des richesses est l'une des causes du terrorisme et des conflits violents en Moyen-Orient. Pierre-Yves Bonin aborde de front dans son texte l'une des conditions sous-jacentes à la guerre et au terrorisme : la répartition internationale des richesses. Plusieurs observateurs de la scène politique internationale considèrent en effet que cette répartition, étant inéquitable, serait l'une des causes importantes des conflits violents qui agitent les relations entre les peuples en Moyen-Orient. L'impérialisme économique américain, l'arrogance, voire la suffisance affichée en matière économique, les iniquités et injustices économique directement provoquée par la politique extérieure des Etats-Unis, sont couramment invoqués comme l'une des causes,...le partage international des ressources naturelles est-il équitable ou inéquitable?

D'autres facteurs doivent être pris en considération : densité de la population, culture, instabilité politique, etc. le manque des ressources

¹ Ahmed Mansour, C.f. *le monde islamique, à l'ère du nouvel ordre International* (Edition Dar Ibn Hazm. 1994), p.37. en ARAB

naturelles semblerait dans beaucoup de cas ne pas devoir figurer au tableau des causes susceptibles d'expliquer les inégalités entre pays riches et pauvres¹. Dans la région Moyen-Orient, on trouve qu'il y a une répartition inéquitable de la richesse notamment des ressources naturelles surtout le pétrole, les pays de Golf tels que l'Arabie saoudite, Qatar, les Emiraties arabes, etc...monopolisent toute les richesses du Moyen-Orient, alors que d'autres pays comme le Yémen, l'Egypte, la Syrie et l'Irak après guerres, souffrent d'une détérioration au niveau de la richesse. Ces inégalités allument les émotions de séparation et désunion entre les peuples, et créent les conflits, l'instabilité économique et politique intérieure dans la région. Ces différences sociaux s'expriment par la violence et la terreur au sein des groupes extrémistes qui visent les pays riches, parce qu'ils les considèrent comme des pays autoritaires et tyranniques.

3. La crise économique de 2008 et l'absence de développement et diversité économique dans les pays du Moyen-Orient

La crise économique de 2008 est considérée parmi les facteurs économiques qui ont déclenché les conflits et chaos en Moyen-Orient. Le retour à la stabilité suppose notamment que la croissance économique reprenne. On rappellera que le facteur économique, la crise de 2008, a certainement contribué au déclenchement des révoltes arabes. Or la conjoncture internationale, malgré une certaine amélioration reste maussade. De plus, les pays qui ont connu ces révoltes, même si elles ont été maîtrisées, ne parviennent pas à sortir d'un cercle vicieux. La persistance des attentats terroristes, l'instabilité politique et les troubles sociaux engendrent un climat de méfiance et des comportements de prudence des chefs d'entreprises, des investisseurs étrangers et des touristes. Ces comportements contribuent à

¹ Stéphane Courtois, *enjeux philosophiques de la guerre : de la paix et du terrorisme* (la presse de l'Université de Laval, 2003), pp.15-16.

nourrir cette instabilité, faute de croissance et d'emplois. Le cas de l'Egypte illustre cet engrenage pervers. Il est clair que cet attentisme ne cessera que si la sécurité est rétablie et la situation politique stabilisée.

Le développement et la diversité économiques ont été largement absents dans la région du Moyen-Orient. Compte tenu d'une économie à la merci des ressources naturelles (essentiellement le pétrole), l'aide étrangère et l'envoi de fonds, le développement industriel a pris du retard dans la région¹. La dépendance sur le pétrole joue un rôle crucial dans la relation entre le terrorisme et la faillite de l'état. Certains chercheurs soulignent la pénurie de ressources comme contributeur majeur aux conflits, par contre un abondant corpus de recherches a trouvé un appui empirique que l'abondance de ressources comme étant un facteur dans la production et la perpétuation des conflits². Qui plus est, la théorie de l'état rentier appuie cette assertion et la recherche a conclu que les états dépendants de quelques ressources naturelles connaissent une croissance économique lente et ont plus de chances d'être basés sur des régimes politiques autoritaires que les états qui manquent de ressources et/ou ont des économies diversifiées³.

L'absence de développement économique au Moyen-Orient a été souvent citée comme étant le facteur principal à la base de la violence qui prévaut dans la région⁴. En l'absence d'un système économique inclusif, la région a favorisé des griefs valides parmi un segment de la population en pleine capacité physique et instruit, une jeunesse idéologique qui ne peut pas

¹ Sorli, Gleditsch et Strand, « Conflict in the Middle East », p. 147.

² Homer-Dixon, Thomas F., *Environment, Scarcity, and Violence* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1999). Collier Paul, « Doing Well out of War », document présenté à la Conférence on "Economic Agendas in Civil Wars," (London, April 1999), sur: http://econ.worldbank.org/files/13200_Collier-DoingWell.pdf/ consulté le 11 /09/2021

³ Beblawi Hazem, Luciani Giacomo (eds), *The Rentier State* (New York : Croom Helm, 1987). Sachs Jeffrey D., Warner Andrew M., "Natural Resource Abundance and Economic Growth," *NBER Working Paper* 5318, (Cambridge, MA. : National Bureau of Economic Research, 1995), p.165.

⁴ Krueger, Maleckova, « Education, Poverty, Political Violence and Terrorism », pp.119–44. Piazza, « Rooted in Poverty? » Windsor. Jennifer L., « Promoting Democratization Can Combat Terrorism », *Washington Quarterly*, 26, no. 3 (2003), pp.43–58.

trouver du travail¹. Les rangs des organisations terroristes sont alimentés par ce segment de la population privé de son droit et désabusé. Par conséquent, l'absence de développement économique dans la région a non seulement paralysé ces États, les affaiblissant perpétuellement, et conduit de nombreux jeunes chômeurs à rejoindre des organisations terroristes, mais elle a également permis l'apparition de quelque chose de bien pire.

L'absence de développement économique a fourni aux groupes extrémistes du matériel de propagande, ce qui a facilité leurs efforts de recrutement, légitimé leurs actes de terrorisme et encouragé une idéologie basée sur le radicalisme religieux.

Conclusion

Les facteurs sociaux économiques responsables au déclenchement du terrorisme en Moyen-Orient sont nombreux et multiples. Ils ont contribué directement et indirectement à l'expansion de ce phénomène, ces facteurs ne doivent pas être sous-estimés à côté des facteurs historiques, politiques et religieux. En effet, de nombreux chercheurs négligent l'aspect social et économique dans l'étude du phénomène terroriste, mais ces deux aspects sont fortement présents et s'imposent comme des facteurs réalistes de propagation du terrorisme en Moyen-Orient. Tous que nous avons mentionnés ci-dessus sont des facteurs générateurs de l'instabilité et de la terreur dans la région, ainsi que leur diversité, facilitent à allumer la mèche du terrorisme en Moyen-Orient.

Bibliographie

Charles Saint-Prot, *Islam : l'avenir de la tradition* (éditions du Rocher, 2008).
Abdel Haq Janat iIdrissi, *Les relations internationales.. 2^{ème} édition* (librairie Almishat, 2002).

¹ Ibid., p.56.

- Hanz-Peter Martin, Harald Shumann, *La piège de la mondialisation: agressions sur la démocratie et la prospérité*, Traduit de l'Allemagne par Adnan Abasss Ali (conseil national des cultures en kuwait, 2002).
- Mahdi El Mandjra, *La décolonisation culturelle : défi majeur du 21^{ème} siècle* (Casablanca: Edition Ennajah El Jadida.. 2001).
- Ahmed Mansour, C.f. *le monde islamique, à l'ère du nouvel ordre International* (Edition Dar Ibn Hazm. 1994).
- Stéphane Courtois, *enjeux philosophiques de la guerre : de la paix et du terrorisme* (la presse de l'Université de Laval, 2003).
- Homer-Dixoon, Thomas F., *Environment, Scarcity, and Violence* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1999).
- Beblawi Hazem, Luciani Giacomo (eds), *The Rentier State* (New York: Croom Helm, 1987).
- Tiffany O. Howard, « Malheureux boucs émissaires, » *ASPJ Afrique & Francophonie*, 2^{ème} trimestre (2013).
- Mourad Boukella, « regards critiques sur la mondialisation, » *Revue prologues*. N°18 (automne 99/hiver 2000).
- Rapport d'ONU, « assemblée générale des Nations Unies, compte rendu de la 6^{ème} commission des Nations Unies (en charges des questions juridiques) » AG /J/3433 (8 octobre 2012).
- “National Strategy for Combating Terrorism,” (Washington, The White House, Février 2003).
- Collier Paul, « Doing Well out of War », document présenté à la Conference on “Economic Agendas in Civil Wars,” (London, April 1999).
- Sachs Jeffrey D., Warner Andrew M., “Natural Resource Abundance and Economic Growth,” *NBER Working Paper* 5318, (Cambridge, MA.: National Bureau of Economic Research, 1995).
- Krueger, Maleckova, «Education, Poverty, Political Violence and Terrorism».
- Piazza, «Rooted in Poverty?» Windsor.
- Jennifer L., «Promoting Democratization Can Combat Terrorism», *Washington Quarterly*, 26, no. 3 (2003).

ندوات ومؤتمرات علمية

*Scientific seminars and
conferences*

المؤتمر السنوي حول "مكافحة التطرف العنيف" في المغرب.. الفعاليات والتقييم
*Annual Conference on Violent Extremism in Morocco..Events
and Evaluation*

Haidy Adel Abdelnaby Abdo Henaidy

هايدي عادل عبد النبي عبده هنيدي¹

ماجستير علوم سياسية، جامعة القاهرة

MA Political Science, Cairo University

ملخص: التراجع الميداني الملحوظ في العمليات التي تقوم بها الجماعات الإرهابية وعلى رأسها تنظيم داعش الإرهابي بكل من سوريا والعراق، لا يعني إن الإرهاب في طريقه للاختفاء، بل على العكس من ذلك فقد برز أنماط جديدة للتطرف العنيف، وخاصة مع ازدياد استخدام وسائل التواصل الاجتماعي والتكنولوجيا والتطبيقات الإلكترونية. سعت التنظيمات الإرهابية وعلى رأسها تنظيم داعش في السنوات الأخيرة إلى استخدام الفضاء الإلكتروني، بشكل يعكس قدر كبير من الاحترافية والتعقيد في الأداء، حيث برز فهماً عميقاً عند قيادات التنظيم للروابط بين عالم الإعلام، وخاصة وسائل التواصل الاجتماعي، وعالم العمليات، كما أنه تمكن التنظيم الإرهابي من استخدام الإعلام لتعظيم آثار أنشطتهم العملية. لذا فإن هذه الورقة البحثية تقوم بعرض وتحليل فعاليات المؤتمر الدولي السنوي الذي نظمه "المركز المغربي حول التطرف والعنف"، بالاشتراك مع "المندوبية العامة لإدارة السجون وإعادة الإدماج"، و"مركز السياسات من أجل الجنوب الجديد"، والرابطة المحمدية للعلماء"، تحت عنوان "مكافحة التطرف العنيف: استجابات جديدة لتحديات جديدة"، على مدار ثلاثة أيام، 16، 17، 18 فبراير 2021، بهدف إلقاء الضوء على سبل مكافحة الإرهاب، خاصة في الأنظمة المعلوماتية ومواقع التواصل الاجتماعي. وبدوره فقد فإن أبرز ما ناقشه المؤتمر دار حول أن الأنظمة المعلوماتية ومواقع التواصل الاجتماعي باتت ملاذاً لأصحاب الفكر الإرهابي ومنصات لبثّ الدعاية للفكر المتطرف واستقطاب الأتباع، وغيرها.

كلمات مفتاحية: التطرف العنيف، الإرهاب الإلكتروني، المغرب، مواجهة الإرهاب

Abstract: The noticeable field decline in the operations carried out by terrorist groups, led by the terrorist organization ISIS, in both Syria and Iraq, does not mean that terrorism is on the way to disappear, but on the contrary, new patterns of violent extremism have emerged, especially with the increased use of social media, technology and electronic applications. Terrorist organizations, led by ISIS, have sought in recent years to use cyberspace, in a way that reflects a great deal of professionalism and complexity in performance, as a deep understanding of the organization's leaders has emerged of the links between the media world, especially social media, and the world of operations. of using the media to maximize the effects of their operational activities. Therefore, this research paper presents and analyzes the activities of the annual international conference organized by the "Moroccan Observatory on Extremism and Violence", in conjunction with the "General Delegation for Prison Administration and Reintegration", the "Policies Center for the New South, and the Muhammadiyah League of Scholars", under the title "Countering Violent Extremism: New Responses to New Challenges", over three days, 16, 17, 18 February 2021, with the aim of shedding light on ways to combat terrorism, especially in information systems and social networking sites. In turn, the most prominent thing discussed by the conference revolved around the fact that information systems and social networking sites have become a haven for terrorist thinkers and platforms for spreading propaganda for extremist ideology and attract followers, and others.

Keywords: Violent extremism, cyber terrorism, Morocco, countering terrorism

مقدمة

أن التراجع الميداني الملحوظ في العمليات التي تقوم بها الجماعات الإرهابية وعلى رأسها تنظيم داعش الإرهابي بكل من سوريا والعراق، لا يعني إن الإرهاب في طريقه للاختفاء، بل على العكس من ذلك فقد ظهر مواقع جديدة لتنظيمات وكيانات إرهابية جديدة بمناطق الساحل وشمال إفريقيا وغيرها، بالإضافة إلى بروز أنماط جديدة للتطرف العنيف، وخاصة مع ازدياد استخدام وسائل التواصل الاجتماعي والتكنولوجيا والتطبيقات الالكترونية. سعت التنظيمات الإرهابية وعلى رأسها تنظيم داعش في السنوات الأخيرة إلى استخدام الفضاء الإلكتروني، بشكل يعكس قدر كبير من الاحترافية والتعقيد في الأداء، حيث برز فهماً عميقاً عند قيادات التنظيم للروابط بين عالم الإعلام، وخاصة وسائل التواصل الاجتماعي، وعالم العمليات، كما أنه تمكن التنظيم الإرهابي من استخدام الإعلام لتعظيم آثار أنشطتهم العملية¹.

¹ إنجي مهدي، "الجهاد الإلكتروني: دراسة لتنظيم داعش، وإستراتيجية الولايات المتحدة لمواجهة"، مجلة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، العدد 2 (إبريل 2021)، ص 151.

ومن هنا تأتي أهمية التركيز على أعمال المؤتمر الدولي السنوي الذي نظمتها المملكة المغربية، ممثلة في "المركز المغربي حول التطرف والعنف"، بالاشتراك مع "المندوبية العامة لإدارة السجون وإعادة الإدماج"، و"مركز السياسات من أجل الجنوب الجديد"، والرابطة المحمدية للعلماء"، تحت عنوان "مكافحة التطرف العنيف: استجابات جديدة لتحديات جديدة"، على مدار ثلاثة أيام، 16-17 فبراير 2021، حيث هدف إلى إلقاء الضوء على سبل مكافحة الإرهاب، خاصة في الأنظمة المعلوماتية ومواقع التواصل الاجتماعي¹. وفي هذا الإطار فإن هذه الورقة البحثية تقوم بعرض فعاليات المؤتمر ودلالاته مع تقديم تحليل نقدي له، بما يمكن في الأخير من التوصيل إلى توصيات أولية تساعد في مواجهة ظاهرة الإرهاب الإلكتروني.

أولاً: فعاليات المؤتمر

حاز المؤتمر على مشاركة واسعة من الخبراء والمسؤولين الأمنيين، حضورياً وافترضياً، من عدة دول أبرزها المغرب والجزائر وتونس، وموريتانيا والسنغال ونيجيريا وكينيا وإسبانيا وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية ومصر والمملكة العربية السعودية والفلبين، فضلاً عن ممثلي مؤسسات إقليمية ودولية في مقدمتها المديرية التنفيذية لمكافحة الإرهاب للأمم المتحدة²، وفيما يلي التفاصيل:

1. جلسات المؤتمر

الجلسة العامة الافتتاحية وتضمنت كلمات كل من المديرية التنفيذية لمكافحة الإرهاب بالأمم المتحدة والرابطة المحمدية للعلماء، والمندوبية العامة لإدارة السجون وإعادة الإدماج والمكتب المركزي للأبحاث القضائية، ووزارة العدل، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، علاوة على المركز المغربي حول التطرف والعنف ومركز السياسات من أجل الجنوب الجديد³.

ركزت الجلسة الأولى على "تحولات التهديدات الإرهابية: استجابات جديدة لتحديات جديدة". وتمحورت الجلسة الثانية حول "التحديات السيبرانية الجديدة: من الدعاية والاستقطاب إلى استهداف البنى التحتية". أما الجلسة الثالثة تناولت "التغييرات الفكرية للتطرف العنيف والأشكال

¹ توافق دولي على رقابة الأنظمة المعلوماتية لمكافحة الإرهاب، العين الإخبارية، 2021/2/17، متاح على:

<https://al-ain.com/article/conference-morocco-terrorism-internet>.

² المرجع نفسه.

³ مؤتمر دولي.. المركز المغربي حول التطرف والعنف يسلط الضوء على التحديات الجديدة، أحداث أنفو، 2021/2/13، متاح على:

<https://ahdath.info/646177>.

الجديدة لسرديات التطرف وخطاب الكراهية". وناقشت الجلسة الرابعة "فك الارتباط ومحاربة التطرف وإعادة التأهيل: مقاربات، برامج وأساليب التقييم". في حين تناولت الجلسة الخامسة موضوع "المرأة والتطرف العنيف: من أجل مقارنة جديدة تتجاوز القوالب النمطية"¹.

جاءت كلمات ومداخلات المشاركين حول:

- الأنظمة المعلوماتية ومواقع التواصل الاجتماعي باتت ملاذاً لأصحاب الفكر الإرهابي ومنصات لبثّ الدعاية للفكر المتطرف واستقطاب الأتباع²؛
- استعراض إستراتيجية منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) في مجال مكافحة الإرهاب، والتي تتلخص في وضع خطة استباقية ووقائية عبر التحصين الداخلي والخارجي في مجالات التربية والثقافة، والعمل على الإدماج الاقتصادي والتأهيل النفسي للعائدين من المجتمعات الإرهابية، من خلال معالجة آثار الاستقطاب وإجراء المراجعات الفكرية اللازمة للمصالحة مع الذات والمجتمع وتفكيك خطاب التطرف³؛
- خطر التطرف والإرهاب مازال قائماً، ويهدد السلم العالمي، رغم كل الجهود التي بُذلت لمحاربته، سواء من قبل الهيئات الأممية أو الدول.
- تهديد الذي كان يشكّله تنظيم "داعش" لم يعد بالشكل التقليدي الذي كان عليه في السابق، بعد ظهور إرهاب جديد ينتشر عبر الانترنت، وانتقال بؤر التطرف إلى أماكن أخرى خارج المناطق التي كان ينشط فيها التنظيم.

¹ الرابط .. افتتاح المؤتمر الدولي السنوي حول "مكافحة التطرف العنيف: استجابات جديدة لتحديات جديدة"، وكالة المغربي العربي للأنباء، 2021/2/16، متاح على:

<https://www.mapnews.ma/ar/actualites/%D9%85%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%B9/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A8%D8%A7%D8%B7-%D8%A7%D9%81%D8%AA%D8%AA%D8%A7%D8%AD-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A4%D8%AA%D9%85%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%86%D9%88%D9%8A-%D8%AD%D9%88%D9%84-%D9%85%D9%83%D8%A7%D9%81%D8%AD%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B7%D8%B1%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%86%D9%8A%D9%81-%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%AC%D8%A7%D8%A8%D8%A7%D8%AA-%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF%D8%A9-%D9%84%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%A7%D8%AA>

² توافق دولي على رقابة الأنظمة المعلوماتية لمكافحة الإرهاب، مرجع سابق.

³ الإيسيسكو تستعرض استراتيجيتها في المؤتمر الدولي حول مكافحة التطرف العنيف، منظمة الإيسيسكو، 2021/2/16، متاح على:

<https://www.icesco.org/blog/2021/02/16/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%8A%D8%B3%D9%8A%D8%B3%D9%83%D9%88-%D8%AA%D8%B3%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D8%B6-%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AA%D9%8A%D8%AC%D9%8A%D8%AA%D9%87%D8%A7-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85> . /

- لجنة مكافحة الإرهاب بالأمم المتحدة تبذل جهودها لتطوير مقاربة لمكافحة التطرف العنيف، ومنع أي أنشطة إرهابية يتم التخطيط لها عبر الانترنت، مثل جمع التمويلات، وترويج خطابات العنف والإرهاب، وذلك بشراكة مع المؤسسات الدينية، بهدف الحد من تجنيد الشباب للانخراط في تنفيذ أعمال إرهابية¹.
- تقديم لمحة عن الإستراتيجية المتبعة من طرف المندوبية العامة لإدارة السجون وإعادة الإدماج، التي انطلقت بعد تبني المغرب قانونا جديدا لمكافحة الإرهاب، غداة الأحداث الإرهابية التي شهدتها سنة 2003، وترتكز على ثلاثة محاور رئيسية، وهي البعد الاستباقية والتحصين الديني والإدماج الاجتماعي.
- المعتقلين في قضايا أمنية في المغرب يتم تصنيفهم إلى ثلاث فئات، الأولى المتشددون الذين لهم قناعات صلبة ولا تتوفر فيهم قابلية الحوار، أما الفئة الثانية فتضم السجناء "في منطقة بينية"، وتضم الفئة الثالثة السجناء المستعدين للحوار.
- التدبير الأمني للمعتقلين الذين يخضعون لقانون الإرهاب الجديد المتبع في المغرب، يتعلق بأكثر من شق، الأول يقوم على تجميعهم أو توزيعهم على السجون، بشكل عقلاني مبني على عدة معايير موضوعية، تأخذ بعين الاعتبار الوضعية الجنائية للمعتقل ودرجة الخطورة والجنس، إعمالا لمبدأ دولي في قانون السجون يتعلق بتفريد العقوبة وتخصيص كل سجين بالعقوبة التي يستحق، بالإضافة إلى أن هذا التوزيع العقلاني للسجناء يمنع من تكتلهم، حيث أنه يمكن التحكم في تحركاتهم داخل السجون؛ لمنع حدوث مشكل الاستقطاب، وخاصة أن المنظرين منهم للفكر المتطرف يملكون قوة الإقناع، وهو ما قد يسبب حدوث كارثة، أما الثاني هو البعد الإدماجي، من خلال وضع برنامج مصالحة من أجل دمج السجناء مع ذواتهم ومع المواطنين والمجتمع، والثالث هو البعد الديني، وينظمه خبراء مغاربة تحت إشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وبشراكة مع الرابطة المحمدية للعلماء، وأخير البعد الاقتصادي من خلال تلقين السجناء مفاهيم حول بلورة أفكار مشاريع اقتصادية لإدماجهم في المجتمع².

¹ مؤتمر دولي بالرباط يلامس أجوبة جديدة لتحديات الإرهاب والتطرف العنيف، هسبريس، 2021/2/16، متاح على:

<https://www.hespress.com/%D9%85%D8%A4%D8%AA%D9%85%D8%B1-%D8%AF%D9%88%D9%84%D9%8A-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A8%D8%A7%D8%B7-%D9%8A%D9%84%D8%A7%D9%85%D8%B3-%D8%A3%D8%AC%D9%88%D8%A8%D8%A9-%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF%D8%A9-%D9%84-781868.html>

² المرجع نفسه.

- لم تسجل المغرب سوى ثلاثة اعتداءات إرهابية منذ عام 2003، أولها التفجيرات التي استهدفت الدار البيضاء 16 مايو 2003، ثم وقوع الهجوم الذي استهدف مطعم بساحة جامع الفنا الشهيرة بمراكش عام 2011، ووصولاً إلى آخر عملية ذُبح فيها سائحتين إسكندنافيتين بجبال إمليل نواحي مراكش عام 2018، وغير هذه الاعتداءات الثلاثة، لم تشهد المملكة أي هجمات أخرى، لكن في المقابل، لم يتوقف نشاط هذه التنظيمات الإرهابية، بل ظل مُستمراً من خلال التخطيط والاستقطاب، ولكن نجحت الأجهزة الأمنية في إفشاله¹.
- المغرب شريك أساسي في مواجهة التهديدات الإرهابية والتطرف العنيف، حيث أنها مثال يحتذى به في المقاربة القضائية، التي تفضي إلى تقديم الإرهابيين أمام العدالة، وتجفيف منابع خطاب التطرف والراديكالية.
- خطورة صعود اليمين المتطرف في الولايات المتحدة، وعدد من البلدان الأخرى في العالم، وما قد ينتج عنه من تنامي للعنف ولخطاب الكراهية.
- تدهور الأوضاع الأمنية في الساحل الأفريقي في السنوات الأخيرة؛ بسبب تفشي الفساد، والإفلات من العقاب في بعض البلدان، مما نتج عنه تفريخ الجماعات المتطرفة، وتعزيز حضورها، وتفعيل مخططاتها الإجرامية في هذه المنطقة².

2. التوصيات

- ضرورة فرض رقابة دقيقة على الأنظمة المعلوماتية التي يستخدمها الإرهابيون في الدعاية والاستقطاب. وضرورة التأهب والوقاية بتدابير عملية واستباقية.
- مراقبة مواقع التواصل الاجتماعي لتطويق تنامي الخطاب الإرهابي، وتشكيل جبهة موحدة تحاصر امتداداته العابرة للحدود.
- أهمية التنسيق الإقليمي والتعاون المثمر لمكافحة الإرهاب³. وضرورة تعزيز التعاون الإقليمي والدولي لمحاصرة مدّ التطرف والإرهاب، والعمل على مواجهة الظاهرة بشكل شمولي وعدم الاقتصار فقط على التصدي لها بالمقاربة الأمنية.

¹ 3 محاور.. هكذا يحارب المغرب الإرهاب، العين الإخبارية، 2021/2/17، متاح على:

<https://al-ain.com/article/morocco-international-terrorism>.

² المغرب ينظم مؤتمراً دولياً لمحاربة التطرف العنيف، الشرق الأوسط، 2021/2/18، متاح على:

<https://aawsat.com/home/article/2812411/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%BA%D8%B1%D8%A8-%D9%8A%D9%86%D8%B8%D9%85-%D9%85%D8%A4%D8%AA%D9%85%D8%B1%D8%A7%D9%8B>.

³ توافق دولي على رقابة الأنظمة المعلوماتية لمكافحة الإرهاب، مرجع سابق.

- ضرورة الاستعانة بالثقافة والعلم والمعرفة في الحرب ضد الإرهاب، وتعزيز التعاون بين الأكاديميين وأصحاب القرار من أجل البحث بشكل أعمق في جذور الظاهرة¹.
- اعتماد مقاربة شاملة في مكافحة الإرهاب، لا تقتصر على البعدين الإثني والعسكري، بل تشمل جميع الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والتربوية، وإشراك جميع الهياكل والفاعلين.
- تعزيز التنسيق الإعلامي بين الدول على المستوى الأفقي ربحاً للوقت، وضماناً لسرعة ردة الفعل في مواجهة التهديدات الإرهابية.
- تغيير أسلوب مواجهة الجريمة الإرهابية، وتنظيماتها المتعددة من الأسلوب العسكري التقليدي، إلى الاعتماد على عمل الفرق المختصة في مجال الاستعلام، حيث أنها تمت تجربتها في تونس أعطت نتائج إيجابية².
- ضرورة التعاون الدولي والاستفادة من خبرات مختلف الشركاء الدوليين، فيما يتعلق بتبادل المعلومات الرامية إلى الحد من انتشار الخلايا الإرهابية. وضرورة التعاون الدولي والاستفادة من خبرات مختلف الشركاء الدوليين، فيما يتعلق بتبادل المعلومات الرامية إلى الحد من انتشار الخلايا الإرهابية.

ثانياً: دلالات انعقاد المؤتمر

انعقاد المؤتمر على أرض المغرب، بحضور دولي وإقليمي مميز، يحمل العديد من الدلائل، لعل من بينها:

- نجاح الإستراتيجية التي اعتمدها في مواجهة الجريمة الإرهابية، منذ عام 2003 والتي تقوم على سياسة استباقية تركز على محاربة ظاهرة التطرف في مهدها، قبل استعصاء ضبط تداعياتها الخطيرة على الأمن العام، وذلك من خلال تتبع ورصد نشاط الخلايا المتطرفة والإرهابية واعتقال عناصرها وتقديمهم للعدالة، وتشديد المراقبة الأمنية بمختلف النقاط الحدودية، وتطوير المنظومة الأمنية لمواكبة تطورات الجريمة الإرهابية العابرة للحدود، وإصدار مجموعة من التشريعات، الرامية إلى مواكبة مخاطر هذه الظاهرة، وتطوير ومراجعة آليات تدبير الشأن الديني، ومنع استغلاله من طرف الجماعات والأشخاص، وتفعيل دور المجلس العلمي الأعلى، برعاية الملك محمد السادس، وتوحيد الفتوى التي أصبحت من اختصاص المجالس العلمية

¹ مؤتمر دولي بالرباط يلامس أجوبة جديدة لتحديات الإرهاب والتطرف العنيف، مرجع سابق.

² المغرب ينظم مؤتمراً دولياً لمحاربة التطرف العنيف، مرجع سابق.

فقط، فضلاً عن إنشاء معهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات، وإنشاء مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، وكذا تعزيز القوانين الجنائية بشكل يخوّل للمملكة محاربة الإرهاب بشكل مباشر، وهو ما أسفر عن تفكيك عدة خلايا إرهابية، وإجهاض عدد من العمليات التخريبية، منها 209 خلايا إرهابية وإيقاف ما يزيد على 3535 شخصاً، وإحباط ما يفوق 500 مشروع تخريبي¹.

- تمتع المملكة المغربية بالاستقرار والأهلية اللازمين لتأهلها لاستضافة هذا الحدث السنوي الضخم.
- المشاركة الواسعة من قبل كافة دول العالم في المؤتمر تؤكد على تلبية واستجابة المجتمع الدولي والإقليمي لأي نداء يساعد على التخلص من ظاهرة الإرهاب.

ثالثاً: تعليق وتقييم

انعقاد المؤتمر يمثل فرصة جيدة لمناقشة المستجدات التي تحيط بالمشهد الإرهابي بمختلف أبعاده، كما تعد أرضية لتقييم فاعلية التنسيق الإقليمي والدولي في مجال مكافحة الإرهاب، ثم التفكير الجماعي في سبل تقريب رؤى المختصين والخبراء والباحثين حول سيناريوهات وحلول مواجهة التحديات الجديدة لظاهرة الإرهاب والتطرف العنيف. وخاصة أن التوزيع الجغرافي أو الحيز المكاني للمؤتمر كان واسع بشكل كبير، تقريبا غطى كل قارات العالم، وشمل أيضاً الكيانات دون الدول، وهذا الأمر يوفر فرصة كبيرة للتنوع في الطرح والمناقشة والتعليقات لمحاصرة ظاهرة الإرهاب بشكل أعمق. ولكن يؤخذ على المؤتمر بشكل عام أنه لم يتطرق أياً من المشاركين فيه إلى التأثيرات المحتملة للأزمة الوبائية الراهنة لكوفيد 19 على الظاهرة الإرهابية، والتي ستترك بصمتها بشكل أو آخر، سواء من خلال انخفاض أو زيادة حدة هذه الظاهرة، وخاصة مع تعقد وتسارع وتيرة التحولات المتعلقة بالاقتصاد والسياسة والفكر ومعتقدات الرأي العام لمفهوم الأمن والسلام.

مخرجات هذا المؤتمر على أرض الواقع ضعيفة ومحدودة، فعلى سبيل المثال من المفترض أن القضية الأساسية لهذا المؤتمر هي استخدام الجماعات الإرهابية للإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي في نشر أفكارهم التحريضية والإرهابية، ومع ذلك نجد أن المناقشات والتوصيات التي ذهبت لهذا الخصوص كانت محدودة وضيقة، في حين أنه تم إفراد مساحات واسعة لمناقشة

¹ المرجع نفسه.

قضايا فرعية مثل جهود الأجهزة الأمنية المغربية في تعاملها مع خطر الإرهاب باعتماد مقاربة استباقية. ومع ذلك إن التوصيات التي توصل إليها، لم يحدد كيف سينفذها، معظمها توصيات إنشائية معتادة وليست متفردة، فلم يضع آلية محددة أو أنشئ جهاز يكون معني ومنوط بتنفيذ التوصيات والمخرجات على أرض الواقع والإشراف عليها.

خاتمة

سلط المؤتمر الضوء على قضية هامة في مجال مواجهة الإرهاب والتطرف، وهي استخدام الجماعات الإرهابية وخاصة تنظيم داعش للفضاء الإلكتروني والانترنت بشكل مكثف وبقدر عالي من الاحترافية والتعقيد في الأداء، سواء فيما يتعلق بعدد المنصات الإعلامية التابعة له أو التقنيات التي يستخدمها أو الموضوعات التي يتناولها أو الجمهور الذي يستهدفه. وتزداد أهمية هذه القضية بالنظر إلى سعي الولايات المتحدة الأمريكية ممثلة في وزارة الدفاع الأمريكية إلى دمج العمليات الإلكترونية مع قدراتها العسكرية التقليدية والتخطيط الاستراتيجي للعمليات العسكرية، وتكوين فرق إلكترونية متكاملة ذات قيادة إقليمية، منتشرة خارج وداخل الولايات المتحدة، وكذلك ضغط وزارة الدفاع الأمريكية من أجل إعداد قواته لما يسمى "العمليات متعددة المجالات" لدمج العمليات الإلكترونية في كل مراحل التخطيط، فضلاً عن زخم غير مسبوق على مستوى التشريعات الأمريكية لمواجهة الجريمة الإرهابية وما يرتبط بالإرهاب الإلكتروني خاصة¹.

وبالتالي يمكن القول أن المؤتمر فعلاً نجح في اختيار موضوعه، إلا أن شابه بعد أوجه القصور في مناقشة هذا الموضوع، وعليه يمكن الإشارة والتوصية إلى الآتي:

- من الضروري توضيح المنصات الإلكترونية التي تبث أخبار الجماعات الإرهابية، وتوعية الشعوب بالابتعاد عنها وعدم متابعتها.
- التطرق إلى المخاطر المتعلقة باختراق الجماعات الإرهابية للوسائل التوصل الاجتماعي الخاصة بالدول الكبرى، والقيام بسرقة بيانات هامة.
- ساعد استخدام تنظيم داعش لشبكة الانترنت على إظهار مصطلحات جديدة في مجال مكافحة الإرهاب، مثل مصطلح الجهاد الإلكتروني، ذلك المصطلح الذي جرى استخدامه بشكل ممنهج وكثيف منذ عام 2011 بالتوازي مع زيادة معدلات نشاطات الجماعات الإرهابية على شبكة الانترنت، ومصطلح الذئاب المنفردة وهي العمليات الإرهابية التي تعتمد على تحريض مجموعة

¹ إنجي مهدي، مرجع سابق، ص 151.

من الأفراد على تنفيذ أعمال إرهابية بصفة منفردة، والذئاب المنفردة التابعة لداعش هم الأشخاص المقيمون في مناطق لا تخضع لسيطرة التنظيم، ويستطيع هؤلاء بتوجيه من قياداتهم تصنيع قنابل شديدة الانفجار بأدوات بدائية وتنفيذ عمليات إرهابية خطيرة¹، ويمكن القول إن جميع حالات الذئاب المنفردة تقريبا في السنوات الأخيرة شهدت استخدام وسائل الإعلام الاجتماعية الإلكترونية، إذ يوفر الاتصال عبر الانترنت لهؤلاء الذئاب الترابط الاجتماعي المطلوب، ومجتمع افتراضي ومصدر للإرشاد².

- النموذج المغربي في مكافحة الإرهاب نجح إلى حد كبير، بحيث أصبح يلهم الكثير من الدول، كما أنه حظي بإشادة الخارجية الأميركية في تقريرها السنوي الأخير حول مكافحة الإرهاب في العالم، إلا أنه يظل هناك تحدي يتعلق بإعادة إدماج المعتقلين السابقين.

¹ المرجع نفسه ، ص 159.

² المرجع نفسه، ص 162.

قضايا التطرف
والجماعات المسلحة

دورية دولية محكمة

 Journal of
Extremism and Armed Groups
قضايا التطرف والجماعات المسلحة

السنة الثالثة
Third Year

العدد السادس
Sixth Issue

تشرين الثاني / نوفمبر 2021
November 2021

مجلة قضايا التطرف والجماعات المسلحة

المركز الديمقراطي العربي



رقم التسجيل: ISSN 2628-8389

Journal of Extremism and Armed Groups

International Scientific Periodical Journal



<https://democraticac.de>